تراث

torathehc

تراثية ثقافية منوعة تصدر عن نادي تراث الإمارات العدد 263 سبتمبر 2021

الصيد والفروسية
بين الحاضر والتراث

معرض الصيد والفروسية
نجاح مستدام

الفروسية في تراث الإمارات

مرويات الصيد في الذاكرة الإماراتية

تهاني الهاشمي:
الكتابة تجعل الكاتب إنساناً بحق

رحلات الإماراتية عائشة سلطان

مشاهد تراثية **من بيئة الإمارات الزراعية**

في رحيل الشاعر هادف الدرعي

مركز جمال بن حويرب للدراسات

تراث الإمارات التربوي

اشْتِهَاء المَال
في الفيلم الإماراتي **«دَرَاهِم»**

البرامج التراثية وثقافة الشباب الإماراتي

أبوظبي: للصيد والفروسية

استدامة وتراث... بروح متجددة

تعد رياضة الصيد بالقنص والفروسية من الرياضات التراثية الأصيلة المتوارثة من الأجداد، خاصة عندما كانت أواصر العلاقة مع الطبيعة أشد قوة وأقل تعقيداً، ولأجل الحفاظ على استمرارية هذه الرياضة وتوارثها جيلاً بعد جيل؛ تستلهم دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم من ماضيها وتراثها العريق الدروس والعبر للانطلاق به نحو المستقبل محتفية بهذه الرياضة مع الرياضات الصحراوية الأخرى، والعادات والتقاليد المتعلقة بالصيد والصحراء في معرض دولي يقام سنوياً في إمارة أبوظبي تحت عنوان «**المعرض الدولي للصيد والفروسية**»، والذي يعد أحد أهم المحطات العالمية التي تعنى بصون التراث الثقافي. ويعكس هذا المعرض في دورته الـ18 لهذا العام والذي يقام تحت شعار «**استدامة وتراث... بروح متجددة**»، بتنظيم من نادي صقاري الإمارات، جهود إمارة أبوظبي والعالم في تعزيز مفهوم استدامة البيئة والصيد والرياضات التراثية والأعمال التجارية ذات الصلة، وبلورة استراتيجية شاملة لتطوير الحدث وابتكار المزيد من الفعاليات والأنشطة التي ترتكز على نجاحات الدورات الماضية بروح متجددة مبدعة.

ومن منطلق اهتمام نادي تراث الإمارات بالرموز التراثية الأصيلة، والحفاظ على رياضة الصيد والفروسية باعتباره موروثاً وطنياً زاخراً بالخبرات والمعارف، فهو يحرص على المشاركة في هذا الحدث السنوي، بجناح تراثي مميز يعكس هوية نادي تراث الإمارات، ويضم الجناح ورشاً تراثية متنوعة مثل الورش البحرية وورش الحرف النسائية، والمسابقات التراثية والأنشطة التراثية المخصصة لطلبة المدارس كما يعرض لآداب المجلس الإماراتي وعروض الفرق الشعبية، وعروض الخيالة، أما على الصعيد التراثي الثقافي، فالنادي يهتم بعقد سلسلة محاضرات متخصصة بالصيد والفروسية وتنظيم الأمسيات الشعرية، واستضافة أصحاب الخبرة والاختصاص من باحثين وأكاديميين وشعراء، كما يحرص على طرح إصدارات جديدة متعلقة بالحدث كإصدار كتاب «**الخيل موروث وحضارة في دولة الإمارات العربية المتحدة**» و«**الأسلحة التقليدية في دولة الإمارات العربية المتحدة**» وطرح ملفات خاصة متعلقة بالحدث في مجلة «تُراث» الصادرة عن النادي، كملف التحنيط والبيطرة والمها العربي وسلاح الأجداد زينة، وغيرها العديد من الإصدارات والدراسات التراثية المتخصصة.

وتزامناً مع فعاليات معرض أبوظبي الدولي للصيد والفروسية لهذا العام في نسخته الثامنة عشرة، والذي يعكس روح الإمارات في الماضي والحاضر ويعزز نشر مفاهيم وثقافة الصيد المستدام بين الجماهير من مختلف أنحاء العالم بهدف إحداث التوازن البيئي بين عمليات الصيد والقنص وفي الوقت نفسه الحفاظ على دورة حياة الطرائد المختلفة، وقع اختيارنا عليه ليكون ملفاً لعدد «تُراث» لهذا الشهر، وكلنا أمل بأن تستمتعوا بموضوعات العدد الثرية والمتنوعة.

شمسة الظاهري

رئيس التحرير

السلسلة التراثية الثقافية

مركز زايد للدراسات والبحوث

torathehc www.torath.ae

70
ساحة الحوار

تهاني الهاشمي:
الكتابة تجعل الكاتب إنساناً بحق

قالت الروائية الإماراتية تهاني الهاشمي إن الكتابة تمنح الكاتب الحقيقي شعوراً بأنه حيّ، بأن نبضه مسموع، واضافت في حوارنا التالي معها إن روايتها «جرف هار» التي رشحت للجائزة العدولية للرواية العربية «البوكر» كانت نقلة نوعية في إنتاجها، إذ «وضعتُ من خلالها قدمي على مشوار شائك من التحديات والمواجهات التي لم أتوقعها»، مؤكدة أن العمل الروائي كالحديقة الغناء التي تستعرض أنواع النباتات والزهور، حبذا لو وجد كل منّا لون الورد الذي يحبه ويُرضيه... حوار - هشام ازكيض

75
ارتياد الآفاق

رحلات عائشة سلطان

في السفر نتعرف إلى أشخاص جُدد، إلى أماكن لا مثيل لها فيها من الغرائب والعجائب ما تنوء به ذاكرتنا، إلى عوالم تختلف عن عوالمنا التي نعيشها، وفي السفر نزداد خبرة ومعرفة ومعلومات، لم نكن لنمتلكها لو ظللنا في أماكننا الأولى. وللسفر فوائد عديدة، ليست سبعًا كما يتداولها الناس من قديم الأزل، وعلينا أن نعثر عليها قدر استطاعتنا. أما بالنسبة للكتب التي تحدثت عن السفر، فهناك نوع منها يقدم لك ما لا يقدّمه سواه في هذا العالم، إنه يطيربك، ثم يحط في أماكن لم ولن تطأها قدماك وإن دفعت الغالي والثمين الذي لديك، ولا حتى في الأحلام. إنها كتب تأخذك، وأنت في تمام رضاك، إلى أماكن شتى، وأنت لا تزال في موضعك، من دون أن تجهد نفسك لا في سفر ولا في انتقال، موفرة لك الكثير من الأموال والأوقات.. عاطف محمد عبد المجيد

14

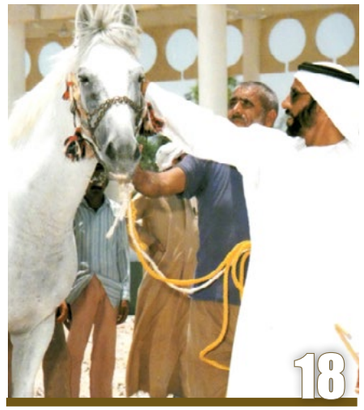

18

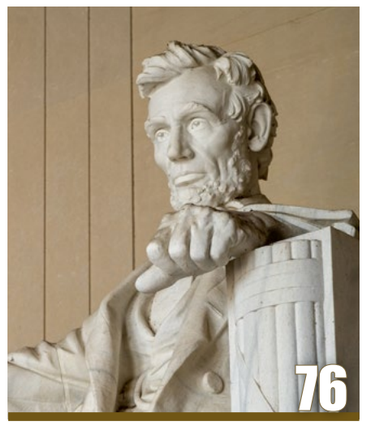

76

88

92

104

قد تغيب عن بعضهم ملامح المعنى المتضمن في مصطلح «**الأصالة**» ومدى ما يكتنزه من أهمية؛ فعادةً تفقد المصطلحات أطيافًا من معانيها لكثرة ترديدها في شتى المناسبات.

ولأن أحد أبرز أولوياتنا في نادي تراث الإمارات إحياء المعاني والقيم والعادات والتقاليد عبر ربطها بمنظومة الحياة المعاصرة، لنجلو عنها صدأ الزمن ونعيد إليها قيمتها نظريًا وعمليًا... فقد اخترنا أن يجيء ملفنا هذا العدد مصاحبًا لحدث نعده أنموذجًا عمليًا في ربط مفردات التراث المادي والمعنوي بمنظومة الحياة.

الحدث هو معرض أبوظبي الدولي للصيد والفروسية. وملفنا بعنوان: «معرض أبوظبي للصيد والفروسية وتحقيقُ معنى الأصالة»، شارك في إعداده نخبة مميزة من الباحثين والكتاب الإماراتيين والعرب.

وأهمية «**الأصالة**»، كما أردنا تسليط الضوء عليها عبر هذا الملف، تكمن في كونها تشير إلى الشيء المتجذر - من الأساس - في بنية الإنسان النفسية والمادية، نما وتطور معه، وتناقله أبًا عن جد، وتعهده بالخبرة والممارسة، فبات جديرًا بأن يستعيده في كل لحظة من لحظات وجوده، وأن يضيف إليه بتطويره ودمجه في حياته، بل وأن يقدمه إلى العالم مستفيدًا من كل معطيات العصر، من دون أن يفقد الشيء ارتباطه الأصيل به وببيئته وبثقافته.

هذا المعنى هو تحديدًا ما نجح في القيام به معرض أبوظبي الدولي للصيد والفروسية، الذي يستعيد ثقافة الفروسية ومهارات الصيد والقنص والمنظومة الثقافية والفكرية التي صاحبت إنسان الإمارات منذ لحظات وجوده المبكر، ويقدمها ضمن منظومة العصر بكل ما تتضمنه من تطور تقني وفكري.

والواقع أن هذا النجاح ما هو إلا جزء من نجاح استراتيجية أبوظبي المتعلقة بالتراث ورؤية القيادة الرشيدة الراقية لدوره في التنمية، وهي المنظومة التي نفخر بأن يكون نادي تراث الإمارات أحد أبرز أدواتها الفكرية والتطبيقية.

نأمل أن يكون الملف إضافة إلى هذا الجهد الكبير الذي يمثله المعرض، إلى جوار باقة اخترناها بعناية من المواد الصحافية التي تعيد تقديم وقراءة التراث من زوايا طرح مميزة، وتلقي الضوء على جوانب من أصالة تجربة الإمارات. نتمنى لكم قراءة مفيدة وممتعة.

فلاح محمد الأحبابي
رئيس نادي تراث الإمارات

محتويات العدد

8 أبوظبي من التأسيس إلى الحضور العالمي
ندوة بمركززايد للدراسات والبحوث

68 سيرة الأميرة ذات الهمة - محمد شحاته العمدة
73 متغيرات الشعرية العربية (1/2) - د. حمزة قناوي
74 أسماك المجهول! - محمود شرف
80 بنت البادية ملك حفني ناصف - أحمد فرحات
82 «النمّام» سليمان فيّاض - د. ممدوح فرّاج النّابي
85 مقومات الإبداع - محمد عطية محمود
86 الترجمة علم وفن - فاطمة المزروعي
88 إبداعات عربية في التسامح والسلام - سريعة سليم حديد
91 الحلم في التراثي: الانشغال بالمستقبل - د. علاء الجابري
92 الشاعر هادف الدرعي (1958 - 2021) - مريم النقبي
94 عمار علي حسن: فهم التراث وتفكيكه ضرورة - سعاد سعيد نوح
97 في ديِنَاميّة النّقد ومساراته - رشيد الخديري
98 مركز جمال بن حويرب للدراسات - حجاج سلامة
101 قبل منتصف الحلم بقليل .. هاني عويد
102 ابن سينا وإسهاماته الطبّية والموسيقية - د. نورة المزروعي
104 تراث الإمارات التربوي - الزبير مهداد
108 الأساطير الأوروبية - د. هويدا صالح
114 حبة البركة والبردقوش - عايدة عبدالله البلوشي
120 البرامج التراثية وثقافة الشباب الإماراتي - د. وائل الدسوقي
122 الخريطة «حقيبة العرب الدبلوماسية» - د. حسن عبد الوهاب حسين
124 الثقافة الشعبية في السينما المصرية - وائل سعيد
126 اشْتِهَاء المَال في الفيلم الإماراتي دَرَاهِم - عبد الهادي شعلان
129 العتاب - محمد خلف
130 خطوات نحو الفرح - د.فاطمة حمد المزروعي

أسعار البيع

الإمارات العربية المتحدة: 10 دراهم - المملكة العربية السعودية 10 ريالات - الكويت دينار واحد - سلطنة عمان 800 بيسة - مملكة البحرين دينار واحد - اليمن 200 ريال - مصر 5 جنيهات - السودان 250 جنيهاً - لبنان 5000 ليرة - سورية 100 ليرة - المملكة الأردنية الهاشمية ديناران - العراق 2500 دينار - فلسطين ديناران - المملكة المغربية 20 درهماً - الجماهيرية الليبية 4 دنانير - الجمهورية التونسية ديناران - بريطانيا 3 جنيهات - سويسرا 7 فرنكات - دول الاتحاد الأوروبي 4 يورو - الولايات المتحدة الأميركية وكندا 5 دولارات.

ما ورد في هذا العدد يعبر عن آراء الكتاب ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو نادي تراث الإمارات

110
دراسات إماراتية

مشاهد تراثية من البيئة الزراعية

سمعنا صوت المساعد للبيدار سالم، الشاب حميد الذي يتمتع بالنشاط والهمة، يقف على مقدمة في منتصف (اليازرة)، وفي العادة يشير علي سالم الشميلي البيدار إن كان هناك خطأ أو ملاحظة في المكان. وقريباً من مقدمة (اليازرة) يقف حميد في العادة بجوار الدلو في الأعلى، وعندما وصل سالم الشميلي إلى عمق (الخب) وصعد الدلو إلى أعلى من فوق (الغيلة) - البركة التي يتم فيها إنزال الماء وتفيض ويتسرب الماء عبر القنوات الزراعية، كان الدلو مشقوقاً للأسف والماء يصب منه بقوة...

صالح كرامة العامري

116
وجوه من الإمارات

تجربة حبيب غلوم

حبيب غلوم أول من قدم مسرحية مونودراما في الإمارات وأول من أخرج العروض المسرحية من تقاليدها الإيطالية إلى فضاء الشارع إذ قدّم عطيل شكسبير تحت عنوان (المنديل) في مهرجان المسرح التجريبي الأول في القاهرة سنة 1988، وفي الدورة الثانية للمهرجان ذاته مسرحية (في قصر الغوري). "المعرفة تثبت خطى الإنسان في شتى المجالات العملية.. د. هاني حجاج

الاشتراكات

للأفراد داخل دولة الإمارات: 150 درهماً / للأفراد من خارج الدولة: 200 دولار - للمؤسسات داخل الدولة: 150 درهماً / للمؤسسات خارج الدولة 200 دولار.

ترانيةٌ ثقافيةٌ منوعة

تصدر عن:
مركز زايد للدراسات والبحوث - نادي تراث الإمارات، أبوظبي

رئيس التحرير
شمسة حمد الظاهري

مدير التحرير
وليد علاء الدين

الإشراف العام
فاطمة مسعود المنصوري
موزة عويص علي الدرعي

الإخراج والتنفيذ
غادة حجاج

سكرتير إداري وشؤون الكتّاب
سهى فرج خير
torath@ehcl.ae

التصوير:
- مصطفى شعبان

عناوين المجلة

الإدارة والتحرير:
الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي
مدير التحرير: walid@ehcl.ae
هاتف: 024092200 - 024456456

أبوظبي من التأسيس إلى الحضور العالمي

ندوة بمركز زايد للدراسات والبحوث

إعداد قسم الإعلام

نظم مركز زايد للدراسات والبحوث التابع لنادي تراث الإمارات بتاريخ 5 أغسطس الماضي ندوة افتراضية بمناسبة الذكرى التاريخية لجلوس المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وجاءت بعنوان «أبوظبي مكانة استثنائية من التأسيس إلى الحضور العالمي»، شارك فيها كل من الدكتور عارف الشيخ الكاتب والباحث في التاريخ المحلي، والدكتور يوسف الحسن الكاتب والمفكر، والدكتورة جوينتي مايترا الباحثة والمؤرخة بالأرشيف الوطني، والدكتور خالد البلوشي الكاتب والمؤرخ، والدكتورة خصيبة اليماحي الباحثة في الشؤون العربية، والمهندس محمد الجنيبي الباحث في التاريخ المحلي، وأدار الندوة الدكتور محمد الفاتح زغل الباحث في مركز زايد للدراسات والبحوث. وأكدت فاطمة المنصوري مديرة مركز زايد للدراسات والبحوث في مستهل الندوة، أن ما يضفي أهمية استثنائية على الذكرى التاريخية لجلوس المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، هو تزامنها هذا العام مع احتفاء الدولة بعام الخمسين والاستعداد للاحتفال باليوبيل الذهبي، لذا من المناسب استحضار سنوات التأسيس والانطلاقة الحضارية الأولى لتسليط الضوء على البدايات والضوابط والأسس التي قامت عليها الدولة وتعريف الأجيال الحالية بها، مشيرة إلى أن السادس من أغسطس يشكل منعطفاً مهماً في مسيرة تاريخ الدولة الحديث وأن الجميع يستطيع اليوم تلمس آثار هذا التاريخ المهم في كل ما حولنا.

سمات القائد المؤسس

تحدث الدكتور يوسف الحسن عن تحديات نشوء الدولة الحديثة ودور وسمات شخصية القائد المؤسس في السياسة والحكم، وقال إن المنجز الحداثي لدولة الإمارات العربية المتحدة تحقق على مدى خمسة وخمسين عاماً، كانت الدولة خلالها هي قوة التحديث الرئيسة.

وأشار إلى أن خطاب التحديث اجتاز على أرض الواقع ظروفاً صعبة محلية وإقليمية، حتى تمكنت الدولة في عقودها الخمسة الماضية من إخراج القطاع الأعظم من شعب الإمارات من دوائر الحرمان ويسرت للفرد معدلاً للدخل يعد من ضمن قائمة الدول العشر الأعلى في العالم.

ونوه إلى أنه من الصعب أن تدرك الأجيال الشابة من أبناء الإمارات أبعاد رؤية المغفور له الشيخ زايد «طيب الله ثراه» في الحكم والسياسة وإدارة التنوع المجتمعي والعلاقات مع الآخر في الإقليم وخارجه، بدون أن تعرف وتستوعب نوع وحجم التحديات التي تعاملت معها هذه الرؤية الحكيمة قبل تأسيس الدولة الاتحادية وبعدها.

مسيرة التعليم في الدولة

وتحدث الدكتور عارف الشيخ عن محور التعليم، وفيه استعرض بدايات مسيرة التعليم في الدولة التي تناولها في عدد من الكتب التي ألفها عن هذا الحقل مثل «تاريخ التعليم في دبي»، و«تاريخ التعليم في أبوظبي»، «تاريخ التعليم في الشارقة»، «تاريخ التعليم في الإمارات الأربع».

تعاون مشترك بين نادي تراث الإمارات ومركز جمعة الماجد

زار وفد من مركز زايد للدراسات والبحوث التابع لنادي تراث الإمارات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في الحادي عشر من شهر أغسطس الماضي، وذلك في إطار الحرص على التعاون المشترك بين الجهتين.

بحث الوفد برئاسة فاطمة المنصوري مديرة مركز زايد للدراسات والبحوث، وبدر الأميري المدير الإداري في المركز، مع الدكتور محمد كامل جاد مدير مركز جمعة الماجد، وشيخة المطيري رئيس قسم الثقافة الوطنية، وأنور الظاهري رئيس شعبة العلاقات العامة، سبل تعزيز التعاون الثقافي والتنسيق بين الجانبين بما يخدم التراث والثقافة الوطنية.

وتبادل الطرفان خلال اللقاء عدداً من المطبوعات من الجانبين، وقدم وفد النادي درعاً تذكارية تكريماً لمركز جمعة الماجد.

المغفور له الشيخ زايد يتابع المشاريع التطويرية

وتناول الشيخ في هذه المؤلفات الكتاتيب، ثم التعليم شبه النظامي، والتعليم النظامي، وقال إنها المداخل نفسها التي مر بها التعليم في بقية الدول في الجزيرة العربية، مستعرضاً عدداً من أوائل المدارس في الإمارات ودول الجوار، مشدداً على أهمية التوثيق لتاريخ التعليم في الإمارات بوصفه جزءاً مهماً من مسيرة تطور الدولة، منوهاً باهتمام المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه» بالتعليم منذ وقت مبكر.

الشخصية القيادية

الدكتورة جوينتي مايترا تناولت في حديثها العوامل التي أسهمت في تكوين الشخصية القيادية الفريدة للمغفور له الشيخ زايد «طيب الله ثراه»، حيث ألقت الضوء على تأثير نشأته والبيئة المحيطة به في صنع سيرته كقائد وإنسان عظيم اهتم بحرية الإنسان والمساواة بين الناس كافة. وأشارت إلى أن عدداً من العوامل أسهمت في هذا الجانب على رأسها التأثير الكبير للإسلام والقرآن الكريم عليه «طيب الله ثراه» بالإضافة إلى تشبعه بالثقافة العربية الأصيلة وتقاليدها العريقة التي شكلت شخصيه

منذ الصغر، ذاكرة عوامل أخرى كان لها نصيب وافر في صقل شخصيته وأفكاره منها التأثير الكبير لوالديه الشيخ سلطان والشيخة سلامة.

تجربة المجلس الوطني الاتحادي

تناولت الدكتورة خصيبة اليماحي تجربة المجلس الوطني الاتحادي في دولة الإمارات العربية المتحدة الذي وصفته بأنه محطة مهمة في التطور السياسي للدولة، وذكرت أن المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه» كان يرى أن المجلس الوطني الاتحادي له مكانة مهمة في تكريس الممارسة الديمقراطية بحكم موقعه في العملية السياسية، فمن خلاله تتجسد إرادة الشعب التي يمارسها بوساطة ممثليه الذين يشكلون السلطة التشريعية في مقابل السلطة التنفيذية.

الرعاية الصحية

تحدث الدكتور خالد البلوشي عن الرعاية الصحية في عهد المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه»، قائلاً إن الشيخ زايد كان يركز بشكل أساسي على بناء الإنسان، ليقينه التام بأن الفرد هو الثروة الحقيقية وهو أساس النهضة والحضارة، وفي سبيل تحقيق حياة صحية للمواطنين والمقيمين

المساكن في قلب الصحراء

سعى الشيخ زايد منذ إعلان الاتحاد وقيام الدولة إلى توفير الخدمات الصحية وبناء شبكة متطورة من المستشفيات والمراكز الصحية الأنموذجية التي تقدم خدمات صحية تشخيصية وعلاجية ووقائية وفق معايير عالمية. وأضاف البلوشي أنه بفضل القيم والرؤى التي غرسها الوالد المؤسس في نفوس أبناء الإمارات، وسارت على نهجها القيادة الرشيدة، قدمت دولة الإمارات أنموذجاً رائداً في التصدي لجائحة «كوفيد - 19» والحدّ من تداعياتها ليس على المستوى المحلي فقط، بل على المستوى العالمي.

فكر زايد العمراني

تحدث الباحث المهندس محمد حمد الجنيبي عن فكر الشيخ زايد ورؤيته العمرانية لمدينة أبوظبي، وقال إن سر النهضة العمرانية في إمارة أبوظبي ومدينتها يكمن في الإدارة الحكيمة الطموحة المخلصة للشيخ زايد. وتناول الجنيبي بالتفصيل مراحل النهضة العمرانية والعوامل التي ساعدت على نجاحها لاسيما بعد تولي المغفور له الشيخ زايد مقاليد الحكم، حيث تحدث الجنيبي عن المكونات الثقافية التي شكلت شخصية وأهداف وطموحات وأسلوب أداء الشيخ زايد، ودورها في تحقيق الرؤية العمرانية خلال فترة حكمه. حضر الندوة سعيد المناعي مدير إدارة الأنشطة في نادي تراث الإمارات، وبدر الأميري المدير الإداري في مركز زايد للدراسات والبحوث، كما شهدت الندوة مداخلات عديدة أثرت الحوار بين المحاضرين والحضور من الأكاديميين والباحثين والمؤرخين والإعلاميين من داخل دولة الإمارات العربية المتحدة ومن خارجها ■

نادي تراث الإمارات يطلق برنامج «صناعة الحرف التراثية»

أطلق نادي تراث الإمارات في الرابع والعشرين من شهر أغسطس الماضي برنامج «صناعة الحرف التراثية» الافتراضي الذي تقدمه إدارة القرية التراثية التابعة للنادي وتعرض من خلاله ورشاً للحرفيين التراثيين عن الصناعات التقليدية تبين مراحل العمل وخطواته.

وقال محمد عبدالله المهيري مدير إدارة القرية التراثية إن النادي يواصل جهوده في نشر التراث الوطني والمحافظة عليه، وتعزيز الهوية الوطنية، ونشر الوعي الفكري والثقافي، من خلال إتاحة الفرصة للجمهور للوصول إلى الفعاليات الفنية عبر الإنترنت والحفاظ على التواصل مع المتابعين والمهتمين بالتراث من خلال العديد من البرامج والفعاليات الافتراضية، تطبيقاً للإجراءات الاحترازية والوقائية المتبعة لمواجهة فيروس كورونا.

وأضاف المهيري أن برنامج «صناعة الحرف التراثية»، جاء لتسليط الضوء على الإرث الذي تركه لنا الأجداد من حرف وصناعات تقليدية، ويضم البرنامج مجموعة من الورش التي يعرض فيها الحرفيين المهارات التقليدية كصناعة الأواني الفخارية، نقش الخشب، الغزل والنسيج، صناعة الجلود وغيرها من الحرف اليدوية المختلفة.

وخصصت أولى حلقات البرنامج تناولت صناعة «البشوت» التي تتم حياكتها داخل القرية التراثية، وتعد إحدى الحرف التراثية الأساسية، والبشت هو رداء رجالي من القماش يلبس فوق «الكندورة»، يمنح مرتديه أناقة ومظهراً رسمياً، وتضمنت الحلقة شرحاً تفصيلياً لصناعة البشت وأنواعه.

تبث حلقات البرنامج يوم الثلاثاء من كل أسبوع على قناة نادي تراث الإمارات على اليوتيوب وعلى حسابات النادي في مواقع التواصل الاجتماعي.

مقناص «بينونه»

يـــا ليت مـــن فيّج لمقنـــاص «بينونة» ويـــاك يـــا شيـــخ فـــي انـــس وطماشاتي

يـــا شوق عذرا تشـــادي البدر مزيونـــه ريـــم مراتيـــع قفـــره فـــي متامـــاتي

بالعـــون كن بسحـــر هـــاروت بعيونه حلـــو المعنق وخذ مـــن الريـــم بيّاتي

وعـــر مقـــره ولا الطيشـــان ينصونه ماخـــذ مقره زمايـــم رمـــل عذياتي

يسقـــي تراب بفرحتكـــم تدوســـونه مراتـــع الربـــد يلي بـــه مجـــراتي

واللـــي شغلنـــا عن مخوتكـــم المونه ياسيـــدي وانت عـــارف كـــل حـــالاتي

اللـــه يوفجكـــم بكل امّـــا تريدونـــه كـــل المجالات وافضـــل كـــل الأوقـــاتي

ويزيـــن قـــاع ظهرتـــوا لـــه تقنصونه مـــع ذا وتنـــور بكـــم كـــل المحـــلاتي

يـــا ما حـــلا أشقر صرتـــوا تهدونـــه معتـــاد للطـــرد مـــا يعطـــي مســـافاتي

تربـــيت صقـــار تربيبـــه تعرفونـــه يمـــشي بتوجيهاتكـــم مافيـــه خـــلّاتي

ربعطـــك نشاما غليـــل الهدد يشفـــونه والشهـــم يلـــي لتعليماتـــك يحاتي

عســـى سحب سرى في عـــارض مزونـــه دنـــين رعـــده بهـــدو الليـــل مـــا بـــاتي

وسمي يســـوقه خفـــيف الريف بالســـونه يروي ترابـــك ويثـــني لـــه بعـــلاتي

القصيدة للشاعر محمد بن سلطان الدرمكي، وهي قصيدة من إحدى قصائد المقانيص التي قالها خلال مرافقته مع المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيب الله ثراه -، حيث كان الشاعر من مرافقيه الدائمين في رحلات القنص. ولد الشاعر في نحو عام 1940 في القطارة بمدينة العين وتوفي عام 1998. وتتركز أغراضه الشعرية على الغزل والشكاوى والمجاريات ومن أشهرها مجاراته مع المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيب الله ثراه :

دنيـــــا محـــــلا وطرهـــــا فيـــــها زهـــــت الأنـــــوار

ملف

معرض أبوظبي للصيد والفروسية

تحقيق معنى الأصالة

14 معرض الصيد والفروسية وأهميته في الحاضر والتراث - فاطمة عطفة

18 الفروسية في تراث الإمارات - جمال مشاعل

22 مرويات من الذاكرة عن الصيد قديماً - مريم سلطان المزروعي

26 الخيل العربي، قوة، وفاء، وصدارة - د.هلا علي

28 الفروسية عند بدو العراق والجزيرة العربية - د. علي عفيفي علي غازي

32 الصيد والفروسية بين الحاضر والتراث - علي كنعان

34 ثقافة الفروسية والصيد عند العرب - محمد زين العابدين

38 من ألعاب الفروسية في الثقافة العربية - د. رضوى زكي

42 الصّيد والبيزرة في سِيَر الملوك والأمراء - خالد ملكاوي

48 فن التبوريدة - صالح لبريني

52 «كَيمارا» رحلة القنص الطويلة - د.بوزيد الغلى

56 الصيد بالصقور .. رياضة استهوت العظماء - جمال مشاعل

60 الفروسية والصيد البري في اليمن - زهور عبدالله

64 من أسرار وغرائب ضواري الصَّيد وطرائدها - خالد صالح

معرض الصيد والفروسية

وأهميته في الحاضر والتراث

فاطمة عطفة

الصيد من أقدم وأهم الفعاليات التي وفرت للإنسان غذاءه اليومي، إلى جانب اقتطاف الثمروالبقول الصالحة للمحافظة على صحة البدن واستمرار الحياة، ثم استطاع الإنسان أن يدجن الحيوان ويروض الخيل لتسهيل السفر والانتقال. ومع تطور الحياة، صار الصيد رياضة ومتعة للبدن وللنفس، إلى جانب رياضة الطراد والفروسية والسياحة في البراري واستكشاف ملامح الأرض والترويح عن النفس. وتعد رياضة الصيد والفروسية وسباق الهجن من أهم المهرجانات التي تحتفل بها الإمارات على المستوى الرسمي والشعبي، إضافة إلى من يحضر فعالياتها من الزوار.

وعن أهمية معرض الصيد والفروسية يقول الكاتب جميع سالم الظنحاني إنه من أهم المعارض على مستوى العالم المعنية بالرياضات الأصيلة النابعة من تراثنا وهويتنا العربية والإسلامية، وإحياء هذه الرياضات بشكل سنوي ملتقى يزخر بتراث الوطن ورجاله في شتى ميادينه، مبيناً أنه من مرتادي معرض أبوظبي الدولي للصيد والفروسية بشكل سنوي للاطلاع والاستفادة بما يحتويه المعرض من عرض وطرح بتقنيات حديثة بشكل عام وخاص في أجنحة المغفور له الشيخ زايد، طيب الله ثراه، من خلال رحلاته للصيد وكأنك تعيش التجربة بمعيتهم.

ويتابع الظنحاني قائلاً: إنني من محبي هذه الرياضات، وقد شاركت في مهرجانات للصيد بالصقور وخاصة في مهرجان الوثبة للصيد بالصقور 2014 الذي تزامن مع اليوم الوطني لدولة الإمارات، وكانت مهمتي هي رصد عناصر الطقس ومعطياته لممارسي هذه الهواية في المنافسات القائمة وتحدياتها التي تعلمت منها الكثير في تجربة حية من خلال احتكاكي بشكل مباشر مع ذوي الخبرة بالصيد بالصقارة واكتساب خبرة العلمية لمعرفة الأحوال الجوية وأهميتها وخاصة الرياح واتجاهها وسرعتها في ممارسة هذه الهواية التي تتطلب دراية وحنكة في هذا الفضاء .

ويضيف الظنحاني موضحاً: في آخريوم في المهرجان مرعلي الأمين العام لمجلس أبوظبي الرياضي في تلك الفترة وهو السيد محمد المحمود والمشرف العام للمهرجان وقال لي تفضل لتتناول وجبة الغداء في تلك الخيمة التي شد أطنابها في نفس اليوم في الساعة الثانية ظهراً.

وذهبت للخيمة لأتفاجأ بصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان وسمو الشيخ منصور بن زايد والفريق سمو الشيخ سيف بن زايد مع جمع غفير في زيارتهم التي أفرحت الحضور وأثلجت

عبد الرحمن نقي البستكي

إيمان الهاشمي

جميع سالم الظنحاني

خالد الاستاد

الصدور وحظيت بالناموس بمصافحتي للشيوخ.

وبدورها الملحنة الإماراتية إيمان الهاشمي تؤكد على أهمية الفروسية والأخلاق التي تقوم عليها قائلة: بالأساس تعد الرياضة وسيلة لتهذيب النفس وصقل الأخلاق، وبالتالي فإن توثيق مثل هذه الرياضات بالذات تؤكد قيمتها الوطنية والشعبية لكونها متجذرة في عمق تراثنا، وتشجيع الأجيال القادمة على تعلمها وتشربها على أصولها الطيبة بما يحقق غرس لمختلف التقاليد والأخلاقيات والمبادئ والقيم العالية والنبيلة، حيث تغرس في نفوس وشخصيات من يمارسها قوة التحمل والجلد والصبر والأنفة وعزة النفس والصدق والأمانة وعدم إهدار الوقت، إضافة إلى الدقة والقدرة على التركيز واتخاذ القرارات بسرعة وحكمة، وكل ذلك في قالب التأمل الجميل في الطبيعة. وبهذه المناسبة الكريمة نتذكر قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

وتضيف الفنانة الهاشمي: هنا يأتي دور الرعاية والمبادرة الطيبة من قيادتنا الرشيدة تجسيداً حقيقياً لقيمة الفروسية والصيد، والتي بدورها تمثّل تأكيداً على أهمية رعاية الخيل الأصيلة ورياضة الصيد السليمة وما يرتبط بها من معاني القيم والأخلاق الحميدة والخصال العربية والإسلامية الكريمة كالنجدة والكرم والشجاعة، ناهيك عن اللياقة البدنية والصحة العامة وحتى الصحة النفسية أيضاً، وكل ذلك في سبيل قيم راسخة لا مساومة فيها وهذا ما يؤكد عليه نهج دولة الإمارات الأصيل القائم على أساس مكارم الأخلاق وبرضا الرحمن الرحيم والتي لم ولن تتبدّل مع مرور الزمن وعلى مر الأجيال .

ويقول الكاتب عبدالرحمن نقي البستكي عضو مجلس إدارة اتحاد كتاب وأدباء الإمارات والمسؤول الإعلامي فيه: إن رعاية سمو الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان، ممثل الحاكم في منطقة الظفرة، رئيس نادي صقاري الإمارات لدورات المعرض الدولي للصيد والفروسية، لتعكس الحرص الكبير من القيادة الرشيدة بدولة الإمارات في الحفاظ على الموروث الشعبي الإماراتي في عالم الصيد والفروسية. ويضيف البستكي أن من دواعي الفخر والاعتزاز أن يحظى زوار المعرض بفرصة اقتناء أحدث معدات التخييم والصيد والفروسية والرياضات الخارجية والبحرية، فضلاً عن زيارة الأقسام الخاصة بعرض تراث دولة الإمارات العربية المتحدة من خلال العاصمة أبوظبي.

ونبارك للجهة المختصة المنظمة نجاحها المتواصل في تحقيق أهداف المعرض الدولي للصيد والفروسية في الترويج بتراث وتقاليد دولة الإمارات العربية المتحدة، وتسليط الضوء على تاريخ شعب الإمارات العريق لجذب المزيد من العارضين والزوار، وجعل أبوظبي عاصمة للتراث الثقافي في المنطقة. ومن الفخر أن المعرض هو مبادرة حكومية تهدف في المقام الأول إلى تقديم التراث ورفع وعي الشباب بالتقاليد والثقافة الإماراتية

سرج حصان يضع على السياج العربي

بالإضافة إلى الرياضات المحلية ومبادئها وأسسها القائمة على النبل والاستدامة. ويرى البستكي أن من الأهمية بمكان ربط الجيل الحاضر اليوم بتاريخ الآباء والأجداد في عالم الصيد والفروسية، خاصة وأن الجيل الجديد قد مل الالتهاء والانشغال بعالم الحاسوب والتطبيقات الذكية التي سلبته كثيراً من الجهد والوقت الكبير وجعلته حبيس هذه الهواتف والحواسيب ليعيده المعرض إلى أجواء الطبيعة الجميلة وعالم الواقع عالم وتراث الآباء والأجداد. ويضيف الكاتب البستكي قائلاً: الجميل الأكثر أن المعرض لم يتوقف على المعدات ليدخل عالم النتاجات الأدبية والتراثية والفنية الشعبية المرتبطة بعالم الصيد والفروسية الذي خرج بالعديد من الكنوز الأدبية التي تسهم بكل فخر في الارتقاء بذاكرة الأجيال واستلهام همة الأجداد وفكرهم النير، ونقتبس من عالم إبداعاتهم الأدبية وما تركوا لنا من أشعار وأمثال وقصص وحكايات تروي بطولات الأجداد وهم يواجهون تحديات العيش الكريم في صحراء قاحلة أنعم الله علينا اليوم قبل كل شيء بقيادة تحب شعبها وتسخر ثرواته لإسعاده ليكون من أسعد الشعوب بنعمة من الله. أما الفنان التشكيلي خالد الأستاد فهو يعبر عن أهمية الصيد والفروسية في تراث الإمارات قائلاً: معروف

عند العرب أن رحلات الصيد تعتمد على روح العمل الجماعي والألفة وتقوي روابط الصداقة والتعاون بعيداً عن زحمة المدينة والأعمال، وتعتبر هذه الرحلات منبعاً لشحن الطاقات وتصفية الفكر لما فيها من أنشطة وتبادل الخبرات والتعاون واستعمال الخبرة في تتبع الحبارى والتوقيت الصحيح لإرسال الطير للصيد وتتبعه وكيفية التعامل مع الصقر بعد أن يصطاد. ويضيف الأستاد أن رياضة الصيد بالصقور تتطلب المعرفة التامة بأنواع هذه الطيور وكيفية الحفاظ على صحتها وسلامتها وطريقة إطعامها والأوقات المناسبة لذلك، إضافة إلى نوعية الطعام والبيئة التي تناسبه، كما إن الفروسية هي من الرياضات التي تعتمد على كيفية اكتساب المهارات في ركوب الخيل وتتطلب اللياقة البدنية والتعامل الإنساني مع الخيل مما يزرع الثقة بين الجواد والفارس، وبالتالي تنشأ علاقة طيبة من الألفة والتعاون الجميل بين الإنسان وهذا الحيوان الأصيل، وتتولد عند الفارس روح التعاون وحب الحياة والشغف الدائم وتكسب الفارس صفات الشجاعة والكرم والنبل وحب التحدي. ويرى خالد الأستاد أن من فوائد المعرض الدولي للصيد والفروسية أن كل محبي الصيد والفروسية يجتمعون تحت مظلته ويتم عرض العديد من أنواع الأدوات الخاصة بهذه الرياضات ويتم التعرف على آخر ما توصلت إليه التكنولوجيا في هذه المجالات ويتم تبادل الخبرات، إضافة إلى أهمية التعرف على مختلف الجنسيات من الزوار المهتمين برياضة الصيد والفروسية، كما إن المعرض يشكل نافذة للتسويق إلى جانب الرياضة والسياحة، لذلك هو مهم جداً ■

الفروسية في تراث الإمارات

جمال مشاعل

رياضة الفروسية جزء لا يتجزأ من التراث الإماراتي؛ فهي من الرياضات التراثية المهمة، وللإمارات سمعتها العالية في مجال الفروسية، وبفضل اهتمام الدولة بالحفاظ على رياضة الفروسية التي تعدّ رمزاً للشجاعة والفخر، ورعايتها وتطويرها، يقبل عليها الشباب، وتنظم الدولة السباقات الدولية والمحلية تحت مظلة اتحاد الإمارات للفروسية والسباق، ومن خلال: قرية الإمارات العالمية للقدرة، ونادي دبي للفروسية، ونادي تراث الإمارات.

الخيول في صميم اهتمام الإمارات

ويذكر الباحث والمؤرخ سعيد محمد بن كراز المهيري في دراسة توثيقية بعنوان: «ربدان حصان الشيخ زايد بن خليفة .. الأصل والنسب» أن الخيول قد حظيت بمكانة بارزة لدى شيوخ أبوظبي قديماً وحديثاً؛ فقد كانوا يعدّون الجواد الأصيل دائماً هدية قيّمة للتبادل فيما بينهم وبين حكّام وأعيان زمانهم، وبصفة خاصة الشيخ زايد بن خليفة الذي حرص على تربية الخيول العربية الأصيلة، وإقامة المرابط الخاصة بها في مختلف أنحاء إمارة أبوظبي، وكان يهتم بأصولها، وقد ورد في المرجع الكبير (دليل الخليج) لمؤلفه لوريمر أنه في عهد الشيخ زايد بن خليفة: «تشاهد الخيول عند الشيوخ فقط... والمعروف أنّه كان في قرى الواحة في المنطقة الشرقية على وجه الإجمال نحو 50 حصاناً، وإلى جانب ذلك يوجد عدد من الخيل يقال إنه يبلغ مئة فرس كلها لشيخ أبوظبي». وقد ذكر الرحالة الألماني هرمان بوركهارت الذي زار أبوظبي عام 1904م والتقى الشيخ زايد بن خليفة، في مذكراته اليومية؛ بتاريخ 7 فبراير عام 1904م: «في عصر هذا اليوم قمتُ بتصوير الشيخ في المجلس، وكذلك قمت بتصوير أجمل فرس لديه». وهي الفرس التي أهداها شريف مكة لحاكم أبوظبي الشيخ زايد بن خليفة، وربما قدّمها مع السرج الرائع الزخرفة والرَّشمة

المفضضة على رأسها، ويُعتقد أنَّ الفرس التي أهداها شريف مكة إلى الشيخ زايد بن خليفة، ربما تكون من سلالة الصقلاويات التي هي نوع من عِتَاق الخيل (الأصايل).

الخيل في «قصتي»

ويتجلى اهتمام دولة الإمارات بالخيل وبالفروسية في كتاب «قصتي» لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي - رعاه الله - حيث

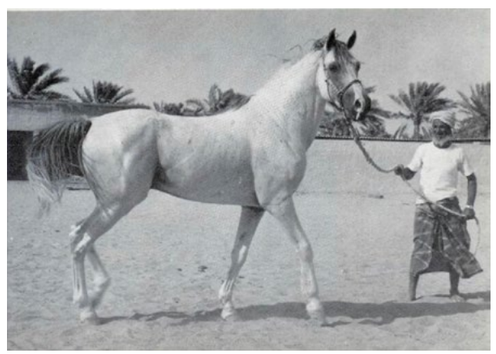

يقف وقفة مستفيضة مع الخيول وعالم السباقات والفروسية، ويظهر جلياً مدى عشق سموه للخيول ولرياضة الفروسية.

وفي فصول «قصتي» التي خصصها سموه للحديث عن الخيول ومكانتها، وعن رياضة الفروسية يتجلى ذلك الارتباط الناشئ منذ مرحلة الطفولة المبكرة، الذي يشير إلى عمق العلاقة بين سموه والخيول وعالم السباقات والفروسية، ويشعر القارئ بالحضور الكثيف للخيول في البيئة التي نشأ فيها سموه. وما لهذا الحضور من تأثير في نشأته؛ منذ سنوات طفولته المبكرة. في القصة الرابعة عشرة التي تحمل عنوان «الخيل الأولى» يتناول سموه فيها علاقته بفرسه الأولى «سودا أم حلج» أو «أم حلق»، ويصف في القصة الخامسة عشرة «السباق الأول»، ويقول: «إن السباق الأول مناسبة يستحيل أن أنساها ما حييت، ولحظات إثارة وترقب ما زلت أشعر بها كلما تذكرتها. إنها اللحظات الأولى دائماً؛ تبقى معنا، لا تذهب، الخيل الأولى، السباق الأول، الحب الأول. هي لحظات تبقى محفورة للأبد». ويروي سموه في القصتين السادسة والأربعين والسابعة والأربعين اللتين تحملان العنوان نفسه في جزأين: «أعظم حصان» ملحمة الجواد المظفر، الأسطورة «دبي ميلينيوم»، والتي يلمس فيها القارئ علاقة سموه بخيوله؛ فهي ليست علاقة مالك بخيله، وهي ذات طابع إنساني

تام، حيث يبدو الجواد «دبي ميلينيوم» صديقاً بالمعني الحقيقي للصداقة، والتواصل بين الفارس والجواد، ويدلّ على ذلك، التفاعل الكامل بين الطرفين. إن ما حفل به كتاب «قصتي» في مجال الخيل والفروسية يوحي إلى مكانة الخيول وأهميتها في الثقافة الإماراتية، والتي تؤكد أن العلاقة مع الخيول وعالم السباقات والفروسية، ليست مجرد رياضة، وإنما هي جزء من تراث الإمارات الذي لا يزال يزيد الحاضر ثراءً.

أحد الخيالة القُدامى يتذكر

في الجزء الثاني من كتاب (ذاكرتهم تاريخنا) الصادر عن الأرشيف الوطني، يقول الراوي صالح أحمد محمد حنبلوه الشحي: عندما بلغت من العمر أحد عشر عاماً، أصبحت خيالاً عند المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، من سنة 1961 إلى 1963م، كنا مجموعة من الأطفال نذهب إليه يومياً، ونركب الخيول، وأذكر أننا خرجنا من منطقتنا التي تسمى حالياً «محافز» على ظهور الإبل إلى مدينة العين، وهناك بقينا فترة ستة أشهر نتدرب على ركوب الخيل، ثم عدنا إلى منطقتنا، وبقينا على هذه الحال نحو ثلاث سنوات في مدينة العين، وستة أشهر أخرى في مدينة أبوظبي، وجاءنا الخير وزاد بمعرفتنا للشيوخ وقربنا منهم، ولم يقصروا معنا في شيء. ويذكر الراوي قصته مع الشيخ زايد، فيقول: عندما كنت خيالاً عند الشيخ زايد وعرفت عن طريقها قيمه السامية وأخلاقه الحسنة؛ فقد كنت أذهب إليه - رحمه الله - يومياً مدة سنتين لكي أتدرب، ولم أكن الفتى الوحيد، وإنما كنا مجموعة لا بأس بها من الأطفال بمختلف الأعمار، كنا نمتطي الجياد معه - رحمه الله - أحياناً، وفي بعض الأحيان تأتي إلينا السيارة فنركب جميعنا معه، ودائماً تأتينا السيارة في الصباح الباكر لكي نستطيع أن نتمرن ونكون في قمة النشاط، وبعد الانتهاء من التدريبات نعود أدراجنا بنفس السيارة التي ركبنا بها في الصباح، هكذا كان الحال يومياً. وقبل تنظيم رياضات الفروسية على الطريقة الحديثة، كانت سباقات الخيول تقام في الماضي في الأعياد وفي المناسبات الكبرى.

جذور سباق الخيول في الإمارات

في كتاب (الإماراتيون .. كل أيامنا الخوالي) الصادر عن الأرشيف الوطني، يقول المؤلف أنتوني رندل (الذي كان ضابطاً في الإمارات المتصالحة في الفترة من (1960 - 1964): أثناء تقديم التهاني بالعيد عام 1961 طلب مني المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه - تنظيم سباق بين خيوله وخيولنا. وكان ذلك تحدياً لا بد من قبوله، خاصة وأن الشيخ زايد قد رصد للفائز جائزة مقدارها أربعمئة روبية، وكان ذلك مبلغاً ضخماً في تلك الأيام، وبهذا أكون قد كُلفتُ بتنظيم أول سباق دولي للخيل في أبوظبي، فقد كان ذلك السباق أصل سباق كأس رئيس الدولة، عام 2010م، ويكاد يكون من المستحيل وصف الجو في ذلك الوقت، فكلا الطرفين كان يحلم بالفوز، وقد تملكهما إصرار شديد وعزم قوي، ولكن التوتر قد انتقل إلى الخيول ذاتها.

بدأ السباق في إطار الاحتفالات بالعيد؛ وحين وافق الشيخ على إقامة السباق، شعرت بأنني في مأزق، فقد اتجهتْ كل الأنظار نحوي، وأنا أقوم بما يسمونه في الجيش بعملية التقدير للموقف، فلدى الشيخ سبعة خيول ليختار منها، وكان أحدها أعرفه جيداً أفضل من كل ما لدينا، فهو الأجدر بالفوز، ولم يكن بوسعي رفض التحدي؛ لأنه إذا حدث ذلك لن ينساه أي من الناس في الواحة، ولا جنودي. وفوق ذلك كله كان التفتيش على سربَتنا قد اقترب والوقت المتوافر لتدريب الخيول قليل، وساد الصمت تماماً، وكنت أعي أنه ليس بوسعي إلا أن أقول شيئاً واحداً لذا اقترحت أن يتم السباق بعد أربعة عشر يوماً، وهنا أرسل الشيخ بأحد رجاله لكي يحضر قائد الخيّالة، وبعد محادثة سريعة بين الشيخ وذلك القائد تبين أنهم بحاجة إلى سبعة أيام لتدريب خيولهم، واتفقنا على إقامة السباق بعد أحد عشر يوماً، وارتاح الجميع فليس ما هو أكثر سعادة وبهجة عند العرب من مشاهدة السباق، ولا سيما أن السباق بين ضباط بريطانيين والخيّالة الذين هم تحت قيادتهم، وتم الاتفاق على تنظيم السباق على أن يتسابق اثنان من خيولنا مع اثنين من خيول الشيوخ، وعلى مضمار يتم تحديده قبل يوم السباق، وكان الشرط الوحيد هو ركوبي أحد الحصانين. ويضيف: بينما كنا مشغولين بالعمل في القلعة كانت خيول الشيخ تتدرب لمدة أربع أو خمس ساعات يومياً، وكان خيّالها على درجة عالية من المهارة، وكانوا يمتطون ظهور الخيول بدون أي سرج، ويستخدمون العقال لتوجيهها، وكلما شاهدتهم يركبون خيولهم ازداد إعجابي ودهشتي بمهارتهم، وكانوا يجعلون الخيول تعدو وتقف على سيقانها الخلفية بتوازن تام، ومعروف أن العرب يجيدون ذلك نظراً لأنهم قد تعودوا على ركوب الخيل منذ طفولتهم، وكان لديهم اعتقاد بأن غسل الفرس بالماء العذب يزيد من قوته، لذا كانوا يجعلون الخيول تقف في الفلج لمدة ساعات، ويغسلون أجسامها باستخدام قطع الاسفنج، وقد أعجبتني تلك الفكرة، وبصعوبة بالغة أقنعت السايس العربي لدينا بمعاملة خيولنا بالطريقة ذاتها حتى لا تضيع فرص نجاحنا في السباق. قبل السباق بثلاثة أيام جاءني استدعاء لزيارة الشيخ في قلعته لمناقشة التفاصيل، وكان ذلك ما انتظرته بالفعل؛ لأنه لم يكن من الممكن تدريب خيولنا ذات المزاج الحاد بشكل سليم ما لم يكن لدينا علم بمكان إقامة السباق، ويصف رندل بدقة شديدة سباق الخيل الذي أقيم في 1961م.

الإمارات بالخيول الأصيلة

أعلنت مدينة أبوظبي العام الماضي عن استبدال اسم منطقة (بين الجسرين - المقطع) باسم «ربدان»، وهو اسم خيل يمتلك من سلالتها صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس دولة الإمارات، كما كان المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مؤسس الدولة يمتلك من سلالة (ربدان) ويوليه رعاية خاصة، ويحثّ على العناية بهذه الخيول الأصيلة، وإكثارها لتمتد إلى الأجيال القادمة، وسلالة (ربدان) من سلالات الخيول الأصيلة التي تمتلكها أسرة آل نهيان الكرام منذ مئات السنين، ويعدّ الشيخ زايد الأول وذريته من آل نهيان أشهر ملاكها.

وذكر الرحالة الألماني «هرمان بوركهارت» نقلاً عن الشيخ زايد الأول عام 1904م أن فرس (ربدان) من سلالة الخيل الصقلاوية الشهيرة، كما تعد (ربدان) رمزاً تراثياً أصيلاً. ومن أشهر سلالة (ربدان) خيل الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان حاكم أبوظبي إبان الفترة الممتدة ما بين (1855 - 1909)، فأصبح لها نسل وسلالة معروفة، وما تزال الإمارات تولي هذه السلالة الرعاية والاهتمام، لضمان استمراريتها كعنصر تراثي أصيل. ويعكس الاسم الجديد (ربدان) الذي أطلق على منطقة (بين الجسرين) في أبوظبي، اهتمام القيادة الرشيدة في دولة الإمارات العربية المتحدة بالخيول الأصيلة كرمز عربي عريق، يحمل ويجسد الموروث الثقافي والاجتماعي والتراثي للمجتمع ■

مرويات من الذاكرة عن الصيد قديماً

الباحثة مريم سلطان المزروعي

قصة الانسان والطبيعة، هي قصة لا يعرف معناها الا من عاش بين ربوعها وجنباتها وتأمل بأحداثها ومواقفها، بحلوها ومرها، علاقة وثيقة رسمتها الأيام، فقساوة الحياة في الماضي هي من حددت نوع هذه العلاقة وحددت مسارها، انتفع الانسان من خيراتها وسخرها ليكمل دورة الحياة الطبيعية، لكي يضمن بقاءه واستمرار جنسه من الانقراض، فقد كافح ابن الامارات في ضوء معطيات بيئية فقيرة شحيحة من أجل إشباع حاجاته الأساسية بما تجود به الطبيعة وسخر ما بها لتسهيل حركته ومساراته فاستعان بالناقة التي كانت رفيقة دربه، وأخذ من مواردها فاستطاع أن يبني له مسكناً لكي يستقر به، واستخدم الأدوات المتاحة أمامه للحصول على غذائه، وبهذا خلق ظروف حياته وفقاً للمعطيات الطبيعية التي وجد نفسه في مواجهتها.

كانت الصحراء مرتعاً للعديد من الطيور بأنواعها المحلية والمهاجرة والحيوانات كالأرنب والضبان والثعالب والضفادع البرية والجرابيع، وغيرها، وهذه الحياة الخصبة كانت سبباً وحافزاً ليمارس ابن الصحراء مهنة الصيد لسد حاجاته الغذائية، وكذلك ممارسة رياضة «القنص» أي الصيد بالصقور، باستخدام الطيور والكلاب السلوقية أو التفق التي هي بندقية البارود أو البنادق بأنواعها المختلفة، وإذا جئنا للبحر اعتمد الانسان على البحر في البحث عن رزقه، والغوص في أعماقه، وكانت الجزر من أهم عوامل الجذب التي تكثر بها الأسماك المتعددة الأنواع وبالأخص الهامور والكنعد واستفاد من بيئته وصنع منها أدوات من مواردها البسيطة حتى يضمن بقاءه واستمراره.

ذكر أحد الرواة: «الطيور أنواع مختلفة ومتعددة كانت ولا تزال تعيش في العديد من الجزر كأم الحطب والياسات والجزر كثيرة، وفي مختلف شهور السنة، وهناك نوعيات من الطيور بدأت بالاستقرار في هذه الجزر لما فيها من بيئة خصبة جاذبة خاصة في مواسم الشتاء والربيع، بحثاً عن الدفء والبيئة الخصبة، والطيور أنواع ومسميات منها على سبيل الذكر لا الحصر: الخشخاش والصُلالّ والكروان واللوه والنورس والشواهين

وهذه كانت سبباً في لفت انتباهنا والاستعانة بالطيور الجارحة كالشاهين في توفير معيشتنا اليومية من صيد وقضاء وقت الفراغ، كنا نصنع الأكواخ وهذه طريقة تعلمناها وتوارثناها من آبائنا فالكوخة أشبه بالخيمة صغيرة مغطاة بورق الشجر، يختبأ بها الصياد أو المكواخ لها مدخل صغير وفتحة أو شباك خلفي، وبالقربة من تلك الخيمة يوجد بيت للحمام وهي حفرة مغطاة من الأطراف الثلاثة ويختبئ فيها عادة الحمام الراعي البني اللون، وعلى يمين الخيمة توضع الشبكة التي تستخدم لصيد الشواهين ويطلق عليها السوت. يستقر المكواخ بداخل الخيمة ويكون معه طير صغير الحجم يستخدم كطعم يطلق عليها البذوار ويضع برجله قطعة نحاسية وخيطاً رفيعاً ثم يتركه يحوم لمسافة قريبة، حتى يلمحه الشاهين وما أن يقترب منه الشاهين حتى يصدر صوتا يسمعه المكواخ فيقوم بسحبه بشكل بطيء بينما الشاهين يتبعه وفي نفس الوقت يخرج المكواخ الحمامة لتلفت نظر انتباه الشاهين، الذي يهجم على الحمامة فيسهل على المكواخ صيد الشاهين، عندما يمسك الشاهين بالحمامة يقوم المكواخ بالمشي ببطء اتجاهه ورمي الشبكة عليه فتعلق بمخالبه، ويعمل بعدها على تقطيب عينه لمدة 5 - 8 أيام أي

تغطيتها تماماً، ليسهل ترويضه، وموسمها يكون ما بين شهر أغسطس وحتى شهر نوفمبر، وهذه الطريقة تستخدم لدى العديد وفي مناطق مختلفة في رأس غميص والسلع وفي الجزر في غاغه وأم الحطب والياسات، التكويخ مهمة شاقة تبدأ من الفجر وحتى غروب الشمس وقد تستمر لشهر قد يصيد وقد لا.

السيد محمد المنصوري من ذكرياته يقول: إن معظم الأوقات كنا نخرج للبحث عن صيد الارانب، وليس لدينا وقت معين لكن دائماً نفضل الفترة الصباحية قبل شروق الشمس أو في الليل نتبع آثارها حتى نجد جحورها ويكون أكثر متعة صيدها وهي نائمة، لكن الحيوانات بشكل عام في أوقات قليلة الحرارة تخرج من جحورها فتكون سهلة المنال بالنسبة لنا، نأخذ معنا كلابنا المدربة السلوقي، فهي رفيقنا في رحلات الصيد، فقد كنا نصيد الارانب والثعالب، كنا نجد عند الشجرة الواحدة ما يقارب 2 - 5 أرانب، والواحد منا كان يستخدم العصا أو يده في سحب الارنب من جحره، كما كنا لا نستغني عن الطيور كالشاهين في صيد الحبارى والكروان، ولدينا محميات عديدة زاخرة، نحاول أن ننوع فيها ولا نعتمد على محمية من دون الأخرى حتى لا نُستهلك وبالتالي نقضي على الحيوانات الموجودة فيها، ونتركها تعيش وتكبر بسلام.

السيد غانم المزروعي يؤكد: كانت الطيور كثيرة، وكنا نمارس رياضة القنص، كما أذكر بأن الحبارى كُثر وأعدادها أشبه بأعداد الجراد، كنا نصيد الضب، من خلال البحث عن حجورها؛ حيث يتم جلب حبل طوله لا يزيد على نصف متر ويثبت طرف بصخرة كبيرة والطرف الثاني يربط على شكل أنشوطة التي توضع عند مخرج الجحور، عندما يخرج الضب يعلق به، وأسرع طريقة حتى نسلم من قوة عضة أسنانه وقبضته نقوم بالاحتكاك بكل قوة على عموده الفقري فيصاب بالشلل فلا يستطيع الحراك، وعندما نرجع للمنزل، كنا نتقاسم الصيد على جيرانا، كل عائلة تأخذ قسماً والباقي تقوم النساء بأعداد وجبة الغداء أو العشاء وتعزم الجيران على هذه الوليمة الشهية، لكن حالياً وضعت أوامر صارمة وتوجيهات من قبل المغفور له الشيخ زايد بن سلطان بالمحافظة عليها ومنع صيدها حتى لا تتعرض للانقراض.

عند لقائي بالسيد عبيد المحيربي، ذكر: في الماضي كان لدينا العديد من الجزر أشبه بالمحطات ومغاصات معطاة محيطة بالخيرات الطبيعية الغنية باللؤلؤ كجزيرة دلما التي تعتبر من أهم الجزر التي استقر بها العديد من الصيادين وأسرهم، التي كانت نقطة جذب ومحطة اقتصادية مهمة بحكم موقعها الاقتصادي، وهناك من الصيادين من يأتي في أوقات الصيد بالمواسم المعروفة لدينا والتي يعرفها ويحفظ كل صياد عن ظهر غيب، وطرق الصيد مختلفة، وهناك من يستخدم السفن التي يطلق عليها الجوالبيت والمكوث في البحر لشهور عديدة تصل من أربعة إلى ستة أشهر، يقول الشاعر سعيد بن عتيج الهاملي من جزيرة دلما:

صـــاح بزقـــرْ لمنـــادي بخطوفـــــه
يـــــوم السفـــــن بتشـــــلْ
غمّـــس علـــى الفـــؤادي بالكوفـــه
ولا وادعـــــــــه بالجِـــــــــلْ
ويـــن اقْمـــري لمجـــادي ما شوفـــه
لـــــي نـــــوره معـــــــتزلْ

وهناك من يصيد بالقرب من شاطئ البحر، باستخدام الألياخ مفردها الليخ وهي شبكة الصيد المصنوعة من خيوط النايلون أو القطن، التي تنصب وعندما تكون حالة البحر ما بين مد وجزر تُدخل كميات كبيرة من الأسماك في هذه الألياخ وتعجز بعدها

من الخروج منه، ويتم استخراجها على دفعات والمحافظة عليها بعد تمليحها، كنا نحدق وهذه طريقة تعرف باسم (الحداق) أي الصيد بالشص الذي هو (الميدار) كما كان أهالي الجزيرة يصيدون الحمس (السلاحف) ويستفيدون من لحمها وبيضها وعظامها في صناعة (الخطامات) وهي ما يوضع على أنف الغواص عندما يغوص في أعماق البحار، كذلك استخدموا (القراقير) في عملية الصيد والتي هي عبارة عن شباك من الأسلاك ولكل قرقور فتحة يسهل منها دخول السمك لأكل الطعم ومن ثم لا يستطيع الخروج منها، وقبل وضعها في الماء تربط بـ(البويات) والتي هي قطع أشبه بالفلين تطفو على السطح، ولتكون علامة يستدل على وجودها وتترك لمدة 5 أيام تقريباً.

قديما كان الصيد فقط يستخدم لسد الحاجات الأساسية الضرورية، لكن مع مرور الوقت تحول الصيد إلى نوع من الاستهتار من قبل الشباب لمجرد الصيد للمتعة والاستعراض، وهذا كله قد أثر على البيئة والتنوع البيولوجي، مما أدى إلى انقراض عدد من الحيوانات والطيور، وأصبح بعضها مهدداً بالانقراض، فقامت دولة الامارات بفرض وشرع القوانين التي تنظم وتحد من الصيد المفرط وغير القانوني سواء كان على مستوى البحر أو البر ولا ننسى معارض الصيد والفروسية التي تنظم بشكل سنوي بدعم من قيادتنا الرشيدة وحرصها على الاهتمام بالبيئة إلى جانب الاحتفاء السنوي بهذه الرياضة من خلال الاحتفالات والمسابقات حتى تبقى موروثاً في عقول أبنائنا ■

الخيل العربي: قوة، وفاء، وصدارة

د.هلا علي

قال عليه الصلاة والسلام: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» وحين سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معد يكرب: كيف معرفتك بعراب الخيل؟ قال: معرفةُ الإنسان بنفسه وأهله وولده. وكأن ثمة علاقة وجودية بين الفروسية من جهة والأخلاق الحميدة ونبالة الأخلاق والصدق من جهة أخرى إلى الحد الذي يدفع بنا إلى إطلاق الوصف: «فارس» على كلّ من يتمتع بسمو الأخلاق وكرم النفس. فالفارس إنسان نبيل النفس راقٍ شجاع لا يعرف الغدر ولا البخل ولا الخداع. فهل هي صفات خلقت مع أحدهم فكان فارساً أم أن التعامل مع الخيل هو الأمر الذي ولّد مزايا ما كانت لتوجد لو أن هذا الشخص لم يكن في مجال الفروسية نظراً للعلاقة القريبة والمميزة التي تربط الحصان بصاحبه فيتأثر به ويؤثر! فالخيول، كما يقول مدربوها، أكثر نبلاً من الإنسان في بعض الأحيان، ولا تعرف خيانة صاحبه، فقد فطرها الله تعالى على حسن النوايا والنبل، فالحصان حيوان نبيل بكل معنى الكلمة.

حين نسمع كلمة «خيل» لابد أن يقرنها الذهن على نحو مباشر بكلمة «عربي» إذ إنّ الخيل العربي هو الأكثر تميّزاً على الإطلاق، وعُرف عن العرب حبّهم للخيل وتعلّقهم به. الخيل العربي يتمتع بالقوّة والصلابة، وتجعله سلالته المعروفة بالعديد من الميّزات في المقدمة أبدًا، لذلك تميّز العرب بشدّة حفاظهم على الأحصنة ونسلها ونقاوة سلالاتها، فأمستْ الخيول العربية أنموذجاً يسعى إليه كل من يعمل في هذا المجال إذ يجري العمل على تحسين سلالات الأحصنة غير العربية بتهجينها بالحصان العربي لإنتاج سلالات تحمل الصفات العربية ذاتها من قوة وشجاعة وشدة تحمّل وثبات ونشاط ووفاء لصاحبها وإخلاص له وتلك صفات لا تتمتع بها السلالات الأجنبية من الأحصنة. فعلى خلاف الحصان الأجنبي يتمتع الحصان العربي بخصوبته العالية، إذ لا يفقد قدرته على التناسل حتى لو تقدّم به العمر، ويمكن للفرس العربي الأصيلة أن تنجب لغاية عشرين مُهرًا خلال العام، كما يُمكن استخدام الأحصنة العربية للتناسل مع الأحصنة الأخرى حتى وهي في عمر الثلاثين.

لماذا يفوز الحصان العربي في السباقات؟

لوحظ في السباقات العالمية أن الخيل العربي هو المتصدر قوائم الفائزين ولهذا أسبابه التي تدفع كل مهتم بالخيول إلى اقتناء الحصان العربي مهما كان ثمنه باهظاً. إذ يمتلك الحصان العربي من دون غيره جهازًا تنفسيًّا قويًّا، كما تُتيح له الفتحتان الأنفيتان الكبيرتان نسبياً استنشاق كميات كبيرة من الأكسجين دفعة واحدة. وقد أشارت الفحوصات المخبرية التي تمّ إجراؤها لدمه بأنّ نسبة الهيموجلوبين فيه عالية، وهذا ما يفسر تمتعه بالنشاط والقوّة الدائمين وعدم شعوره بالتعب مهما بذل من مجهود، كما يتميز بالصبر الكبير على تحمُّل الصعاب والمشقّات في المسافات الطويلة، وتحمُّل تقلبات الطقس، ولهذا فإنّه يفوز دائمًا في سباقات المسافات الطويلة على مستوى العالم على نحو لافت إذ يُظهر الحصان العربي تفوقًا دائمًا لا يجاريه فيه أحدٌ من الخيول.

هذا بالإضافة إلى شجاعته اللافتة إذ لا يبدي الحصان العربي أي خوف من الحيوانات المفترسة بل يحاول مهاجمتها بقوة وعزيمة لافتين. ومنذ القدم كان حضور الحصان العربي سبباً كافياً لضمان الفوز في المعارك بل إن قوة شكيمته لقادرة على تغيير مسار المعركة بالكامل. فقوة الحصان العربي جعلت حضوره في القصص الشعبية وحكايات المعارك والحروب حضورًا مذهلًا، لهذا يصف الشعراء والأدباء صولاته وجولاته في المعارك وقدرته على الركض على نحو لا يجاريه فيه أي حصان من سلالة أخرى ويجعله في المقدمة أبدًا. وما يميز الحصان العربي أنّه يكتفي بكميات قليلة من الطعام وهذا ما كان يساعد العرب كثيراً وقت المعارك التي قد لا يتوفر فيها غذاء الخيل بصورة مناسبة. لكن اليوم لابد من الانتباه إلى أن ثمّة أغذية للأيام العادية وأغذية خاصة بأيام السباق وما قبل أيام السباق، إذ لا يجوز أن تقدم للحصان طعاماً في طعم حار مثل الدبس مثلاً الذي يرفع ضغط الدم ويجعل الجسم حاراً، ولذلك يقوم المدربون بوقف تقديم الدبس للحصان قبل السباق بخمسة أيام. والاعتماد على الشوفان والحشيش والشعير الذي يريح جهازه الهضمي ويمنحه التوازن والراحة. لكن الحصان العربي لا يستهلك كميات كبيرة من الغذاء على عكس باقي السلالات، من هنا كانت تربيته مربحة وموفرة اقتصاديًا.

الذكاء والقدرات الذهنيّة

للحصان العربي قدرة هائلة على الحفظ والتذكّر إذ يقول المدربون إنه يكفي أن يمر الحصان العربي مرة واحدة في المكان كي يتذكره لمرات أخرى عديدة. ويكفي أن تناديه باسمه مرات معدودة حتى يحفظ اسمه فتراه يلتفت إليك إذا نادينه به. فله من الفطنة والذكاء والقدرة على التعلّم ما يسحر المراقبين. يميز الحصان صاحبه عن الآخرين ويعرف وقع أقدامه وينتظره إن غاب حتى يعود ويعود ذلك إلى ذاكرته القوية جدًا وفطنته التي تمكنه من عدم نسيان الأشخاص، لا الأمكنة فحسب، ولهذا تجده وفيّا جدًا لصاحبه، ولا ينسى من يهتم به ويُحسن إليه ويطعمه ويعتني به، على نحو ينافس به مرتبة الصديق لصاحبه، فالحصان يفهم مزاج صاحبه بل وتقلبات مزاجه أيضا، إنه يعرف ذلك من الرائحة والسمع والصوت، يشم صاحبه فيعرف إن كان منزعجا أو أصابه ضيق ما فلا يتركه حتى تهدأ نفسه. والحصان العربي مستعد للتضحية في سبيل سلامة صاحبه، فإن رآه في أذىً يبدأ بالصهيل ولا يتركه أبدًا، ويُحاول لفت أنظار الآخرين إلى صاحبه حتى يتم إنقاذه.

أشهر أنواع الخيول العربية

الجدير بالذكر أن الحصان يختلف عن الفرس في قوته وشدة تحمّله وشجاعته وصبره على الجوع والعطش والمسافات الطويلة، في حين تتميز الفرس برقتها ولطافتها ومزاجها الحساس جدا إذ إنها تتعب المدربين لشدة مزاجيتها وفرط حساسيتها حتى إن الفرس العربية الأصيلة، كما قال خبراء في تربية وتدريب الخيول العربية، تضرب عن الطعام وتصاب بالاكتئاب إذا ما تعرضت لقسوة من صاحبها أو إذا ما تم حبسها في الاسطبلات لمدة طويلة فهي تعشق الحرية وتكره القيود. الخيل عموماً كالبشر تكره وتعشق وتغضب وأحياناً تصبح مزاجية وإن أحببتها وعطفت عليها ودّتك وأحبتك، وإن آذيتها وأسأت إليها رفستك وعضتك إنها تعامل الإنسان بالمثل. لذلك في السباقات العالمية والمهمة ينبغي مراعاة الخيل لأنها لن تعطي نتائج مرضية إن لن تتم مراعاتها. فأهم مافي التدريب هو تنمية روح التفاهم بين الحصان والمدرب وهذا ما يؤكده مدربون محترفون متخصصون في متابعة مسابقات الخيول. الخيول أشبه بالأطفال يمكن أن تأسرهم وتجذبهم إليك عندما تطعمهم الحلوى ولكن ينفرون منك ويكرهونك عندما تضربهم وهكذا فإن الخيل تحب المعاملة الطيبة. وعندما يشاكس أحد الخيول لابد من معاقبته ولكن هذا يجب أن يتم بعد ارتكابه للخطأ مباشرة وإلا لن يفهم لماذا جرت معاقبته وهذا سيولد لديه الحقد على مدربه. لذلك كان لزاماً على المدرب أن يفهم ذلك جيداً كي يفهم سبب مزاجية حصانه أثناء السباقات، وتقلبه بين مندفع مقدام وشيك الفوز وبين خائر القوى وغيرراغب بالمواصلة، إذ تراه فجأة توقف عن الجري وكأنه يعلن بذلك تمرّده على صاحبه الذي يقسو عليه أحياناً ويعاقبه أحياناً أخرى دون أن يعرف الحصان ما الذنب الذي اقترفه لذلك كان التفاهم بين الخيل ومدربيه من أسس نجاح العمل الفروسي وسبب الفوز في السباقات. ويلاحظ أن أسماء الخيل العربية مشتقة من صفاتها فهناك الصقلاويّة أي ذات الشعر المصقول المسترسل اللماع وهي من أشهر أنواع الخيول العربية، وهناك المعنقيّة أي ذات العنق الطويل الجذاب وتعتبر من أعرق أنواع الخيول العربية، وهناك الخيل العبية وتقول الرواية العربية أن تسميتها جاءت من أن من اعتلاها كان يرتدي عباءة فكان منظرها عن بعد لافت جداً فسميت بالخيل العبية . وهناك الكحيلة العجوز فعيناها كحيلتان واسعتان ويقال في الروايات العربية أن أول من اعتلاها هو شخص يُقال له العجوز. والخيل الشويمة هي التي تنتشر على جسمها الشامات على نحو لافت وجميل. وهناك الخيل الحمدانية التي تمتاز برشاقتها الكبيرة، وقدرتها الهائلة على الركض في المعارك وقطع مسافات طويلة.

لكن تبقى أكثر أنواع الخيول العربية شهرةً هي الدهمة وتلك أفضل أنواع الأحصنة العربية على الإطلاق، ومن المعروف أنّ الدهمة هي الفرس التي امتلكها عنترة شداد إذ لم يمتطِ غيرها طوال حياته. وقد وصف النبي -عليه الصلاة والسلام-الخيل الأدهم بأنّه من أفضل الخيول ■

الفروسية عند بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة الغربيين

د. علي عفيفي علي غازي

يعتقد بعضهم أن الفروسية ترتبط بالشجاعة في النزال في ساحة الوغى فقط، كما قد يبدو للوهلة الأولى أنها مشتقة من ركوب الفرس (انثى الخيل)، إلا أن للفروسية عند بدو العراق والجزيرة العربية عادات وتقاليد وقيم؛ إذ يُجمع على ذلك الرحالة الغربيين، الذين ارتحلوا في المنطقة، وكتبوا عنها؛ فالحياة البدوية تتميز بعادات وتقاليد ومُثل ورثها العرب، وعندما ارتحل الغربيون في المنطقة بدؤوا يقفون على بعض الخصائص الراقية بالشخصية العربية كالفروسية، والتي لم يستطيعوا منع أنفسهم من الإعجاب بها.

ولا تزال العديد من القبائل العربية تحتفظ بتاريخها في الأغاني والأهازيج التي تُؤدّى مع العرضات في المناسبات، فتثير في الرجال الحماسة؛ بما تتضمّنه من معاني الفروسية والبطولة. وقد تُروى هذه الأهازيج في الجلسات الخاصّة، التي تجمع بين أفراد العشيرة أو القبيلة أو الفريج.

وهذه الأغاني والأهازيج تُمجد الفروسية، وصفاتها الملازمة من الشجاعة والتسامح والكرم؛ فالعربي هو الشجاع الذي لا يلين أمام العدو، والمحارب الذي يتقدم الصفوف دفاعًا عن الأرض والعرض، والفارس الذي يتحلى بشمائل الفروسية العربية من الكرم والمروءة والشهامة والنجدة وغيرها. ويشير الرحالة الألماني ماكس فون أوبنهايم (1860- 1946)، Max Von Oppenhiem، الذي قام برحلته من البحر المتوسط إلى الخليج العربي في صيف عام 1893، إلى أن قصائد الحرب والفروسية، «تُغنى من الشاعر أو من الذي يلقبها برفقة الربابة، وهي آلة وترية بوتر واحد». وتحمل هذه الأغاني والأهازيج جزءًا من المسلسل الرومانطيقي غير المكتوب عن الفروسية في الصحراء، الأنشودة التي يُبقي بها البدو ذكرى ماضيهم البطولي والمستقل حية.

وكانت، ولاتزال، المُثل العربية في الفروسية والكرم والشجاعة والفخر والولاء للقبيلة والديرة (الوطن) حاضرة في الحياة العربية، وفي الشعر والنثر مستمدة من الصحراء، إذ لا تزال قرارة النفس العربية تحمل بين جنباتها حنيناً خفياً إلى الصحراء، التي لاتزال تحتل في نفوس العرب مكانة مرموقة. ويُرجع الرحالة خُلق الفروسية عند بدو العراق والجزيرة العربية إلى طبيعة أرضهم القاسية، فهي بعُنفها وقساوتها فرضت على ساكنها قساوة العيش وخشونته، لذلك شكلّت القوة والبأس والمنعة عماد الحياة عندهم، فالقوي هو الذي يحيا الحياة الحرة الكريمة، ويختار ما يشاء من المراعي والمياه، وينزل في كل أرض، فيلجأ إليه الضعيف يحتمي به ويلوذ في كنفه. ومن هنا كانت الشجاعة

والفروسية، وركوب الأخطار، والصبر على المكاره وتحملها، وحماية الجار، وإغاثة المستجير من المزايا التي نظروا إليها نظرة تمجيد واعتزاز. ومن هنا كان اعتزازهم بالنسب والعصبية، وفاخروا بالشجاعة والبطولة والفروسية، واستحبوا لأنفسهم أن يموتوا على ظهور الخيل وسط المعارك من أن يموتوا على فراشهم حتف أنوفهم. وتفرض الفروسية على البدو قيم وضوابط وأصول يلتزمون بها، فيذكر الرحالة البريطاني ويلفريد ثيسجر (1910 - 2003)، Wilfred Thesiger، الذي قام بعدد من الرحلات والأسفار في الربع الخالي وما حوله بين عامي (1945 - 1950)، أن البدو يعيشون «على شن الغزوات، وعلى صدها، والتي تجري وفق قواعد موضوعة وبروح الفروسية». ويُضيف الرحالة الفرنسي إميل أوبليه Émile Oblé، الذي ارتحل في المنطقة عام 1916 أن البدو يمتلكون أخلاق الفروسية. ولقد افتتن كثير من الرحالة الغربيين بعادات وقيم بدو العراق والجزيرة العربية، وبمآثر الفروسية لديهم، وعشق الكثير منهم بالفروسية، فقد أولع ريتشارد برتون (1821- 1890) Richard Burton بالفروسية، والمبارزة بالسيف. وقد ضمّ كتاب رحلته في شبه الجزيرة العربية العديد من الاقتباسات من الشعراء الجاهليين وغيرهم عن الفروسية. ولعل أطول اقتباساته وأروعها تلك الأبيات التي نقلها عن معلقة أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري من هوازن قيس (ت. 661م)؛ حيث استشهد بها حين أشار إلى عشق العربي لأرضه، كما استشهد بعنترة بن شداد العبسي (525 - 608م) وديار عبلة ليُدلّل على ارتباط الفروسية بالعشق في الشخصية العربية، ما ينعكس حبّاً للمكان. ويستشهد ببيت ورد عن عنترة فحواه أن الحب يثير كل نوازع الفروسية في الإنسان. ويقول: «إن عادة مواجهة الأخطار أثناء الغزوات والنزاعات الدموية والمواجهة المستمرة للموت والصحراء والمطاردات، والتعرض القاسي للتقلبات في الطقس والأحوال الجوية...، ووجود الأسلحة واستعمالها، والفروسية، وإطلاق النار بشكل حاد، والتمرينات العسكرية؛ تعودهم على مواجهة الموت وجهًا لوجه كرجال، كما أن الحوافز الكبيرة القوية تخلق منهم أبطالا». ويؤكد الرحالة السويسري جون لويس بوركهارت (1784- 1817) John Lewis Burckhardt مهارة البدو في الفروسية والرماية؛ فيذكر أنه شاهدهم «يُسلّون أنفسهم بالرماية على هدف سبق أن حددوه، كشف هؤلاء البدو

عن مهارة كبيرة في الرماية، فقد كانوا قادرين على إصابة القرش، الذي وضعته أمامهم على مسافة أربعين ياردة».

ويذكر الرحالة البريطاني جمس سلك بكنجهام James Silk Buckingham (1786- 1855)، الذي وصل الشارقة ليلة 26 نوفمبر 1815، أن كل العرب «يُغرمون بالفروسية، واستعمال الأسلحة ببراعة». ويُربي البدوي منذ صغره على الفروسية، إذ يذكر أوبنهايم أنه يتعود منذ طفولته الأولى، على الفروسية والقتال، وعلى الصلابة والصمود تجاه سائر ضروب المشقات والآلام والأخطار. وإذا ما بلغ الصبي قدرًا من القوة يسمح له بركوب الخيل من دون مساعدة ينبغي عليه عندئذ أن يتمرس على ألعاب الفروسية، ويبدأ في حمل واستعمال رمحه منذ الحادية أو الثانية عشرة من عمره. ويُشير الطبيب الفرنسي مارتينيه Martinet إلى أن البدوي منذ صغره يعوّد على الفروسية، «فيركبونه فرسًا يسوقها برسن واحد مصنوع من الوبر، ويكون السرج غالبًا بدون ركاب، وهو يتجول بها مسافات طويلة تنوف عن المئة كيلو متر من دون أن يقف أو يعرج على حي ثان، وحينما ترحل العشيرة من مكانها يذهب للتفتيش على المراعي والمنازل، وقبل أن يأتي رائد آخر، ويسبقه إلى هذه المهمة، وحين الظعن يرافق القطعان وهو راكب، لأجل أن يُخبر عن هجوم قد يقع على هذه القطعان، ولكي يدافع عنها أيضًا، وقد يقوم هذا الفتى ببضعة أعمال من البطولة، وحينئذ تراه قد انشرح صدره انشراحًا عظيمًا وزاد غرورًا وافتخارًا؛ حينما تستقبل النساء الغزاة الراجعين الظافرين الغانمين ويرحبن بهم ويزغردن... وقد تشترط الفتاة المخطوبة على خطيبها أن يأتي بمأثرة أو مفخرة، وقد اختصت بنات الشيوخ وحدهن بحق انتخاب الخطيب وحق فرض الشروط عليه، ولذا ترى خطابهن يقابلنهم أحيانًا بعمل من أعمال الفروسية الخالدة». ويصف الرحالة البريطاني جيرارد ليتشمان Gerard Leachman (1880- 1920)، سعود بن عبد العزيز بأنه «يجيد الفروسية، وركوب الخيل، وكانت هوايته وتسليته الوحيدة». وتشير الرحالة البريطانية آن بلنت Ann Blunt (1837-1917)، التي قامت في شتاء عام (1878 - 1879) برحلة برفقة زوجها من دمشق إلى حائل، إلى أنها لم ترَ في حياتها منظرًا أجمل من طلال ابن أخ فارس، شيخ مشايخ شمر، وهو يمتطي فرسه الكميت، ويتسلح برمح أطول منه بمقدار ثلاث مرات، ويؤدي أناشيد حربية مع عمه وعشرين من الخدم المخلصين، «وأخذ يمارس بجواده الكر والفر حاملاً رمحًا ذات رأس فولاذية على ظهره طولها ستة انشات، وكثيرًا ما كان يكر على عمه، ويسر بجانبنا متحديًا، ويتظاهر بمهاجمتنا وفقًا لأعراف الفروسية، ثم ينطلق مبتعدًا كالسهم برفقة عمه الفارس الشجاع الماهر، ويعود ثانية من خلفنا يرعد ويزبد ورمحه يهتز فوق رأسه، ثم يرجع ويستدير مستفيدًا من خفه وزنه هاربًا من جديد في مشهد جميل من مشاهد الفروسية».

يحكي الرحالة البريطاني جيرالد دي جوبري Gerald de Gaury (1897- 1984)، عن الفروسية العربية في الحروب التي تجري بين القبائل؛ فيقول إنهم كانوا يحتفظون بعادة عربية قديمة، فعادة ما ينتظم المحاربون حول عذراء من ذوات الحسن الفائق من بنات أحد شيوخ القبائل. تركب هذه البنت الشهيرة بجمالها بعيرًا أبيض في هودج مكسوّ بالقماش القرمزي والأزرق، ومزيّن بريش النعام، وتظل تجوب منطقة الجيش بين القائد وحامل العلم جيئة وذهابًا، بينما تقوم فرق الاستطلاع، الذين يمتطون صهوات الجياد، برصد مواقع العدو، وحين يتحققون ويعودون بتقاريرهم يعطي الشيخ الأمر للهجانة بالهجوم، بينما تقوم البنت المذكورة بإنشاد أغنية حرب خاصة بالقبيلة، فيندفع الشيخ منتفضًا إلى المقدمة؛ بينما تردد البنت: هل في القبيلة رجال يحتملون أن يُقال عنهم: إنهم تقهقروا في يوم النصر؟ وتأخذ الفتاة في تقريع الجبناء المتوهمين، ويتدافع الجميع خشية أن يظن بأي منهم أنه تقاعس، وهو في حضرة أكثر البنات في عالمه جمالاً، وهذا أمر لا يستطيع أي رجل احتماله. ويأخذ الراكبون في التقدم، كل منهم يبذل ما في وسعه ليسابق الآخر، ويشهد له زملاؤه بذلك، ولتبصره تلك الجميلة، وتراهم يتدافعون ويردّدون ما يدفع عنهم سخريتها من الجبناء، وتتوالى قذائف الطلقات، وترى الشيخ أو العقيد أو المختار تحيط به ثلّة من زنوجه الأوفياء، ينتخي بنخوة القبيلة، وهو يشق الصفوف ويتقدم الخطوط ليلتحم مع العدو. ومن جانب آخر؛ تُمثل الفروسية دربًا من دروب الاحتفالات، وتمثل ألعاب الفروسية ابتهاجًا منتعشًا عند بدو العراق والجزيرة العربية، إذ يذكر جوهن هيس أن أصحاب الإبل والخيول من البدو يقدمون في يوم العيد «الفنتازيا» أي ألعاب الفروسية.

وأفاد الرحالة والسياسي الدبلوماسي البريطاني بيرسي كوكس Percy Cox (1864- 1937)، في أثناء رحلته عبر أبو ظبي إلى عمان عام 1902 بأن الشيخ زايد بن خليفة (1855 - 1909) قد احتفل بزيارته، وأقام في هذه المناسبة مسابقة لسباق الفروسية في حلبة على الرمال، التي تقع خلف المدينة. وشاهد أوبنهايم فرسان من قبيلة شمر يقدمون من دون كلالة عروض الفروسية والقتال «لعبة الجريد»، التي كثيرًا ما يُسميها عرب الحاضرة «الفنتازيا». ويشير إلى أن هذه اللعبة تتمثل في «أن ينفصل بعض الفرسان عن القافلة ملوحين برماحهم في هز متواصل، مقلدين دور الهارب والمتابع له، متبادلين الأدوار في ذلك، أو أن يحاول الفرسان انتزاع كوفيات بعضهم بعضًا...، وهكذا يضع الفرسان أنفسهم وخيولهم تحت تجربة قاسية من حيث الرشاقة والحركة بالنسبة للفرسان، ومن حيث السرعة بالنسبة للخيل». ويواصل قوله إنهم عندما أشرفوا «على مخيم الشيخ فارس من المرتفع، استأنف مرافقونا من البدو ألعاب الفروسية بنشاط مضاعف، وراحوا يطلقون صيحات متوحشة وهم ينقضون انقضاضًا على الخيام التي انطلق منها عدد من الفرسان للمشاركة في ألعاب القتال». والتقت جيرترود بيل Gertrude Bell، (1868- 1926)، بشيخ عشيرة بني تميم العراقية، الذي زارهم بصحبة اثنين وثلاثين من فرسانه، الذين قاموا بعدد من الحركات البهلوانية الجريئة من فوق ظهور جيادهم؛ الأمر الذي عكس قدرتهم العالية في فن الفروسية ■

الصيد والفروسية بين الحاضر والتراث

علي كنعان

عندما نطالع مراحل من تاريخنا أمتنا القديم الموسوم بـ«أيام العرب»، سواء في الشعر أو المدونات السردية، نجد فيها كثيراً من قصص ومآثر الفروسية والفرسان، مما جعل للجواد العربي الأصيل مكانة متميزة، وقد أكد حضوره وفرادته على المستوى العالمي حتى في عصرنا الحاضر. وربما كانت مشاهد الصيد ومهرجانات السباق وما يقدمه أبطال الفروسية في هذا العصر من أجمل وأرقى العروض والرياضات البدنية والاحتفالات الشعبية والرسمية على حد سواء. وفي هذا السياق، لا يمكن أن ننسى سفينة الصحراء لأن قوافل الإبل وسباقات الهجن ومواسم عروضها الفنية والرياضية لا تقل جمالا وروعة عن سباق الخيول، وإن كان لكل منها مضماره وتميزه الخاص.

وفي مجال التراث نرى أن المؤرخ العراقي د. جواد علي ترك لنا موسوعة مهمة جداً مؤلفة من عشرة أجزاء نشرها بعنوان «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام». ولا شك أن الخيل الموصوفة بالعتاق لكرمها وأصالتها، كان لها دور أساسي وكبير في خوض المعارك وانتزاع النصر، فضلاً عن مهام السفر والانتقال والحصول على قصب السبق في مواسم التنافس. ولعلنا نتذكر ملمحاً من أهمية الجواد العربي في سيرة الفارس العربي ربيعة بن المكدم، حامي الظعائن حياً وميتاً، لأن خصومه رأوه في انتظارهم على جواده لا يتحرك، ولم يتجاسروا على مهاجمته. وبعد أن طال الانتظار، وكانت الظعائن قد ابتعدت وصارت في مأمن من السبي، أجفلوا جواد ربيعة فسقط الفارس وأدركوا أنه كان ميتاً على صهوة جواده ولم يكن ليتحرك إلا بأمر فارسه، ولعل هذه العادة من أعجب ما يروى عن العلاقة الودية العجيبة والتفاهم المذهل بين الفارس وجواده.

ربما كانت حرب داحس والغبراء التي اندلع الصراع فيها بين عبس وذبيان من أشهر أحداث التاريخ وحروبه التي نشبت بسبب الخيانة في سباق بين فرسين، الغبراء لحذيفة بن بدر الذبياني، وداحس لزهير بن قيس العبسي، أو العكس كما ورد في «لسان العرب»، وذلك لأن رهط حذيفة أخلوا بشروط السباق فوضعوا كميناً في الطريق وردوا الغبراء ولطموها لأنها كانت سابقة فهاجت الحرب واستمرت أربعين سنة. وعنترة العبسي، وهو من أشهر فرسان تلك الحرب يرتقي بوصف جواده إلى مستوى البشر في معاناة الألم وعجزه عن التعبير قائلاً في معلقته: (يدعون عنتر والرماح كأنها - أشطان بئر في لبان الأدهم/ لو كان يدري ما المحاورة اشتكى - ولكان لو عرف الكلام مكلمي).

وفي شعر امرئ القيس نطالع أكثر من بيت يتغنى فيه الشاعر بجواده، إذ يقول: (كأني لم أركب جواد للذة...»، ويقول في معلقته:

«وقد أغتدي والطير في وكناتها - بمنجرد قيد الأوابد هيكل/ مكر مفر مقبل مدبر معا - كجلمود صخر حطه السيل من عل). والحارث بن عباد الذي اعتزل حرب البسوس، وأرسل ابن أخيه بجير إلى الزير سالم ملتمساً منه إيقاف الحرب، لكن الغيظ دفع الزير إلى قتل الرسول، فغضب الفارس ابن عباد واستعد لقتال الزير الغادر منشداً قصيدته: (قربا مربط النعامة مني - لبجير فداه عمي وخالي). وكانت تلك الجريمة النكراء وبالاً على مرتكبها، وليس من القيم الإنسانية ومكارم الأخلاق أن يقتل الرسول.

وربما كان أبو الطيب المتنبي أكثر الشعراء وصفاً واعتزازاً بالخيل، فهو يعرف عتقها من صوتها كما يعرف الكثير من مزاياها، ومنها أن الخيل مرهفة السمع أكثر من الإنسان، لذلك يقول: (وينصبن للجرس الخفي مسامعا - يخلن بعيدات الشخوص كما هيا). ويصف رحلة صيد في شعره، ولم يكن مع الصياد صقر. وحين ظهر لهم غزال (أغناه حسن الجيد عن لبس الحُلي... كأنه مضمّخ بصندلِ) لم يتردد الصياد فأطلق عليه الكلب، وبدأت المطاردة التي أجاد الشاعر وصفها وكأنها معركة فروسية في فلاة واسعة حتى لحق بالغزال وانقض عليه وجندله.

وفي معركة قلعة الحدث، يصف بطولة سيف الدولة ومهارته بالفروسية، فصور الخيل بأنها قادرة على الانزلاق كالأفاعي بالأرض المنحدرة قائلاً: (إذا زلقت مشَّيتها ببطونها - كما تتمشَّى في الصعيد الأراقمُ)، كما يصف جيش الروم وضخامة العتاد الذي حملوه على خيولهم بقوله: (أتوك يجرّون الحديد كأنما - سروا بجياد ما لهنَّ قوائمُ). ولعل أجمل صورة شعرية أبدعها في تصوير الخيل والإشادة بطول صبرها عن الغذاء والماء حين جعلها تكتفي عن العشب بريح الفلاة وعن الماء بالسراب في قوله: (وخيل تغتذي ريح المواسي - ويكفيها من الماء السراب). وأبو الطيب لا يقل عن عنترة تقديرا لجواده، بل نراه يصفه بمشاعر إنسانية في تأمل الجمال والاستمتاع به والإشادة بروعته: (يقول بشعب بوَّانٍ حصاني - أعن هذا يسار إلى الطعان؟) وإذا استعرضنا وقائع الفتوحات العربية، نرى أن الفروسية تأتي في طليعة المزايا التي كان يتمتع بها أولئك الأبطال من قادة وجنود، وكان للجواد العربي دوره المتميز في تحقيق النصر وامتداد سلطة الدولة من بحر العرب حتى الأندلس. وإذا كان الصيد بالصقور يحتاج إلى خبرة ومهارة وتدريب طويل حتى تنشأ ألفة بين الصقر وصاحبه، فإن الفروسية العربية امتازت بقيم ومبادئ كريمة وسلوكيات أخلاقية سامية تختلف اختلافاً كبيراً عن عادات المبارزة في المجتمعات الغربية. وإذا كانت الآلة في دول الغرب، من الدراجة إلى السيارة والطيارة والزورق، قد حلت مكان الخيل والإبل، فإننا سوف نظل متمسكين بتراثنا ومبادئنا الإنسانية المتحدرة من جيل إلى جيل، إلى جانب اهتمامنا بمكتسبات العصر ومزاياه ■

ثقافة الفروسية والصيد عند العرب

محمد زين العابدين

جَبُل العرب على الفروسية، والصيد، ومغامراتهما؛ فكانت أبرز صفاتهم في الجاهلية، والإسلام، ولا يزال ذلك شأنهم حتى زماننا هذا، وقد اشترك علماؤهم مع فرسانهم في خدمة هاتين الرياضتين، فدونوا فيهما المؤلفات الجليلة. وكان للفروسية شأن عظيم في الحضارة العربية، حيث أقيمت حلبات للسباق، وميادين للرماية، وكان الأمراء يشرفون على السباقات، ويشتركون فيها، ويشجعون على مزاولتها، ويجزلون المكافآت للفرسان. كما كان للصيد أهمية كبيرة عند العرب، في ظل بيئة صحراوية، مليئة بالجبال، والشعاب الوعرة، وبالطيور، والحيوانات البرية، في الجزيرة العربية، ثم بيئة الشام، والعراق، والأندلس البالغة التنوع، والثراء.

الفروسية في الثقافة العربية:

للفروسية في الثقافة العربية تعاليم، وتقاليد مرعية، ويكفي أن نستعرض ما ذكره (ابن الحموي) في كتابه (النفحات المسكية،في صناعة الفروسية) عن أصولها: «يجب لمن أراد التمكن في الفروسية، أن يحيط بما تتطلبه الجياد من ترويض، وتدريب، وتطبيب. وللفروسية أصول، أهمها جودة الركوب، والثبات على الفرس، والتحكم في إمساك العنان، ومعرفة اختلاف الدواب، وما يصلح منها لكل لون من ألوان الفروسية، فضلاً عن اللباقة، والحصافة؛ فمن حاز هذه الأصول، استحق أن يسمى (فارساً)، والفارس هو الشجاع، وأصل الشجاعة الصبر، وعلم الرجل بما له، وما عليه. واستعمال الرفق والتكرار، حتى تعتاد انت وفرسك؛ فمن تعود ذلك فقد ملك من الفروسية شيئاً جليلاً، واحذر أن تُدمي فرسك، فإنه لا عيبَ أعيبُ عند الفرسان، من إدماء الفرس، واعلم أنه لا يُدمي فرسه إلا من لا معرفة له بإمساك العنان، ولا تضرب الجواد إلا عند الحاجة، وليكن ضربك له على غفلة، من حيث لا يشعر؛ فإنه إذا راقب السوط فسد». ومن أمثال العرب: «الخيلُ أعلم بفرسانها»،ومعناه أن الخيل تعرف أصحابها، وتميز فرسانها ممن يحسنون الفروسية.

معاني الفروسية، وآفاقها في التراث العربي:

إذا كان المعنى المباشر للفروسية يوحي بركوب الفرس، والنزال؛ فإن أفق الكلمة يتضمن الدلالة على القيم الرفيعة، من نخوة، وشهامة، وكرم، وحماية للمستجير، وترَفُّع عن الدناءة، والكذب، والمراوغة. ويقول الجاحظ: «لم تكن هناك أمة أشد عجباً بالخيل، ولا أعلم بها من العرب». وقد لعبت الخيل، والفروسية دوراً بارزاً في حياة العرب، وثقافتهم؛ فقد تركت أبلغ الأثر في لغتهم، وأدبهم، وطباعهم. وقد روضت الفروسية أخلاق العرب، وبثت فيها الحمية، والنخوة، والاعتزاز بالنفس. وبعد الإسلام زاد اهتمام العرب بالخيل، والفروسية، وتبجيلهم لها؛ حيث وردت آيات كريمة، وأحاديث شريفة، تعلي من شأنها، وكان للرسول الكريم ثمانية عشر فرساً، من أشهرها (المرتجز)، و(السكب)، و(اللخيف)، وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من أشهر فرسان الصحابة، وكان من شدة تمكنه من ركوب الخيل، يقفز عليه وهو يعدو، ومن فرسان العرب الذين رويت حول بطولاتهم الأساطير؛ معن بن زائدة، وعمر ابن منيف، الذي روي عنه أنه تتبع ذات مرة حماراً وحشياً وهو على ظهر حصانه يعدو خلفه، حتى استطاع اقتناصه بعد أن وثب على ظهره. وقد كانت للفروسية العربية آداب نبيلة، وقد خلب الفرسان العرب ألباب الأوروبيين بهذه الآداب عند اتصالهم بهم في القرون الوسطى، وقد تحدث الكاتب الفرنسي (جوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) عن الفروسية العربية؛ فقال: «للفروسية العربية شروطها، فلم يكن المرء يعد فارساً، إلا إذا تحلى بهذه الصفات العشر: الصلاح، والكرامة، ورقة الشمائل، والعزيمة الشعرية، والفصاحة، والقوة، والمهارة في ركوب الخيل، والمقدرة على استعمال السيف، والرمح، والنشاب». ومما يروى عن نبل الفرسان العرب، وتعففهم عن إيذاء الضعفاء، والتعرض للنساء؛ ما حدث سنة 1139 ميلادية، عندما حاصرت جماعة منهم إحدى القلاع الإسبانية، وكانت توجد بها ملكة (قشتالة) زوجة الملك (ألفونسو السابع)؛ فأرسلت إليهم تعاتبهم على مهاجمتهم لقلعة تدافع عنها امرأة، فمس فيهم ذلك العتاب وتراً حساساً، ألهب نخوتهم العربية، فاكتفوا بأن التمسوا منها أن تطل عليهم من شرفتها، فلما فعلت، قدموا لها أسمى ضروب الاحترام، وفكوا عنها الحصار، ورحلوا على الفور.

أنواع الفروسية عند العرب:

كما لعبت الفروسية دوراً رائعاً عند العرب في ميادين القتال؛ فقد كانت من أرقى ضروب الرياضة، وأكثرها حظوة عند الخلفاء. وكان سباق الخيل من أعرق ضروب الرياضة التي لقيت تشجيعاً من الخلفاء، وخاصة هشام بن عبد الملك، ومن أشهر ألعاب الفروسية (لعبة الكرة، والصولجان)، والتي تشبه لعبة (البولو) المعاصرة؛ وكانوا يتقاذفون خلالها كرة خفيفة بعصا معقوفة، وهم على صهوات الخيول، ويروى أن الرشيد كان أول من عشق تلك اللعبة، ولم تلبث أن أصبحت هي المفضلة عند الأمراء، وكانت معروفة عند العرب قبل الإسلام، وكان من النابغين فيها الشاعر عدي بن زيد، وانتقلت في العصور الوسطى إلى أوروبا عن طريق مصر. وكان الفرسان العرب يختارون من الجياد ما يناسب كل موقف؛ فيختارون إناثها للغارات، والفحول للسير، والعسكرة، وخصيانها للكمائن، لما تتمتع به من صبر. وكان الفارس العربي من فرط إعزازه لفرسه، وتدليله لها؛ يخلع غطاء رأسه أحياناً، ويضعه على رأسها، بالرغم من اعتزازه بغطاء رأسه، واعتباره جزءاً من هيبته، ووقاره. وكانوا يقومون بتدريبات على استخدام السيف ببراعة أثناء امتطاء الجواد؛ ومن هذه التدريبات أنهم كانوا يغرسون في الأرض قصبة طويلة، ثم ينطلق الفارس بجواده، وعندما تصبح القصبة في مدى سيفه، عليه أن يقطع جزءاً من رأسها إلى جهة اليمين، ومن الداخل إلى الخارج، حتى لا يصيب الفارس رأس جواده، أو يلحق ضرراً بنفسه، وما يزال يعاود الكر على القصبة، حتى يتقاصر طولها. وكان في الدولة الفاطمية طائفة تجيد ركوب الخيل بطريقة استعراضية، تشبه ما يظهر في أفلام (الكاوبوى)؛ فيركضون بها، وهم يتقلبون عليها، ويخرج الواحد منهم من تحت بطن الحصان، وهو يركض، ويعود فيركب من الجانب الآخر، ومنهم من كان يقف فوق ظهر الحصان، فيركض به، وهو واقف. وكانت الفروسية قديماً عند العرب، لا تقتصر على المهارة في ركوب الخيل؛ بل تشمل إجادة استعمال الأسلحة، والرماية، والمبارزة. ومن أقوال (ابن القيم الجوزية) عن ذلك: «الفروسية أربعة أنواع، الأول ركوب الخيل، والكر، والفر بها، والثاني الرمي بالقوس، والثالث المطاعنة بالرماح، والرابع المداورة بالسيوف؛ فمن استكملها، استكمل

جداريات مقبرة ، موقع دفن الملك في بلاد فارس القديمة.

الفروسية». وبالطبع تأثرت الفروسية العربية في تلك العصور باستخدامها في الحروب، ومواجهة الأعداء، والحماية من مخاطر الصحراء، أما الفروسية في الثقافة العربية المعاصرة، فاقتصرت على فنون ركوب الخيل، وسباقاتها، وظهرت فنون جديدة لم تكن موجودة من قبل، مثل استعراض رقص الخيول الشائع في صعيد مصر، واستخدامها في الموالد الشعبية، والمهرجانات التي يظهر فيها الفرسان براعتهم.

شعراء، وفرسان:

برز في التاريخ العربي شعراء،فرسان عديدون، ممن جمعوا بين صولات الحصان، وصولات الحروف. ومن الشعراء الفرسان في الجاهلية عنترة بن شداد صاحب معلقة «هل غادر الشعراء من متردم»، والتي وصف فيها شجاعته، وشجاعة حصانه الأدهم؛ وهي من أعمق اشعار العرب التي تعاملت مع الحصان تعاملاً يكاد يقترب من تشبيهه بالانسان:

هلا سألـــت الخيـــل يا ابنـــة مـــالكٍ
إنْ كـــنتِ جاهلـــة بما لـــم تعلـــمي
يدعـــونَ عـــنترَ والرمـــاحُ كأنهـــا
أشـــطانُ بـــئرٍ في لبـــانِ الأدهـــمِ
مـــا زلتُ أرميهـــم بثغـــرةِ نحـــرهِ
ولبانـــهِ حـــتى تسّربـــلَ بالـــدمِ
فـــازوَرَ مـــنْ وقـــعِ القنـــا فزجرتُـــهُ
وشكـــا إليَّ بعبـــرةٍ وتحَمحُـــمِ
لوكـــانَ يدري ما المحـــاورةُ اشتـــكى
ولكـــان لـــو علـــمَ الكلامَ مكلـــمي

ولعل سيرة الفارس عنترة بن شداد العبسي، والتي اتخذت مكانها البارز بين سير الفرسان في الجاهلية والإسلام؛ تعبر بجلاء عن خلائق الفرسان، فقد كان (عنترة) أسمر، من أم حبشية، فدفعه هذا الإحساس بالمغايرة بينه، وبين أقرانه، إلى أن يدافع عن مكانته في قومه، فثقف نفسه بأخلاق الفروسية، كأحسن ما يثقفها العربي الأصيل، واشترى حريته بشجاعته، وحاز الفخار بدفاعه عن قبيلته، فخلد اسمه في تاريخ الفروسية العربية، واحتفى به وجدان الشعب العربي في كل مكان، كأنموذج للفتوة، والحمية العربية، ومعلقته أنموذج واضح على خلائق الفارس العربي الأصيل؛ وهي النجدة، والعفة، والكرم، والإباء، وكلها فضائل راسخة، يحافظ عليها الفارس، محافظته على ذاته. والفارس العربي يناجي فرسه، ويبثها لواعجه، ويكاد يستمع إلى حمحمتها، ويفهم عنها. ويعتبر أبو فراس الحمداني من الشعراء، والأمراء الفرسان، وشارك في معارك كثيرة مع الروم، قبل ان يقع أسيراً. وحفظ التاريخ العربي أبيات (امرىء القيس) في معلقته، في رحلة صيد، وهو يصف انطلاق حصانه، وحركاته المتلاحقة:

وقـــد أغتـــدي والطيرُ فـــي وكناتهـــا
بمُنجَـــرِدٍ قيـــد الأوابـــدِ هيكـــلِ
مِكَـــرٍ مِفَـــرٍ مقبلٍ مُدبِـــرٍ معـــاً
كجلمـــودِ صخرٍ حطهُ السيلُ من عَـــلِ

لوح حجري بكاتدرائية فانك الأرمينية أو كنيسة الأخوات القديسين في عام 1664

ثقافة الصيد في التراث العربي:

كان صيد الحيوانات هو الشغل الشاغل للعرب، خصوصاً في العصر الجاهلي؛ فكانوا يدربون الكلاب عليه، ويزيدون ضراوتها، حتى تنقض على الفرائس، وفي شعرهم قطع كثيرة، تصور رحلات الصيد التي كانوا يقومون بها. وللعرب ولع بالصيد، في البوادي، والبراري المتصلة بالمدن؛ وذلك منذ العصر الجاهلي. وقد عن شعراء الجاهلية بوصف الصيد، وأدواته، وحيواناته، وقد كانوا يستخدمون السهام، والشباك، والحبائل، ويستعينون بالخيول، والكلاب لمطاردة الفرائس. وقد تفننوا في تدريب الكلاب على المطاردة. وقد بدأ الصيد عند العرب في الجاهلية لأغراض الانتفاع بلحوم، وجلود الفرائس،ثم تحول الأمر تدريجياً إلى أغراض الاستمتاع، والترفيه. وامتد هذا العشق للصيد إلى العباسيين. وترك العرب تراثاً غنياً من الكتابة عن الصيد، مثل كتاب (المصايد، والمطارد) لكشاجم، و(الباز، والحمام) لأبي عبيدة بن المثنى، و(البيزرة) لأبي عبد الله الحسن. وكان للصيد عند الأمويين متعة لا تعادلها متعة، ومن طريف ما سجله تاريخهم؛ أن (الوليد بن يزيد) كان إذا اصطاد غزالاً، نظر إليه متأملاً عينيه الحوراوين، وجيده؛ فتذكر حبيبته (سلمى) فيطلقه، وفي هذا يقول:

ولقـــد صدنـــا غـــزالاً سانحـــاً
قـــد أردنـــا ذبحـــه لمـــا سنَـــحْ
فـــإذا شبهـــكِ مـــا ننكـــرهُ
حـــين أزجـــى طرفَـــهُ ثـــم لمَـــحْ
فتركنـــــاهُ ولـــولا حبكـــــم
فاعلمـــي ذاكَ لقـــدْ كـــان انذبـــحْ

ويطلق لفظ (القنص)، أو (المقناص) على وسيلة صيد الأرانب، والغزلان، وطيور (الحَبارى)؛ وهو الشائع في الجزيرة العربية منذ القدم، وحتى الآن، وموسمه فصل الشتاء،حيث يذهب الصيادون بسياراتهم إلى البرية، بعد أن يأخذوا معهم احتياجاتهم من الطعام، والخيام، لأن مدة خروجهم للصيد قد تطول إلى أسبوعين، أو أكثر، ويستخدمون الصقور المدربة على الصيد؛ حيث تدلهم على أماكن الفرائس، بعد إطلاقها. ورياضة الصيد برغم أنها محفوفة بالمشقة، والمخاطر؛ إلا أنها تعلم الشجاعة، والمثابرة، واحتمال الشدائد.

فن الطرديات في الشعر العربي:

برز فن في الشعر العربي متعلق بالصيد، خلال العصور الإسلامية؛ وعرف ب(الطرديات)، وهي الأراجيز التي تصف رحلات الصيد، ومطاردة الفرائس. ولم يكن الصيد مقصوراً على صيد الطيور البرية، وإنما كان يشمل صيد الحيوانات البرية، من أرانب، وغزلان، ونعام، وحمير وحشية، وغيرها. وكان الشاعر (امرؤ القيس) من رواد شعر (الطرديات)، وأبو نواس، و(الشمردل)، وهو من شعراء العصر الأموي، وله في الصيد باستخدام الصقر، والكلب أراجيز كثيرة، والشاعر العباسي (أبو نخيلة). وكان العرب قديماً يستخدمون في الصيد الصقور، والكلاب السلوقية السريعة - وما زال هذا شائعاً في رحلات الصيد العربية المعاصرة - كما كانوا يستعينون برمى النبال، والرماح ■

من ألعاب الفروسية في الثقافة العربية

د. رضوى زكي

لم ترتبط حضارة بالخيل أكثر مما ارتبطت الحضارة العربية، ولم يعتنِ قومًا بالخيول قدر عناية أهل الجزيرة العربية والممالك الإسلامية التي دخلها الإسلام. ولأهمية الدور الذي قامت به الخيل في حياة العرب، فقد ترك العرب أبلغ الأثر في أدبهم وأخلاقهم وطباعهم وثقافتهم، فدوّنوا عن أنسابها وأنواعها في مخطوطاتهم، وتغنوا بها في أشعارهم، فصارت الفروسية رافدًا رئيساً في الثقافة العربية.

ومن الثابت تاريخيًا أن الفروسية احتلت مكانة بارزة في المجتمع الإسلامي لارتباطها بالدور الحربي في إظهار القوة ومحاربة الأعداء، كما أدت الفروسية دورًا مماثلاً في السلم. وغنيّ عن الإشارة حث الدين الإسلامي على الفروسية واعتبارها إحدى الرياضات المفيدة للإنسان، حيث أوصى الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بوصية تشدد على تعليم الأولاد «السباحة والرماية وركوب الخيل». وجدير بالإشارة ارتباط الفروسية بعدد من الألعاب التي اندثر أغلبها اليوم، وأصبحت رياضة الفروسية بشكلها المعاصر -ركوب ظهور الخيل والعدو والجري بها في مسافة معلومة- هي الإرث المتجدد من العصور العربية الزاهرة والرابط بين ماضيه وحاضره. يعد سباق الخيل من أعرق الرياضات العربية التي لقت اهتمام الحُكام والخلفاء المسلمين في حضور مشهود من جموع الناس على اختلاف طوائفهم ورتبهم منذ العهد النبوي الشريف وعلى مدار القرون المتعاقبة. وقد كان سباق الخيل عند الأمويين من أهم ألوان التسلية عند الشعب والحكام على حد السواء، ثم تقدمت رياضة الفروسية على يد حُكام العباسيين تقدمًا بالغًا؛ فعنى العباسيون بتخصيص الميادين الكبرى لتدريب الخيول على السباق، وفي مصر اتخذت سباقات الخيل طابعًا رسميًا عند الطولونيين، فكان عامة الناس يجلسون لمشاهدة السباق في حضور العلماء والعساكر في مكانًا مزينًا عرف باسم «المنظرة». واستمرت سباقات الخيل في العصر الفاطمي على نفس المنوال، حيث عنى الخلفاء الفاطميون بعروض الخيل وسباقها.

وقد ذاع صيت رياضة الفروسية في العصر الملوكي ووصلت لأوج ازدهارها، حيث كان المماليك في الأصل فرسانًا، واعتمد نظام تدريبهم على ألعاب الفروسية، وبخاصة ركوب الخيل والرمي بالقوس وكذلك المبارزة واللعب بالرمح من على الفرس. وكان سباق الخيل على رأس رياضات الفروسية التي مارسها سلاطين المماليك، وشاركوا فيها، واحتفلوا بها بشكل غير مسبوق على مدار حكمهم الذي قارب الأربعة قرون. ومن بين هؤلاء السلاطين الذين برزوا في هذه الرياضة السلطان بيبرس البندقداري، مؤسس دولة المماليك في مصر والشام والحجاز، حيث كان يأمر الفرسان من المماليك بالركوب إلى الميدان الواقع أسفل قلعة صلاح الدين الأيوبي في القاهرة لممارسة رياضة سباق الخيل وغيرها من ألعاب

الفروسية. كما أقام المماليك الإسطبلات الفسيحة والميادين العظيمة للسباق، وعُهدوا لبعض البدو الماهرين لتدريب الخيل والعناية بها، وكان يحضر إليها السلطان والأمراء فيجرون بالخيل، في الأماكن المعدة لألعاب الفروسية وسباقاتها مثل لعبة الرمي بالقبق، والكرة والصولجان، والرمي بالبندق وغيرها.

1 - الرمي بالقبق

القبق لفظ تركي للقرعة التي يضعون فيها طيرًا، ويرمونها بالنشاب من على ظهور الخيل، ورمى القبق تقليد قديم اشتق من ممارسة صيد الطير بالنشاب من على ظهور الخيل، إلا أن تاريخه المرتبط بألعاب الفروسية لم يبدأ إلا مع دولة المماليك. وتصور بعض المخطوطات العربية لعبة رمي القبق في العصر المملوكي وإصابة الهدف وهو على هيئة طوق أو قرعة عسلية مرفوعة فوق صارٍ طويل من الخشب. وكان المتبارون يمرون بسرعة فوق خيولهم ويرشقون بسهامهم بحيث تخترق الطوق أو ما بداخله. وفي بعض الحالات كان المرمى الذي يستعمل في القبق على شكل كرة منقوشة بالذهب الدقيق في داخلها حمامة، وكان الرامي الذي يصيبها وينجح في إطلاق الحمامة يستولي على الذهب المصنوعة منه الكرة.

2 - الرمي بالقوس والسهم

الرماية هي فن التسديد وإصابة الأهداف المتحركة أو الثابتة، وتستخدم في أدائها آلة يسدد منها أداة أو باليد مباشرة. وذلك مثل استخدام القوس في إطلاق السهم للفارس واقفًا، أو برمي

لم ترتبط حضارة بالخيل أكثر مما ارتبطت الحضارة العربية، ولم يعتنِ قومٌ بالخيول قدر عناية أهل الجزيرة العربية والممالك الإسلامية التي دخلها الإسلام. ولأهمية الدور الذي قامت به الخيل في حياة العرب، فقد ترك العرب أبلغ الأثر في أدبهم وأخلاقهم وطباعهم وثقافتهم

بالقوس والسهم راكبًا الفرس. وقد اهتم المسلمون بالرماية بصفة عامة، وبرمي القوس والسهم من على ظهر الفرس بصفة خاصة باعتبارها تجمع بين صفتي ركوب الخيل والرماية، ولا يتم إتقان فنون الفروسية للفارس إلا بالجمع بينهما. وتحتوي بعض المخطوطات مثل «المخزون جامع الفنون» على عدة أبواب تتعرض لعلم الرماية بالقوس والسهم من على الفرس مصوبة على الأهداف الثابتة والمتحركة.

3 - لعبة الكرة والصولجان

لعبة كرة الصولجان أو الجوكان من أشهر ألعاب الفروسية الإسلامية التي مارسها السلاطين والأمراء في بلاد فارس ومصر والشام وغيرها، وكانت تسمى كذلك لعبة العصا. ونما الاهتمام بتلك اللعبة في عصر المماليك للدرجة التي كان فيها السلطان المملوكي يعيّن أميرًا خاصًا مسؤولاً عن فنون تلك للعبة وهو الجوكندار؛ أي حامل عصا الجوكان باللغة الفارسية. وكان الفرسان يلعبون الجوكان عندما يتقاذفون كرة خفيفة بعصى عقفاء وهم على صهوات الخيل، وتعد ممارسة تلك اللعبة بهذه الكيفية هي الأصل التاريخي للعبة البولو الإنجليزية التي انتشرت في إنجلترا منذ عام 1873 ومنها إلى باقي أنحاء العالم.

4 - الرمي بالبندق

الرمي بالبندق هو مصطلح فارسي لكرات مصنوعة من الرصاص أو الطين أو الحجر، تطلق عبر أنابيب ترسلها بضغط الهواء أو بالأقواس التي يسمى بقوس البندق. ولقد كان لرمي البندق شأن كبير في العصور الإسلامية بالعراق والشام ومصر وغيرها. عرف العصر المملوكي لعبة رمي البندق، وقد نشئت في عهد سلاطين المماليك بمصر والشام والحجاز جماعة كان يرأسها السلطان بشخصه، وله وحده الحق في قبول أو فصل اللاعبين الممارسين لتلك اللعبة، وكانت هذه الجماعة تتدرب على رمي السهام، والنبال، والبندق، وتصيد الحمام للتمرين على تسديد الهدف.

5 - المبارزة بالسيف والمطاعنة بالرمح أو الحربة

المبارزة بالسيف هي منازلة بين شخصين يقوم كل منهما بالهجوم والدفاع، ومحاولة لمس الخصم أو ضربه بالسيف مع حماية نفسه، أما المطاعنة فهي القيام برمي آلة ذات حد قاطع مثل الحراب والرماح على مسافة معينة بغرض طعن الخصم أو أصابته أو للترفيه عن النفس. وتعد رياضتا المبارزة بالسيف، والمطاعنة بالرمح أو الحربة من الألعاب الشريفة المرتبطة بالفروسية، والتي لعبتا دورًا كبيرًا في المجتمع الإسلامي بصفة عامة، وفي مصر على وجه الخصوص، في وقت المعارك ووقت السلم والاستقرار على حد السواء. واستمرت المبارزة بالسيف والمطاعنة بالرمح واشتهرت في العصر المملوكي، وقد أهتم المماليك كثيراً بهذه اللعبة لأنها كانت تقوي الفرسان على استخدام جميع الأسلحة، وتزيد من ثباتهم على ظهور الخيول.

الفروسية المعاصرة في الإمارات

وقد حافظت بعض البلدان على إرث رياضة الفروسية العربية، وتأتي دولة الإمارات العربية المتحدة في مصاف الدول التي تحظي فيها تلك الرياضة برعاية استثنائية، وتولي دولة الإمارات

نادي دبي للبولو والفروسية

عنايتها للخيل والفروسية كجزء أصيل من عنايتها بالتراث الثقافي العربي الذي كان للخيل والفروسية فيه نصيب الأسد خلال عصور الحضارة العربية الوسيطة. ولا يزال تراث ركوب الخيل حاضرًا وبقوة في الثقافة الإماراتية العربية المعاصرة، رياضة وترفيهاً، فيحرص أهل الإمارات على تدريب الأطفال والنشء على تعلم الفروسية وركوب الخيل، ويفضلها الكبار ممارسة وشغفًا. كما تجذب دولة الإمارات الراغبين في تعلم الرياضات المرتبطة بالفروسية، كجزء من مقوماتها السياحية المميزة، مثل لعبة البولو وركوب الخيل والسباق بها بنواديها المتواجدة في أنحاء الإمارات، وبخاصة إمارة دبي، مثل «نادي دبي للبولو والفروسية» و«نادي جبل علي للفروسية» و«مركز الإمارات للفروسية».

وتقتنص الإمارات كذلك مركز الصدارة في مسابقات الفروسية عالميًا، حيث يقام على أراضيها العديد من سباقات الفروسية التي تلفت انتباه ممارسي ألعاب الفروسية من كل حدب وصوب لقيمتها المادية والمعنوية الكبرى. فعلى سبيل المثال يأتي كأس دبي العالمي على رأس أفضل مائة سباق للخيل دوليًا، ويعد أغنى سباق حاليًا حيث تبلغ قيمة جوائزه المالية نحو 6 ملايين دولار أمريكي، ويقام على مسافة الميل وربع الميل بمضمار ند الشبا الرملي. وقد أقيم السباق للمرة الأولى عام 1996، ونجح بشكل ملحوظ في استقطاب فرسان وخيول سبع دول من أربع قارات. كما يعتبر كأس السوق الحرة دبي من السباقات الفريدة، وتبلغ جوائزه المالية 5 ملايين دولار أمريكي، وانطلق مساندًا لكأس دبي العالمي عام 1996. وتحفل إمارة دبي كذلك بعدد آخر من سباقات الخيل الدولية مثل دبي شيماء كلاسيك، ودبي جولدن شاهين. ويعد داربي الإمارات أغني داربي للخيول في العالم جرى تأسيسه عام 2000 على صدارة القائمة الكلاسيكية للموسم الإماراتي. هكذا كانت الفروسية مكونًا رئيسًا في الثقافة العربية منذ أقدم العصور، ولها مكانتها البالغة عند العرب والمسلمين في السلم والحرب، وأصبحت الألعاب المرتبطة بالفروسية إرثًا حضاريًا شرعت بعض البلدان في الحفاظ عليه، ووصلت الماضي بالحاضر بعنايتها بها، فلا يضاهي دولة الإمارات العربية المتحدة في عنايتها بالخيل والفروسية سوى أمراء وسلاطين العصور العربية الزاهرة ■

المراجع:

1 - خالد سيد، الفروسية والخيول العربية، القاهرة: دار القيروان للنشر والتوزيع، 2012.

2 - عبد العزيز صلاح سالم، الرياضة عبر العصور: تاريخها وآثارها، القاهرة: مركز الكتاب للنشر، 1998.

3 - عبد العزيز صلاح سالم، «أثر النظم الدينية والحربية في فنون الفروسية المملوكية» مجلة ذاكرة العرب، ع الرابع، 2020.

4 - عمر سلطان جرجيس، أحكام ألعاب الفروسية وفضلها في الفقه الإسلامي، مجلة الرافدين الرياضية، جامعة الموصل، مج 14، ع 48، 2008.

5 - شهاب الصراف، فنون الفروسية في تاريخ المشرق والمغرب، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 2000.

6 - نبيل عبد العزيز، الملاعيب في عصر سلاطين المماليك، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2002.

الصّيد والبيزرة في سِيَر الملوك والأمراء

خالد صالح ملكاوي

حمل التاريخ بين طياته منذ آلاف السنين تراث رياضة الصيد الزاخرة بالعادات والتقاليد التي قد تختلف باختلاف الزمان والمكان، إلا إنها تتفق في ولع محبيها بالصيد؛ ففي حضارة وادي الرافدين نقلت ملحمة جلجامش السومرية في الألف الثانية قبل الميلاد نصوصاً جلية عن الصيد بالطيور، كذلك احتوت إحدى المنحوتات الآشورية، التي تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، معلومات غنية عن ممارسة الآشوريين للصقارة، وكان ملوكهم أول من سَنّ الزينة في احتفالات الصيد الباذخة لإرضاء الإله نابُو.

واهتم البابليون بهذه الرياضة في المدة التي أعقبت القرن الرابع قبل الميلاد، إذ كان هناك ديوان خاص بالصقور يدعى «تاكاتايبي»، وكان لا يقل أهمية عن دواوين الجيش أو الزراعة، كما اختار البابليون مزارع خاصة للطرائد هي بمثابة محميات طبيعية لها. وبعيداً عن اختلاف الاجتهادات في أصول هذه الرياضة وجذورها وبعض آدابها، فإن «إسماعيل أبو العرب» كان صياداً. وكانت الصقارة معروفة عند العرب منذ الجاهلية، ولم تكن وسيلة من وسائل الرزق فحسب، وإنما كانت متعة من متع النفس، وضرباً من ضروب الحرب في أيام السلم، وهم أشد ما يكونون حاجة للرزق والمتعة والتدرب الدائم على القتال. لذلك أقبلوا على الصقارة إقبالاً كبيراً. ولم يقتصر الصيد، هواية أو رياضة أو مصدر رزق، على فرد أو شعب أو أمة من دون سواها، كما لم يقتصر على المحتاجين والفقراء، وإنما مارسه الملوك والأمراء وعلْية القوم منذ عشرات القرون، وكان أبناء العرب من الملوك يفخرون بالصيد وأكل لحمه.

وورد في الكتب القديمة أن أول من صاد بالصقر بعد تدريبه وتعليمه الأمير الحارث بن معاوية بن ثور الكندي، وتروي تلك الكتب قصصاً مختلفة حول هذه الريادة، وأكثرها شهرة القول

إن الحارث وقف يوماً على صيد نصب للعصافير فانقضَّ فجأة صقر على عصفور وهمَّ ان يفتك به ليأكله، والحارث ينظر اليه ويعجب منه، فأمر به ووُضع في بيته، ووكَّل به من يطعمه ويدربه على الصيد، وبينما هو معه ذات يوم إذ لاحت أرنبة فطار الصقر اليها، فتعلق قلب الحارث به وأحب الصقر واتخذه العرب من بعده وسيلة للقنص. ومنذ ذلك الوقت، أصبحت تتشكل لهذه الرياضة عاداتها وتقاليدها وآدابها وعلومها التي مازالت تشكل حتى هذه اللحظة أبرز خطوطها وملامحها. ويكاد الصيد بالطيور الجارحة كالبازي والصقر والشاهين وغيرها أن يكون من أكثر الظواهر الحضارية تغلغلاً في حياتنا العربية والإسلامية على مرِّ الزمن؛ سواء في ذلك الشّعر والرسم والأمثال والقصص الشعبي، ولشدة تعلق الناس على مختلف المستويات بهذا النوع من الصيد تطور من مجرد «هواية» ترضي طلاَّب الرياضة والمتعة إلى علم متفرّد ذي قواعد وأصول (علم البيزرة)، لذلك وجدنا أن عدداً من الكتب التراثية المعنيَّة بعلم البيزرة قد تُرجم في عصر النهضة الأوروبية الحديثة إلى اللغة اللاتينية، ثم انتشرت هذه الترجمات بعد ذلك في مختلف بلدان أوروبا. ولم يجعل ملوك وأمراء الجزيرة العربية من الصيد هواية خاصة بهم من دون السواد الأعظم من شعوبهم كما هو واضح في كتب التراث والشعر العربيين، وقد أظهر كثير من أمراء العرب قبل الإسلام وبعده ميلاً واضحاً للصيد. وتتكرر مشاهد الصيد والحيوانات في أرضيات الفسيفساء من الفترة البيزنطية إلى الفترة الأموية. ولعل أشهر وأوضح الأمثلة الأموية هي الرسومات الجدارية في قصير عمرة في المملكة الأردنية الهاشمية. وعرفت في الفترة العباسية محميات خاصة لحيوانات الصيد أطلقوا عليها اسم الحير، ولعل أشهرها حير سامراء، وهي متنزّه بناه الخليفة جعفر المتوكل ملحقاً بقصره، فكان أشبه بمحمية طبيعية للحيوانات الضارية والحيوانات البرية الطليقة، يفصل بينها نهر صناعي احتفره عمال الخليفة، وقد خلَّد البحتري هذا المتنزه في أعظم قصائده.

الصيد في عصر بني أُمَيّة

غدا المسلمون في بسطة من العيش، وسعة في الأرض وسطوة في الملك في عصر بني أمية، فانتقل الصيد بالطير من ممارسات فردية ومتفرقة إلى ممارسة تدخل في العوائد السياسية للخلفاء. ومن أشهر ولاة بني أمية حباً في القنص وتربية الجوارح يزيد بن معاوية، فكان صاحب طرب وجوارح وكلاب وفهود، وكان مولعاً بالصيد، مبتدعاً فيه، فهو أول من حمل الفهود على ظهور الخيل، وكان من أوائل من منحه الصيد موقعاً شريفاً ذكرته كتب التاريخ والأخبار. وقد حظيت هذه الممارسة من الأعيان والخلفاء بأهمية خاصة فصارت مؤسسة كاملة بذاتها، يسهر عليها شخص ذو مكانة مميزة، يسمى «أمير الصيد»، وفيما بعد «أمير الصِّقار». وصار (البازيار) في الدولة الأموية يدعى: (صاحب الصيد). وسرعان ما أصبحت البيزرة من مقومات حياة الخلفاء، يُنفق عليها من بيت المال كما ينفق في غيرها من القوى والأوضاع، حتى كان الواصل إلى البيازرة في أيام الخليفة الفاطمي نزار خمسين ألف دينار، لأرزاقهم وطعام جوارحهم، سوى الدواب التي تشترى لهم في كل سنة. وكان هشام بن عبدالملك بن مروان شغوفاً ومغرماً بالصيد حتى إنه عين موظفاً خبيراً لشؤون الصيد والقنص هو الأمير الغطريف بن قدامة الغساني، وجعل مسماه الرسمي في ديوان الإمارة هو (صاحب صيد الخليفة هشام)، فكان مرجع الخليفة في علم الصيد وفن الصقارة والصقور والكلاب وعدة تدريب وتطبيب ما يرد على البيزرة. وكان هشام يشارك الصائدين مرحهم ونشوتهم، يحبس أنفاسه في المواقف المثيرة، وتأخذ به حب الهواية والتمتع بها فيجري وراء الطريدة، بل إنه ذهب إلى أبعد من هذا، فرسم في قصره للصيد رسماً خاصاً به، وجعل له في أعماله وعماله نصيباً. وكما غدا اقتناء

الجوارح والضواري والاستمتاع بالصيد بها والسخاء في الإنفاق عليها، واتخاذ الوسائل العلمية في تضريتها على الصيد والسهر على صحتها، مظهراً من مظاهر الحياة في عصر بني أمية، فإن المتأخرين من خلفاء هذه الأسرة جعلوا للصيد وضواريه شأناً في أعمال الدولة، وصار الصقّارون أُطُراً من أُطُر الدولة ومنصبهم لا يمكن لبلاط الخليفة الاستغناء عنه. وفي بلاط قرطبة الأموي كان «صاحب البيازرة» شخصاً ذا مرتبة رفيعة لدى السلطان، ما يعظّم دور هذه المؤسسة التي كانت تحتل موقعاً مهماً وتشغل أناساً كثيرين، لأن ممارستها لم تكن تقتصر على الفئات المحظوظة من المجتمع، بل ظل البدو والرحّل يتوارثونها حتى بداية القرن العشرين.

الصيد في عصر بني العبّاس

ولما دالت دولة بني أمية إلى دولة بني العباس كانت هواية الصيد في مقدمة الرياضات التي أقبلوا عليها، فكان أبو العباس السفاح شديد اللهج بالصيد، ناشئاً ومكتهلاً، فقد صاد وهو غلام صغير، وصاد وهو شاب يافع، ثم صاد بعد ذلك وهو خليفة مكتهل، وكان إذا تخلفت ضواريه ولم تصد الصيد الذي يليق بها وبه شكا من ذلك وخجل. وقيل إن القنص والصيد كان علما يدرَّس في دواوين الخلفاء والأمراء في العصر العباسي الأول، وصار لهذه المهنة رجالها وأصحابها المتخصصون حتى أطلق على هذا الفن (البيزرة أو البيزدرة). وفي عهد أبي جعفر المنصور أرسيت قواعد القنص وآدابه. وأراد المنصور أن يؤصّل لهذا التراث في عهده، فركب يوما في صدره مُشُهَرة (وهي فرس إذا خرج راكبها يختال بها بين الصفين لم يبق ولم يذر) مشمراً من ذيله، وعلى يده بازي حتى عبر الجسر بادياً، وانكفئ فعبر الآخر راجعاً، وتبيَّنه الناس،

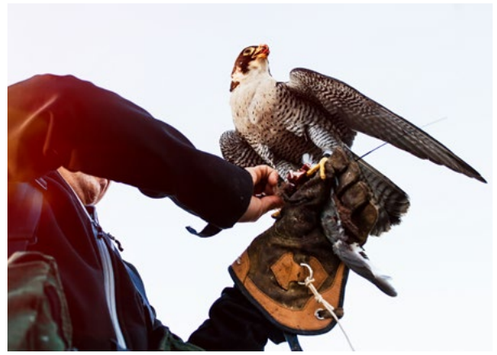

فلما عاد واستقر به مجلسه قال للربيع : ما قال الناس في ركوب أمير المؤمنين على هذه الحال؟ قال: عجبوا منها، قال: إنه كان لأمير المؤمنين في ذلك مذهب، وهو أنه سيأتي من أبنائنا من يحب الصيد ويتبذل فيه، فأحببت أن يكون مني ما رأيت، فمتى فعل مثله منا فاعل بعدي قال الناس: قد ركب المنصور على مثل هذه الصورة. ومما ذُكر عن المنصور أنه قال لشاعره الساخر أبي دُلامة: كيف حبك للصيد؟ فقال كحب المسجون للخلاص من القيد، فقال: وأي الأشياء أحب إليك من الضواري؟ فقال: أحب الصقر الطويل النفس، الأسود الجنس، إذا صاد أشبع، وإذا أمات أوجع، يصيد الكبير ويعف عن الصغير، وثمنه يا أمير المؤمنين حقير، فقال: ولمَ لا تحب البازي، وهو خير منه وألذ وأحسن إصابة وأسرع، فقال: يا أمير المؤمنين البازي ملك، ولا أقدر أن أتشبه بالملوك، وإنما يحمل الملوك الملوك، فقال: فالشاهين؟ فقال: إنه يا أمير المؤمنين كبير القدر، كثير الغدر، قال: فالباشق؟ قال ملعوب الصبيان، وقد فاتني ذلك الزمان، قال: فاليائي؟ قال: ملعوب الخدم وأولاد الحشم، ولا أحب يا أمير المؤمنين أن أشتم. وقد عرف عن المهدي ولعه بالضواري وشدة شغفه بالصيد. كما عرف مثل ذلك عن الرشيد الذي كان ذا حظ في الصيد، وكان يرتاح له ارتياحا شديدا، حتى تحمله الأريحية على ركض فرسه والشد به في أثر الطريدة، وكان إذا بلغه خبر متفنن في الصيد، استقدمه إليه، واصطفاه لنفسه، وكان للرشيد رحلات صيد رائعة يقوم بها، ومعه عدد من أصدقائه ورجال دولته، وبعض شعرائه من أمثال أبي نواس. وتوخّى أبو نواس في تشبيب قصيدة له فافتتحها بذكر الصيد وصفة الجارح المتأنق الذي استبدل ريشه القديم بريش جديد، هزأ من أبي نواس بذلك، وبعثاً من أريحيته لما يعلمه من رأيه في الصيد، وموقعه من قلبه، فجاء أولها:

خلــق الزمـــان وشرّتي لـــم تَخلــقِ
ورميـتُ عن غـرض الشبـــاب بأفـوقِ
ولقـد غـــدوت بدستبـــان معلـــم
صخب الجلاجل في الوظيـف مسبّـق
حـــرّ صنعنـــاه لتُحكـــم كفّـــه
عمـــل الرفيقـــة واستـلاب الأخـرق
يجلـو القـذى بعـــقيقتين اكتنّتـــا
بذرى سليـم الجفـــن غـــير مخـــرّق
ألقـــى زآبـــره وأخلـــف بـــزة
كانـــت ذخـــيرة صانـــع متنـــوق

وجاء في كتب التاريخ كذلك أن الأمراء والخلفاء كانوا ينفقون أموالاً كثيرة في سبيل الحفاظ على استمرارية رياضة الصيد بكل أنواعها؛ فقد كان المعتصم، وهو أشد خلفاء بني العباس ولعاً بالفروسية والصيد، يخصص سبعين ديناراً في اليوم من نفقات

بيت المال لأصحاب الصيد من المدربين والبازيارين والفهادين والكلابين، وهو مبلغ كان يعادل واحداً في المائة من نفقات الدولة اليومية على باقي المجالات.

الصيد والدبلوماسية

لعبت الصقور دوراً بارزاً في العلاقات الدبلوماسية بين الملوك، فكانت مُهاداة الصقور علامة على السلم بين الدول المتجاورة منذ القديم. فعلاوة على تقديم النفيس والرفيع والغريب من منتجات وحيوانات ووحوش، كانت البلاطات في القديم تتبادل الصقور وجوارح الصيد. ويحكي الدميري أن الملك الساساني «بهرام بن يزدجر» قد تعلَّم الصيد من العرب في الحيرة، إذ أرسل إلى ملوك الحيرة من بني مضر بن خذيمة جد المناذرة أن يبعثوا له بالصقور المدربة وبالبيازرة، فبعثوا إليه بما طلب، فوجد الصقور تتعاقب على صيد الطير والأرنب، فأعجبته واتخذها ليظهر للروم فضيلة الصقور وعملها. ويذكر التاريخ أن هارون الرشيد أول من سنّ التهادي بالصقور، إذ أصبح لديه تقليد وعادة بإهداء الصقور الثمينة إلى بعض الملوك والأمراء والأصدقاء. واغتنم «نقفور» ملك الروم إحدى المناسبات الطيبة وأهدى الرشيد أثنى عشر بازياً وأربعة أكلب من كلاب الصيد ليتقرب إليه بها. وقد عرف ملوك البلاد المجاورة ولع المهدي بالضواري وشدة

شغفه بالصيد، حتى أن «ميخائل بن ليون» عظيم الروم لما وقف على ذلك أهدى إليه كتاباً في فن البيزرة كان لأوائل الروم، فأمر المهدي بترجمته إلى العربية، وبتأليف كتاب يضم معلومات من اللغة الفارسية والتركية والإغريقية إلى جانب العربية، وقد ترجم هذا الكتاب إلى لغات مختلفة منها اللاتينية.

وكان ملوك المغرب والأندلس يتبادلون الهدايا بالصقور، تعبيراً عن مشاعر الود وأحاسيس الامتنان. فقد كان ملك غرناطة، أبو الحجاج يوسف الأول، يبعث سفراءه إلى المناطق النائية من بلاد الروم ليحصل على تشكيلة من الصقور من أجل إهدائها إلى ملك المغرب السلطان أبي عنان المريني، تعبيراً عن التقدير الذي يكنّه له. وكان الأمر كذلك مع ملوك فرنسا وهولندا وإسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، إذ أن إهداء الصقور كان مرتبطا بالدلالات التي يحملها؛ فهو تعبير عن القوة والسلطة، وفي الآن نفسه إعلان عن المودة والرغبة في السلام، كما إنه من ناحية أخرى يشكل هدية متكاملة، بعدتها وبيّازيها وبكل حمولتها الثقافية، سيما وأن رياضة الصيد بالصقور لدى العرب في ذلك الوقت كانت ذات معاني حضارية عميقة، يمكننا اليوم أن ننعتها بالهوية الثقافية، مثلها مثل ثقافة الفروسية التي لا تزال إلى اليوم منتشرة، والتي تشكل استعراضات تحاكي بشكل ما الفروسية الحربية القديمة وتستدعي ذاكرتها العتيقة. وكان أبناء الملوك من العرب يفخرون بالصقارة وأكل لحم الطرائد منذ القدم، من ذلك قول امرئ القيس، على الرغم من عراقته في الملك وأصالته في المجد، يصف صيداً صادوه وأخذوا يهيئونه طعاماً:

فظل طهـــاة اللحـــم من بين منضـج

صفيف شـــواء أو قديـــر معجـــل

ومن آداب الصيد تهادي لحمه وبذله للطاعمين وجمع الصحاب والأتراب على قديره أوشوائه، وقد كان الصائدون يفخرون بذلك، فامرؤ القيس وأبو النجم العجلي والشمردل اليربوعي ذكروا هذا المعنى في شعرهم وافتخروا به. وكان الأشراف يتهادون القطيعة اليسيرة من لحم الصيد لا قيمة لها، ويجدون بذلك متعة ومسرّة. وأُهدي الى بعض الملوك صيد وكُتبت معه هذه الابيات:

أزال الله شكـــواك وأهـــدى لك إفراقـــا

خرجنـــا أمس للصيـــد وكنا فيه سباقا

فسمينا وأرسلنـــا علـــى بختـــك إطلاقـــا

فجـــاد اللـــه بالرزق وكـــان اللـــه رزّاقـــا

وأحرزنا مـــن الدراج ما الرحل به ضاقـــا

فأطعمت وأهديـــت إلى المطبخ أوساقـــا

وخـــير اللحـــم ما أقلقه الجـــارح إقلاقـــا

وذو العـــادة للصيـــد إذا أبصـــره تاقـــا

فيغذوه بمـــا كـــان إليه الدهر مشتاقـــا

فكـــلْ منه شفاك اللـــه مشويا وأمراقـــا ■

المصادر والمراجع

1 - أبو بكر بن يوسف القاسمي، كتاب الجوارح وعلوم البزدرة، تحقيق: محمد ياسر زكور، بيروت: دار الكتب العلمية، 2016م.

2 - أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وتقديم: مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، الجزء الثالث، 1986م.

3 - بازيار العزيز بالله الفاطمي أبي عبد الله الحسن بن الحسين، البيزرة، تحقيق: محمد كرد علي، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1995م.

4 - راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 2009م.

5 - روجر أبتون، رياضة الصيد بالصقور عند العرب.. تاريخ لطريقة حياة، ترجمة: سعيد سلمان أبو عاذرة، أبوظبي: دار الكتب الوطنية بهيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2010م.

6 - زايد بن سلطان آل نهيان، رياضة الصيد بالصقور، أبوظبي: وزارة الإعلام والثقافة، 1976م.

7 - عبد الرحمن رأفت الباشا، الصيد عند العرب: أدواته وطرقه - حيوانه الصائد والمصيد، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1983م.

8 - عبد الهادي التازي، القنص بالصقر بين المشرق والمغرب، أبوظبي: دار الكتب الوطنية بهيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، الطبعة الأولى، 2015م.

9 - كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بسج، بيروت: دار الكتب العلمية، 2015م.

فن التبوريدة - الفروسية

الأصالة والهوية الحضارية

صالح لبريني

تعتبر الفروسية/ التبوريدة فنّاً تراثياً شعبياً ذائع الصيت بالمغرب، يبرز، من خلاله، مكانة الفرس المتميّزة في الذاكرة الإنسانية نظراً للأدوار المهمة التي لعبها، عبر التاريخ،كوسيلة للتنقل والسّفر ومطية لقضاء متطلبات الحياة ،كما إن الآداب الإنسانية تقدّم الفرس في صور تدلّ على الشجاعة والنخوة والمكانة الاجتماعية. وحضوره اللافت في الحضارة الإنسانية تأكيدٌ على رمزيته وأبعاده. ففي الثقافة اليونانية مثلاً نجد الفارس يحمل دلالة البطولة والتقديس، وينال الحظوة العالية، أما في الحضارة العربية فإنّه يجسّد قيم الإقدام والبسالة والكرم. في حين تزكّي الحضارة الأوربية هذا الطرح ذاته، من خلال، تعليم الآداب وفنون الفروسية في العصور الوسطى تحديداً. مما يُبيّن أهمية الخيول وقيمتها في الحضارة الإنسانية.

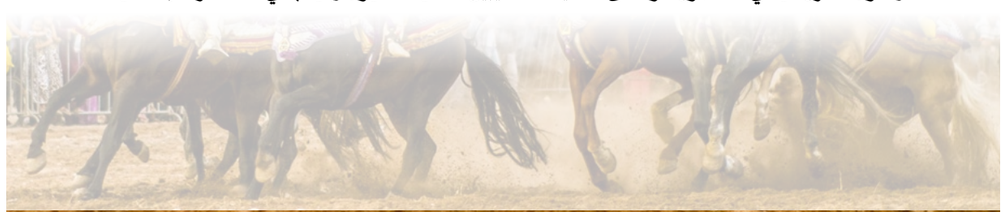

(1) رمزية الفرس في الذاكرة الجمعية:

إنّ أهمية الفرس تنجلي في الوظيفة المهمة التي يؤديها داخل المجتمع المغربي، كل هذا كان وراء العناية به عبر المراحل التاريخية، فاكتساب الفرس من الناحية الاجتماعية يحيل على الغنى والثروة والسلطة والجاه، مما حفّز الأسر البدوية على التسابق والتباري لامتلاك الخيل، والاجتهاد في الاهتمام بها من كافّة الجوانب (المأكل والمشرب والملبس) حتى تظهر بالشكل الجيّد الذي يليق بالأسرة ويبوأها شأناً و يَسِمُهَا بطابع النخوة والرجولة. وهذه الأولوية للفرس لم تأت اعتباطا وإنما نتيجة لسيرورة تاريخية. فالمصادر التاريخية والروايات الشفوية تشير إلى اهتمام المغاربة بالفرس لاعتبارات اجتماعية ودينية. من هنا يتبيّن أن الذاكرة الجماعية تحفظ تاريخ العناية بالخيول، وما يشكّله الفرس في بنية المجتمع المغربي، ويؤكّد على الصلة الوثيقة التي كانت تربط المغربي بالفرس، لأن هذا الأخير يضمر دلالة العز والكرامة والبسالة والمقاومة. ووسيلة من وسائل التلاحم بين مكونات المجتمع، والتجسيد الأسمى لقيم النبل والشهامة سواء في حالتي الحرب أو السلم. فحضور الفرس يستدعي الفارس وهما معا يشكّلان حصانة للقبيلة من الأعداء والمتربصين بأمن وسلامة أفرادها. وتواجد الفرس في المواسم والمهرجانات والأعياد الدينية والوطنية تعبير عن الأصالة والعتاقة. لاشك أن ظاهرة الفروسية هي التمثيل الأسمى لأهمية الفرس في حياة المغاربة، والتجسيد الجليّ لدوره في تثبيت القيم القبلية السائدة آنذاك، وفي التعبير عن صورة المغربي كفارس مغوار يجابه المخاطر من أجل الدفاع عن القبيلة، وللإشارة ففن التبوريدة لا ينخرط فيه إلا الرجل في تغييب تام للمرأة رغم أدوارها الاجتماعية المهمة، إلا أنّ للفرس معنى آخر إذ يدل على الفأل الحسن وعلى الخير والبطولة والشجاعة، لهذا نجد القبائل تلقّن الأبناء أبجديات تعلّم ركوب الخيل والمشاركة في عروض التبوريدة التي تجسّد الصفات والمظاهر الاجتماعية. والتبوريدة (الفروسية) هي مناسبة لتعضيد الأواصر بين القبائل المغربية سواء البربرية أو العربية.

(2) الإرهاصات الأولى لفن الفروسية:

والفروسية لم تأت من فراغ بقدر ما تمّ إنتاجها منْ قِبَلِ نظام مجتمعي وبنية ذهنية مؤطّرة لهذا المسعى المراد بقصد تعظيم الفرسان وتقديرهم، وبتبويئهم المكانة التي هم جديرون بها، تساوقاً مع التحويلات الاجتماعية في تلك الحضارات والثقافات التي تم ذكرها في السالف من الحديث. وعليه فالمغاربة، وعبْر تاريخهم، قد بذلوا الجهد الكثير للاعتناء بالفروسية على أساس أنها فنّ شعبي من فنون الحرب والمقاومة، وآلية من آليات الدفاع عن النفس والوطن هذا من حافّة. ومن حافّة أخرى ذات بعد فرجوي احتفالي عند المناطق المغربية سواء بربرية كانت أم عربية، الأمر الذي أثار فضول المهتمين والدارسين الكولونياليين للبحث عن ذخائر هذا الفن الذي يعطي قيمة عظمى للفارس المغربي وتكشف عن استطاعته للإبداع والتفنّن في هذا الفن التراثي التّليد،وإبراز الفروسية كظاهرة فرجوية.

(2) فن التبوريدة : النظام والمقومات:

ويعتمد فن التبوريدة على شروط أساسية ينبغي على الفارس الالتزام بها والخضوع إليها، وهي عبارة عن قواعد متجذّرة ومتوارثة من جيل إلى جيل يتم تلقينها للأبناء منذ الصغر حتى يصبحوا مهرة في هذا المجال. إضافة إلى أن الخيول لابد له من امتلاك عدة مميزات كأن تكون حرة وصغيرة السن، طويلة واسعة الصدر عريضة الركبتين ومرفوعة الرأس، واللون المفضل

للفرس أن يكون أشقر أدهم وهذا النوع من الخيول يحظى بمكانة عند الفرسان. وحتى يصبح الفرس فرساً يتم ترويضه منذ أن يكون مهراً، من خلال تدريبه على الرقص كمرحلة أولى ثم بعد ذلك يوضع لجام وفي النهاية تأتي مرحلة الركوب التي تعدّ المرحلة التي يبلغ فيها المهر فرساً قادراً على المشاركة في استعراضات الفروسية. ولنجاح عملية التبوريدة لابد من اختيار الميدان «الَمحْرَكُ» / الساحة، وهي الأرضية التي تُقامُ في عروض التبوريدة، مع التأكيد على أن الفارس لابد أن تكون علاقته مع فرسه قوية متينة، بغاية نجاح العروض والاستعراضات وتحقيق الفرجة والتسلية، وتنصبُ على هوامش السّاحة الخيام توجد بها مجموعات غنائية تزرع البهجة في قلوب المتفرجين وتتغنّى ببسالة الفرسان ومكانة الخيول في الذاكرة الجمعية للمغاربة ودورها في المقاومة والدفاع عن البلاد. وحتى تكتمل الصورة البهيجة والكاملة لعروض فن التبوريدة لابد للفارس من ارتداء لباس عبارة عن زي تقليدي خاص بهذا الفن ويتشكّل من جلباب أبيض رهيف تحته رداء خفيف يسمى «الْفَرَجِيّة» أو «التْشَامِير» وسروال عربي فضفاض إضافة إلى البرنوس (السّلهام) والعمامة البيضاء التي تزيّن رأس الفارس واستعمال «الحرّاف» وهو يتكوّن من حبال حريرية حمراء ويتمنطق الفارس الْكُمِّيّة أو الخنجر أو «الشُّكَارَة» بمجدول أحمر، والحذاء الذي يصنع من الجلد الخفيف يصل إلى مادون الرّكبة، وقد صوّر الشاعر المغربي أحمد المجاطي في قصيدة «الفروسية» مشهد من عروض فن التبوريدة في قوله: «سحائب من نشوة الغبار/ في السّاحةُ / تصفع وجْه النّجْم / أو تصفغ أشباحا/ من خبَب بطيء/ والخيل تعْلَك المدى/ تدكّ ألواحَهُ / بالشّدّ والمجدول والكُمِّيَّه/ والكفّ في معارف الجواد/ والوجْه الذي لاح / من خَلل الرّحام / وعُرْوة اللّجام / للرّيح مرميّه / وتنتشي زُغرودة / تهلُّ أو تضيء / ويستفيق الثّلج في أحشاء / بارودة» لوحة بديعة استطاع الشاعر تلخيص فن التبوريدة كعرض فرجوي وعميق الأبعاد والدلالات. وتتكوّن «السَّرْبة» من مجموعة من الفرسان والخيول التي تعدو في التبوريدة، من 11 إلى 15 فارساً يصطفون على خط انطلاق واحد، ويترأسها «المقدم»، الذي يتخذ مكانه في وسط الفرقة وينسق حركات الرجال والخيل معاً، وما ذكرنا سابقاً يمثّل أهم المقومات الرئيسية التي لابد من توفرها في الممارسين لهذا الفن

العريق، والتي يضفي على العروض التنظيم والتناسق والانسجام بين عناصر السربة الذين يرتدون لباساً موحّداً. ويتم تزيين الفرس بسرج الذي يتكون من اللّبْد وهو نسيج صوفي يصنع محليًا ويتم وضعه على صهوة الفرس، ثم الطّرَاشِحُ الذي يحمي صهوة الفرس من الاحتكاك بالْقَرْبُوسِ، إضافة إلى وضع أجراس وخيوط حريرية تزيد الفرس تأنّقاً ومهابة. وفن التبوريدة لم يقتصر على الذكور بل شمل الإناث وهذا ما يمكن أن نطلق عليه بـ«تأنيث التبوريدة».

(3) طقوس وعادات فن التبوريدة :

ويؤدى عرض التبوريدة على النحو الآتي؛ في البداية يتم تبادل التحية فيما بين الفرسان وكذلك المتفرجين، ويُطلق عليها «الْهَدّةُ» وهي مؤشّر على انطلاق العرض مردّدا عبارة «الحافظ الله» والتي تحمل دلالة التوكل على الله وطلب السلامة لموكبه، فترى الفرسان يقفون على صهوات الخيول ويشرعون في ترقيص الحيوان وهي عملية ترويضية يقوم بها الفارس للتحكّم في فرسه، وبين لحظة وأخرى يعطي «العلّام» إشارات للفرسان للتحرّك ملحّا على ضرورة الحفاظ على توازي الموكب، وبعد قطع مسافة في ساحة الاستعراض يصيح «العلّام» «والْمُكَاحَلْ» وهي كلمة تحيل على الاستعداد واستعمال المكاحل/ البنادق، ووضعها على أكتافهم اليمنى،مع تحريكها إلى الأمام وإرجاعها إلى الوراء، وبعدها يصيح «العلّام» «أرَوْا الْخِيل» فتركض الخيل بسرعة فائقة قاطعة الساحة، وعند الاقتراب من النهاية يقوم الفرسان باللعب بالبنادق يمنة ويسرة وبعدها ويوجهونها صوب الأرض ثم يضعونها على صدورهم وبإشارة من «العلّام» يتمّ الضغط على الزناد وبعد دوي البارود في طلقة واحدة تنطلق الزغاريد والهتافات.

على سبيل الختام:

وعليه ففن التبوريدة يعدُّ تراثاً شعبياً أصيلاً، متجذّراً في التربة المغربية، يوليه المغاربة الأهمية كموروث لامادي يعكس هوية المغاربة، وحضارتهم وتاريخ الجهاد والمقاومة، ويمثّل الذاكرة الجماعية التي تظل حيّة وقائمة الذات بالحفاظ عليه، وبه يتمّ تجسير العلاقات الاجتماعية بين مكونات المجتمع المغربي، كما يسهم في إعطاء صورة تقريبية للروابط التاريخية والحضارية التي كانت تجمع المشرق بالمغرب ■

*شاعر من المغرب

«كَيمارا» رحلة القنص الطويلة

د.بوزيد الغلى

توحي كلمة «كَيمارا» Gaymara بشيء من الغرابة، فهي من حيث التركيب مثل «ونكَالا»، وكلاهما تشتركان في الدلالة على طقس يتعلق بالطعام، فالأولى تعني القنص، وهو نشاط قديم امتهنه الإنسان منذ القدم من أجل تحصيل قوت يومه، والثانية تعني، إن شئنا تقريب المعنى، الوليمة التي تنظمها النساء بالتناوب.

طالعتني، وأنا أقرأ مؤلف صوفي كاراتيني بنت القناص La fille du chasseur تفاصيل حياة القناص في براري موريتانيا في الفترة التي سبقت منع الدولة أنشطة القنص غير المنظم بتراخيص رسمية. وقبل أن أستعيد بعض ما احتفظت به ذاكرة صاحبة المحكي الشفهي الذي وثقته كاراتيني بلغة رشيقة جعلت النص أقرب إلى رواية متخلية كما يوحي بذلك وسم الكتاب Roman، لا غضاضة في القول إن تقاليد القنص، وإن اختلفت، بين الثقافات، فإنها تتفق في حرص القناص على إعداد العدة، وترصد الطريدة، كما يصف السارد في رواية «القناص» للكاتب زهران القاسمي: «أنا مغرم بتسمية أشيائي أسماء قريبة إلى قلبي، فبندقيتي اسمها عز، وسكيني قطّاعة، ومحزم الرصاص شدّاد، وحقيبة الظهر بنت الريح، ومنظاري المقرب عين الصقر (...)، أسرع في وضعه على عيني لكي أرقب القنيصة، وعندما تفلت من مدى نظري في اللحظة الأخيرة، أجدني ألوم عين الصقر».

يمثل القناصون في المجتمع التقليدي الموريتاني فئة اجتماعية تسمى النمادي، في مقابل فئة الصيادين بالبحر المعروفة بإيمراكَن، ورغم أن الفئتين كما أشارت صوفي كاراتيني وسيباستيان بولاي تعانيان من نظرة دونية أو احتقارآتية من ينابيع ثقافية لا تقيم وزنا للحرف والمهن بقدر ما تحتفي بالمحارب، فإن تقاليدهما وممارساتهما الثقافية تمثل عامل إثراء حقيقي للموروث الثقافي البيضاني.

لا تتسع مساحة هذه المقالة لاستقصاء أثر الاستخفاف بأصحاب الحرف في ميلاد كثير من الأساطير التي أورد بعضها بيير بونت في كتابه: «روايات أصول المجتمعات البيضانية، مساهمة في دراسة ماضي غرب الصحراء»، ومنها الأساطير التي نسجت حول «كلاب النمادي».

كَيمارا : رحلة القنص الطويلة

يخرج قناصو «النمادي» في رحلات صيد جماعية طويلة الأمد تسمى كما أسلفنا كَيمارا Gaymara، ويأخذون معهم أحياناً نساءهم . يرتدون ألبسة، من الجلد أو من الكتان الداكن، معدة أساساً للصيد. يحرصون على أن يكون لون زيّ الصيد موحداً ومخاتلاً، كي يتيح التخفي في البرية. وخلال فترة الاستعمار، أصبح القناصون يرتدون زيّ الجيش الفرنسي، ربما وجدوه مناسباً للتخفي واستغفال الطرائد !. يمتشق كل قناص سلاحه، يحمل حقيبة أدواته، ويتمنطق بحزام يضم حمالة خراطيش الرصاص، كما يضع قبعة على رأسه ينبغي لزاماً أن تغطي الشعَر كله، ولا تترك للريح منفذاً كي لا تعبث به أو تحركه، فيجفل الوحيش ويفرّ.

كلاب النمادي: كلاب معلَّمة !

لا يشذ النمادي عن عادة العرب في تعليم الكلب وتدريبه على الصيد وفق الأحكام والقواعد التي أوضحها صاحب كتاب المصايد والمطارد الذي حشد أقوالاً كثيرة على سبيل الاستشهاد على ضرورة تعليم الكلب عدم أكل طريدته، وإن لزم ذلك معاقبته، فقد قيل: إذا أرسلت كلبك المعلم فأكل طريدته فاضربه أسواطاً وقِفه على ما صنع فإنه لا يعود.

تختلف النظرة إلى كلب الصيد عن كلب الحراسة، فكلب الصيد ليس بنجس، ولذلك يفتخر النمادي بكلابهم، حسب كاراتيني، فهي ليست مثل كلاب الحراسة، وإذا قتل كلب صيد وجب على الفاعل أداء الدية، ورغم أن كاراتيني لم تذكر مقدار الدية حسب عرف النمادي واكتفت بالقول إنها مثل دية الإنسان، فإن القدامى كما ذكر مؤلف المصايد والمطارد قدروا دية كلب الصيد بأربعين درهماً.

تحظى كلاب الصيد عند النمادي بعناية خاصة، إذ لا يقدم لها اللحم النيئ كي لا تعتاد طعم دم الحيوان، كما لا تقدم لها العظام كي لا تحفف أسنانها وتندرم، لذلك، تحرص نساء النمادي على فصل اللحم عن العظم، وتقمن بطهو اللحم طهواً متوسطاً، لا يترك نيئاً ولا ينضج غاية الإنضاج.

لا يقنع النمادي بصيد الغزلان، بل يدربون كلابهم على صيد المها أو البقر الوحشي، فهم يملكون عدداً كبيراً من الكلاب، وهي مدربة على إتعاب الحيوان بالجري كي يستسلم. وليس الصيد عندهم كما قالت كاراتيني أمراً سهلاً واعتباطياً، وإنما هو عملية مخطط لها، تدرب عليها الكلاب، فهي فن يتطلب وقتاً وجهداً، وصبراً على الترويض والمران، إذ تقرن كل أربعة كلاب بحبل يتم ضفره من الجلد يسمى (راس لمراس)، ويقوم المروض بإرسالهم ثم جديهم إليه بقوة من دون أن يظفروا بما أرسلهم إليه من «طريدة» كي يتعودوا على عدم السطو على الحيوان إلا بعد إرهاقه.

في رحلات الصيد، يسير النمادي ومعهم قطعان من الكلاب المدربة، ويكون لكل صياد ما بين أربعة إلى ستة كلاب، وعندما يصاب أحدها بجروح نتيجة مقاومة المها العنيفة، يعهد به إلى النساء قصد مداواته. في العادة تحط النساء مع أطفالهم الرحال في المكان الذي يصاد فيه رأس أو أكثر من الوحيش، ويتابع الصيادون رحلة الصيد في البراري.

لا يصيد النمادي في منطقة واحدة، وإنما يتوزعون جماعات على المناطق التي يكثرفيها الوحيش، ويضعون علامات معينة كي يبقى الاتصال بينهم قائماً، فإذا عرض عارض لأحدهم، يستطيع من معه أن يهتدي إلى مواقع الآخرين كي يحظى منهم بالمساعدة.

النمادي: حياة تحفها المخاطر !

يعتقد بعض النمادي أن الصحراء بما هي بحر من الرمال مخيفة، وليست أقل خطراً من البحر الذي يتهيبه معظم البيضان، ففي رحلات كَيمارا، قد يموت القناص عطشاً في جوف البيداء، كما قد يصيبه رصاص طائش أثناء القنص، لكنهم لا يلقون بالا للمخاطر بقدر ما يدفعهم نمط عيشهم القائم على المغامرة إلى تجشم الصعاب التي يفضلون ركوبها على الحياة المدنية الناعمة، ففي شريط وثائقي أنتجه غربيون حول النمادي، لا يتردد القناصون في القول، إننا لا نفضل إرسال أبنائنا إلى المدرسة، بقدر ما نطمع في رفع الدولة الحجر عن نشاط القنص الذي تم منعه في عدة مناطق، فأصبحنا مضطرين إلى التوغل نحو الصحارى التي تضعف فيها المراقبة، ويتراخى سلطان المنع.

خلال الارتحال، يستعمل النمادي الجِمال لحمل الأمتعة، ويقطع أكثرهم الفيافي مشياً على الأقدام، تتبعهم كلاب القنص والحراسة. ولا يعولون على الكلاب فقط في اقتناص الطرائد، وإنما يستعملون أسلحة الصيد مثل سلاح «كشام» الذي اعتبرته صوفي كاراتيني أقدم أسلحتهم المستعملة.

كيف يحافظ النمادي على لحم القنيصة ؟

يستهلك النمادي اللحوم التي يحتاجونها خلال رحلة «كَيمارا» الطويلة، وما فاض عن حاجتهم تعتني به النساء اللاتي يصنعن منه القديد مثلما كان يفعل بلحوم الأضاحي في البوادي والقرى التي لا تتوفر فيها وسائل التبريد والصيانة. ومن المفيد أن نشير في هذا الصدد، إلى أن طريقة صيانة لحم القنيصة بتجفيفه تقابلها

طريقة تجفيف السمك عند صيادي إيمراكَن. يختلف النمادي عن إيمراكَن من عدة وجوه، فالبحر والصحراء مجالان طبيعياً وثقافياً، والنمادي، مثلا، يتحدثون الحسانية، بينما يتكلم إيمراكَن لغة أقرب إلى الصنهاجية، ويستعمل كل منهما معجماً خاصاً متعلقاً بالحرفة التي يمارسها (الصيد البحري والقنص البري)، لكنهما يشتركان في عدة خصائص ثقافية منها العيش على هامش المجتمع البيضاني الذي يزدري الحرف، وكما لا يتردد إيمراكَن في المخاطرة في البحر، لا يخشى النمادي من العيش على نشاط القنص في البيداء.

خاتمة:

تغيرت كثير من المعطيات التي وثقتها صوفي كاراتيني عن حياة النمادي خلال فترة الاستعمار، كما إن الوحيش تناقص بشكل مهول نتيجة الجفاف وعوامل أخرى كثيرة، لكن نشاط القنص لم يندثر البتة، فلا يزال بعض القناصة يمارسون قنصاً عشوائياً كما تشير بعض القصاصات المعززة بصور الطرائد، ويشكو بعض الغيورين على الحياة البرية والثروة الحيوانية من ضعف تدخل الدولة لتنظيم أوقات القنص وضوابطه من أجل حماية الأنواع المهددة بالانقراض من الحيوانات ■

الصيد بالصقور.. رياضة استهوت العظماء

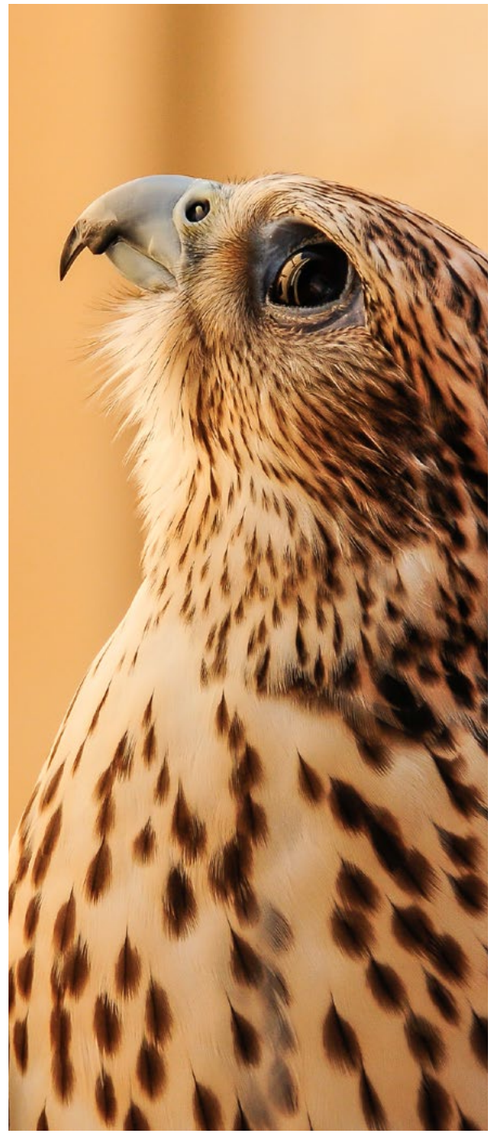

جمال مشاعل

لا تخفى أهمية الصيد في المجتمعات البدوية والصحراوية على أحد فالإنسان يمارس رياضة الصيد بالصقور للترويح عن النفس، ولمَا تعود به عليه من قوة بدنية، ولأنها تعلّمه الصبر والمثابرة، ولها فوائد أخرى. وعن تدريب الصقور على الصيد يروي كتاب (أبوظبي .. مشاهدات دار الهلال في عام 1968) أن المراجع التاريخية تؤكد أن الصيد بالصقور في الشرق نشأ قبل أن يتعلم الإنسان الكتابة، واستخدمت هذه الطريقة في الصيد عام 722 قبل الميلاد، وبعد هذا التاريخ بنحو 1500 سنة أخذها الغرب ضمن ما أخذ من الشرق، فازدهرت في أوروبا الغربية والجزر البريطانية، ومارسها التجار والمغامرون الذين كانوا يقومون بجولات في الشرق ثم يعودون إلى بلادهم بالصقور والمدربين العرب.

ويشير الكتاب إلى أن الصياد يحمل صقره فوق قفاز في يده، أو يستبدل بهذا القفاز قماشاً سميكاً يلبس على الذراع، حتى يحمي اليد من مخالب الطير الحادة، ويربط إحدى رجلي الطير بهذا القفاز، وتوضع قطعة صغيرة من الجلد كغطاء للرأس يستطيعون نزعها بسرعة عن عين الصقر قبل انطلاقه للصيد، والصياد المتمكن يستطيع أن يصيد 10 حبارى في اليوم الواحد. والصيد بالصقور يبدأ عندما يظهر في صحراء أبوظبي طير «القطاة» الذي يحدث صوتاً عالياً، وعندما تهاجر «القُبّرة» إلى الصحراء العربية في بداية الشتاء، وعندما تظهر صغار الحبارى، ويستخدمون السيارات في رحلات الصيد، وقبلها كانوا يستخدمون الإبل في أبوظبي، ويخرجون في مواكب كبيرة. وقد ورد في كتاب (زايد والتراث) الصادر عن الأرشيف الوطني أن الصيد بالنسبة لأفراد قبيلة بني ياس يمثل إرثاً حضارياً يحافظ عليه، ويمارسه الكبير والصغير على حد سواء، حتى إن رحلة الصيد كانت السبب المباشر في اكتشاف الموقع الذي استقر فيه بنو ياس والذي أصبح اسماً لإماراتهم وعاصمتها؛ فالصيد في شكل مجموعات متألفة تخرج للبر أو تسافر خارج الدولة وتمارس تلك الرياضة المحببة بصورة جماعية كان - وما يزال - أمراً مألوفاً وشائعاً بين الرجال، يجدون فيه ترويحاً عن النفس، ويزدادون فيه تعاضداً وترابطاً.

الصيد بالصقور .. كما رآها الشيخ زايد

ويؤكد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيب الله ثراه - في كتابه (رياضة الصيد بالصقور) إن هذه الرياضة تساعد الحاكم على التعرّف على أحوال البلاد والعباد، ويمكن تفصيلها في: الالتقاء بعدد من المشاركين من فئات اجتماعية مختلفة، منهم التاجر والحاكم، والغني والفقير، وكلهم يعيشون ويتحركون سوياً لفترة تمتد أياماً وأسابيع، كما تساعد على التعرُّف على أحوال أقاليم البلاد، ومناطقها المختلفة من حيث العمران والخدمات، وتساعد على الاستماع إلى مشاكل الرعية وشكواها.

إن اهتمام الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بالرياضيات التراثية وحرصه على ممارستها وتشجيعها وتأمين استمرارها بدأ منذ الطفولة، فقد تعلم ركوب الخيل منذ طفولته، وكان يصحب والده في رحلات القنص ولمّا يتجاوز العاشرة، فما كان يأبَهُ لحرّ الصيف والتعب والإرهاق عند ممارسة الرياضات التي كان يعشقها وفي مقدمتها الصيد بالصقور وركوب الخيل، وعرف عنه - رحمه الله - حرصه على المشاركة في رحلات الصيد بصورة منتظمة داخل الدولة وخارجها، ولعل اهتمامه بالقنص بالصقور بوجه عام يتضح في المشاركات والنشاطات المتعلقة بتلك الرياضة والاستفادة منها منذ صباه وطيلة عمره، ولقد ظلّ ممارساً لرياضة الصيد بالصقور في طفولته المبكرة إلى

أن تخطى السبعين من عمره، وعرف كيف يستفيد منها بدنياً وذهنياً واجتماعياً وسياسياً. وقد استفاد الشيخ زايد من هذه الرياضة بمعرفة صفات الصقور وأنواعها، وطريقة التعامل معها والاستفادة منها في الصيد، ودوّن - رحمه الله - معارفه وخبراته عن صفات الصقور، والصيد بالصقور في كتاب قام بتأليفه ونشره، بعنوان: (رياضة الصيد بالصقور). وقد وجّه رحمه الله إلى تنظيم مؤتمر عالمي عن الصقور عقد تحت رعايته بمشاركة دولية مهمة في أبوظبي عام 1976م، وتمّ إنشاء مستشفى خاص بالطيور في دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو الأكبر من نوعه في العالم،

والأوفر من حيث الإمكانيات البشرية والفنية، وتبنّى الشيخ زايد مشروعاً خاصاً برعاية الأنواع النادرة من الصقور وإطلاقها لكي تنتشر بصورة طبيعية في أرجاء العالم حفظاً لها من الانقراض.

وفي الجزء الأول من كتاب (ذاكرتهم تاريخنا) الصادر عن الأرشيف الوطني يقول الشيخ مبارك قران راشد المنصوري: أذكر أنه في فترة القنص لم يكن الشيخ زايد يأكل أي شيء إلا مع جميع مرافقيه، وكان يقدم كل ما كان يصيده لأصحابه ومرافقيه فلا يرسل منها شيئاً لأهله. ويتابع: في إحدى رحلات الصيد التي قام بها قبل توليه الحكم عام 1966، كنا معه، وكان لدينا خيمة صغيرة لا تسع أكثر من شخصين أو ثلاثة، فألزمنا الشيخ زايد المبيت فيها فقلت له: يا زايد دعنا نفسح لك مكاناً فنحن لن نرقد معك، فأجاب قائلاً: ارقدوا ما عليكم. وحلف علينا، وقال: والله ما تظهرون (لا تغادرون الخيمة)، وهذا أحد مواقفه، ولا أستطيع أن أحصي مناقبه ...

في عالم الصيد بالصقور

وفي ذكرياته عن القنص والصقور يروي الشيخ حمد سلطان محمد الدرمكي في الجزء الثاني من (كتاب ذاكرتهم تاريخنا) الصادر عن الأرشيف الوطني أيضاً، فيقول:

الصيد بالصقور من أجمل الهوايات، ومن أحبها إلى نفسي، فمنذ أن كنت صغيراً وإلى اليوم، وأنا أذهب برفقة سمو الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان ممثل الحاكم في المنطقة الشرقية، ولم أكن أفارقه، وهو من علمني هذه الهواية، فأحببتها كثيراً؛ فهواية الصيد بالصقور لها خاصية مميزة لا تقارن بأي هواية أخرى، لها نظام خاص وحياة خاصة... في القنص ننسى كل شيء حولنا: أبناءنا وأعمالنا وأموالنا، ونعيش جواً آخر وعالماً آخر، ومدة القنص عشر أيام أو خمسة عشر يوماً، والصقر لي كالصديق الشجاع، أو الابن الذي دربته وربيته على يدي، أحمله معي أينما ذهبت، وإذا وجدت فيه عيباً تركته، فهو لا يستحق صداقتي، والذهاب إلى القنص أشبه بالذهاب إلى المعركة؛ ففي المعركة يكون الإنسان بحاجة إلى صديق قوي وشجاع، وأنا صديقي طيري، والصقور أنواع والمعروف منها الحر، والشاهين، والقرموشة، والوكري، وحالياً جاء الصقر الهجين الذي يأتي من الشاهين والجير (والجير من الصقور المهجنة أيضاً) وأخذوا أيضاً من الحر ووضعوه مع الجير فأصبحت السلالات الآن قوية. سابقاً كان الحر أكثر استخداماً؛ لقدرته على الطيران مسافات طويلة، لملاحقة الحبارى السريعة فله نفس طويلة لمطاردتها، والشاهين يطارد بسرعة ويرتفع بسرعة، ولكن الحر هو الذي لديه النفس الطويل، وقد كان عندي صقر بقي معي تسعة عشر عاماً، آخذه معي ولا أستغني عنه، لكنه كبر في السن ومات، الصقور تعيش قرابة خمسة عشر عاماً وبعضها تسعة عشر، أو عشرين عاماً حسب الاعتناء بها من صاحبها، ونختار للصقر الشجاع اسماً يدل على قوته؛ كشهاب، أو فارس، أو تاج، أو أي اسم شبيه بأسماء الرجال الشجعان أو الحصان الشجاع؛ ليعرف مدى قوته التي يستمدها من اسمه، فيكون اسمه كلقب الشهرة الخاص به، وإذا فقدت صقراً فكاني فقدت صديقاً لي.ومن أجمل ما يذكره الشيخ حمد سلطان محمد الدرمكي، أن الصياد حين كان يطلق الصقر خلف الحبارى يجب أن يقول (بسم الله) لأنه من الممكن أن يدركها ويقضي عليها وتموت، وعند ذِكرِ اسم الله قبل إطلاق الصقر فهذا يعني أن أكل الحبارى حلال. ويذكر الراوي علي حسن سعيد بن الشيخ الرميثي أن طائر الشاهين حين يرغب بالحصول على صيده يتحقق ويعرف كيف يصل إليه، فلا يهجم

داخل المجموعة لكيلا يهجموا عليه، بل يراقب المنطقة جيداً، ولا يأتي كذلك من الخلف ليهجم في داخل المجموعة، بل يأتي إلى المجموعة ويعزل الصيد الذي يرغب في الحصول عليه، إلى أن يتمكن من اصطياده. ويذكر كتاب (أبوظبي) أن الصياد الماهر في المنطقة الشرقية يستطيع معرفة الصقر الجيد من عينيه وساقيه؛ فعيناه لا بد أن تكونا براقتين، وساقاه طويلتين، ومخالبه كبيرة، ويجب ألا يكون هناك أي سقوط لأي ريشة من أجنحته؛ لأن هذا السقوط يضعف قدرته على الطيران، ويشير الكتاب إلى أن أغلى أنواع الصقور عندهم هو الحر الأبيض اللون وذلك لحدة بصره، وشكله الجميل، وجرأته وسرعته أثناء الطيران، وصقور منطقة العين من حيث تخصصها نوعان: نوع له أجنحة طويلة يستخدم في الصحاري ويقبض على فريسته في الهواء، والنوع الآخر أجنحته صغيرة ويستخدم في الغابات ويراقب فريسته من فوق شجرة، ويختار الوقت المناسب ليندفع نحوها مخترقاً بمخالبه الأعضاء الحيوية في الجسم وخاصة القلب، وهذا النوع يناسب لاصطياد الأرانب الجبلية.

شخبوط بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - في أواخر عام 1955م، ويصف الكاتب الطريق من أبوظبي إلى البريمي، وكيف نصبت الخيام في الصحراء، وما لاقته الصقور من اهتمام وكيفية تدريبها، وتجهيزها للصيد، كما صوّر بالكلمة بدقة أجواء الرحلة.

ويصوّر الكاتب تصويراً دقيقاً لاثنين من الصقور، كان يسمى الأول (طلال)، والثاني (نهار) كيف انقضا على طائري الحباري، فيقول: انقضّ طلال على طائر الحباري الذي كان قد انطلق لتوّه، وطرحه على الأرض، وركض الحباري بضع ياردات، ثم طار مرة أخرى، ورفرف أجنحته الكبيرة رويداً على حين كان يسعى جاهداً ليطير، لكن أجنحة طلال كانت ترفرف أسرع فحلق عالياً وسقط كالصاروخ على الطائر، ودفعه إلى الأرض وصرعه، وفي هذه الأثناء يحاول (نهار) أن يسلك نفس الأسلوب مع طائر الحباري الأخر الذي كان لديه الوقت ليحلق عالياً، لكنه لم يكن سريعاً كفاية، وكان من الممكن رؤية الطائرين وهما يطيران في دائرة واسعة على مدى مئتي ياردة، وأحدهما فوق الآخر إلى أن ينقضّ نهار على الفريسة ويصرعها ويرتفع، وينقض مراراً وتكراراً حتى يسقط الحباري على الأرض، مثل طائرة أسقطت وفقدت أجنحتها السيطرة ■

من ذكريات الصيد

وفي كتاب (ذاكرتهم تاريخنا) الجزء الثاني، يتطرق الراوي سيف راشد أحمد بن غافان الدهماني للقنص، فيقول: كان أهلنا يذهبون للقنص، وأذكر أن رجلاً اسمه راشد محمد المطار كان قناصاً محترفاً، كان يصطاد الطيور والوعول، وكانت جبالنا ملأى بالوعول، وكان راشد - رحمه الله - يجلب غزالين أو ثلاثة يذبحها، ويوزع لحمها على أهالي الفريج، وكنا نتعلم منه الكثير، وكان الناس يأخذون اللحم ويملحونه، ويجففونه، وكنا نسميه لحم مملح. ويتابع الراوي: تعلمنا صيد الطيور بالشوزن (بندقية صيد تسند إلى الكتف، وتتكون طلقتها من كريات رصاصية ضمن غلاف، أو تكون رصاصة واحدة) والسكتون (البندقية عيار 22 مم، والمسكبة أو المسجبة (بندقية الصيد)، وكنا نختبئ عند الماء في الوادي أو قرب بركة ماء ننتظر قدوم الصبا أو العرم، أوالصفارد (الطيور البرية من فصيلة الحجول) لشرب الماء، كنا نصطاد الطيور لنأكلها، ونعد منها الصوالين (جمع صالونة، وهي المرق) ونوزع على أهلنا إذا كان ما اصطدته كثيراً.

صورة موثقة لرحلات الصيد بالصقور

وفي كتابه (الفقاعة الذهبية) الصادر عن الأرشيف الوطني، يروي الكاتب الإنجليزي رودريك أوين تفاصيل رحلة الصيد مع الشيخ

الفروسية والصيد البري في اليمن

زهور عبدالله

تُعدُّ الفروسية وممارسة الصيد البري من المكونات الرئيسة في شخصية وثقافة الإنسان العربي منذ الأزل، وتتجلى هذه الحقيقة بوضوح في سلوك وحياة اليمنيين الذين توارثوا تلك العادات عبر السنين، وإن كانت تحولت وتغيرت وظائفها وأهدافها ومستوياتها باختلاف العصور.

أجبرت ظروف الحياة الإنسان اليمني على خوض غمار الحروب في كافة الحقب الزمنية، ما رسَّخ في عقليته أن كلمة الفارس تعني بشكل تلقائي المحارب الذي يقارع الخطوب، ويحمي القبيلة معتمدًا في آداء مهمته على الخيل والسيوف والرماح، وتنسحب مهمته لتشمل الصيد، حيث لا يستطيع الفرسان الزهو بأنفسهم أو التباهي أمام عشيرتهم، ما لم يتمكنوا من اصطياد الفرائس البرية الألفية منها، كالظباء والوعول أو حتى المتوحشة كالنمور والضباع والذئاب وغيرها.

ويؤكد المختصون أنَّ الخيول اليمنية من أعرق سلالات الخيول في العالم وأقدمها، ويقول المؤرخ اليمني الدكتور عبد القوي الزهيري إن اليمنيين العرب - على امتداد تاريخهم - من أكثر الشعوب اعتناء بسلالات خيولهم وحفاظًا على أنسابها ونسلها، ما جعلها من أفضل الخيول الموجودة على وجه الأرض، ولكن ذلك الاهتمام تراجع بشكل ملحوظ في العقود الأخيرة، بسبب تضاؤل استخداماتها في شؤون الحياة المختلفة.

ويضيف الباحث الزهيري - وهو مهتم بشؤون التاريخ اليمني القديم: إن البعثات الأثرية إلى اليمن في عقد الثمانينيات، وجدت نقوشًا ورسومًا من المرمر والرخام وعلى الأحجار، وكلها حملت صورًا للخيول اليمنية العربية إبان حضارات اليمن القديمة التي تمتد إلى القرن العاشر قبل الميلاد، على غرار حضارات حضرموت وسبأ ومعين وحمير وغيرها، وكيف اعتمد اليمنيون القُدامى على الخيل في حروبهم وتجارتهم وهجرتهم وصيدهم، إذ كانت بالنسبة لهم شأنًا لاغنى عنه في الحياة . وتعتبر المحافظات الشرقية والصحراوية لليمن مثل الجوف ومأرب - كما يؤكد الدكتور الزهيري في حديثه لـ«تراث» - الموطن الأول للخيول العربية الأصيلة، وتمتاز جياد هذه المناطق البدوية بجمال المظهر ورشاقة الحركة والقدرة على التكيف مع البيئة، وتمتاز بسهولة الترويض، إلا أنَّ أعدادها باتت الآن مهددة بالتناقص للغاية، إثر ترحيل الكثير منها عقب سقوط نظام الأئمة في أوائل عقد الستينيات من القرن الماضي إلى خارج البلاد، وكذلك الأوضاع السياسية غير المستقرة منذ ذلك التاريخ؛ أسهمت بشكل واضح في تراجع الاهتمام والرعاية لتلك الأنواع الأصيلة من الخيول.

الآن؛ بات امتلاك الخيول حكرًا على بعض المشايخ والأثرياء ومسؤولي الدولة، وكانت السلطات قد بادرت في أواخر ستينيات القرن الماضي إلى تجميع الخيول اليمنية الأصيلة من مختلف مناطق البلاد، ووضعها فيما كان يسمى سابقا دار البليلي في العاصمة صنعاء، وهو مقر الكلية الحربية حاليًا بمنطقة الروضة شمالي العاصمة، والذي يضم اليوم عشرات الأحصنة، والتي ظلَّ دورها مقتصرًا على العروض العسكرية، فيما ظلَّ القليل منها مملوكة لبعض الأغنياء في مزارع خاصة في سهل تهامة الغربي، يركبونها للاستعراض في المناسبات المختلفة، كما يوجد عدد آخر من الخيول في إسطبلات تابعة لجهات رسمية في عدد من المناطق؛ مثل محافظات ذمار والحديدة وتعز على وجه التحديد.

مهام وأدوار مختلفة

لم تعد الفروسية اليوم بمثل قوتها الماضية كظاهرة طاغية على المجتمع اليمني سلفًا، وذلك لعدة عوامل من أبرزها عدم الاستقرار السياسي. ويلفت نظر الزائر لمنطقة التحرير وسط العاصمة صنعاء أولئك الرجال الذين يقفون مع أحصنتهم المزينة بألبسة مزخرفة على سروج وألجمة الخيول، وهم يحملون كاميرات تصوير فوتوغرافية، ويعرضون خدماتهم على المارة بامتطاء الأحصنة، والتقاط صور تذكارية لهم لقاء مبلغ زهيد من المال. ويقول ناصر الحيمي - وهو صاحب فرس دهماء بمنطقة التحرير- إن ما يجنونه من المال مقابل هذه الخدمة السياحية التي يقبل عليها الأطفال تحديدًا، بالكاد تكفي لشراء أعلاف للخيل، ومع ذلك فأصحاب هذه الحرفة لا خيار آخر أمامهم إلا مواصلة عملهم. ويضيف الحيمي في حديثه المقتضب لـ«تراث» إنه والعديد من أصحاب الخيول بصنعاء يستفيدون ماديًا وبشكل جيد في مواسم الأعراس وحفلات الزفاف التي يتم تأجير الأحصنة لها؛ لأجل تنفيذ «الزفة» فوق ظهورها، كتقليد مستجد

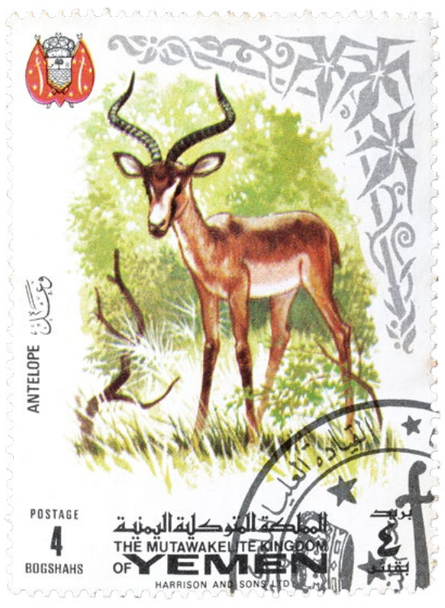

بات يحظى بإقبال متزايد من الشباب في الآونة الأخيرة. وتقتصر مجالات الفروسية - حاليًا - على الاستعراض ومحاولة شدّ انتباه الآخرين، وهو ما يقوم به كثير من المشايخ والأعيان وأصحاب الوجاهات الاجتماعية. ويقول الشيخ «حسن العميسي» - وهو شيخ الخوخة الواقعة على الساحل الغربي لليمن - إنه يمتلك خيلاً ويمتطيها فقط في المناسبات الاجتماعية والدينية، مشيرًا إلى أنه وعدد من الفرسان يحرصون على إحياء مناسبة المولد النبوي الشريف كل عام من خلال طقوس «التصبيحة» التي تجري فجر اليوم التالي من ليلة الاحتفال؛ ويقوم الفرسان في ذلك اليوم بطقس خاص، تحرص مدينة حيس المجاورة على إحيائه منذ مئات السنين، فيُقام سباق للخيل تحت أنظار المحتفين من أبناء المدينة الذين يخرجون عند الفجر بالآلاف كبارًا وصغارًا، نساء ورجالاً، ليتحول اليوم إلى مهرجان جماهيري كبير، أبطاله الخيل والفرسان، تمثلاً للعادة القديمة التي لا تزال قائمة إلى اليوم.

الصيد والصيادون

ارتبطت الفروسية بشكل وثيق بممارسة الصيد في حياة اليمنيين منذ آلاف السنين، وكانت ضرورة فرضتها طبيعة ومتطلبات المعيشة في تلك الأزمنة السحيقة، حين حرص اليمنيون القدامى على الصيد توفيرًا لغذائهم، عبر ما تقنصه رماحهم ونبالهم البدائية من حيوانات الظباء والغزلان والوعول البرية وحتى الأرانب البرية، ويلاحظ أن تلك الوسائل التقليدية للصيد لم تترك أثرًا مخلاً على النظام البيئي، بل ظلّ التوازن بين عناصر البيئة قائمًا، حتى كانت الطامة حين تطورت أدوات الصيد، في ظل غياب القوانين والإجراءات الرادعة للصيد الجائر، ما ألحق ضررًا واسعًا بالحياة البرية. ويقول أمين «محمد عمر» - وهو ناشط في حماية البيئة بمديرية الخوخة غربي البلاد - إنَّ وادي ظمي الذي يقع شرقي المدينة والممتد مسافات شاسعة تصل إلى حدود محافظتي تعزوإب المجاورتين، كان قبل سنوات غابة كثيفة الاشجار؛ تنبض بكل أصناف الحيوانات البرية وخاصة الظباء مختلفة الأنواع والضباع والنمور، لكن كل ذلك انقرض تمامًا، وتعرضت بيئة هذا الوادي - حسب قوله - لتدمير شامل جرّاء الصيد العشوائي الجائروغير المقنن لمختلف أنواع الحيوانات. ويضيف في أسى وحسرة؛ إن هذا النوع من الصيد الذي يُمارَسُ من قبل بعض العابثين وهواة قتل الحيوانات لمجرد التسلية واللهو، هو السبب في الجفاف والتصحر الذي بات عليه الوادي.

وتنتشر تلك الممارسات غير المقننة على نطاق واسع في كثير من المحافظات الجنوبية والشرقية، ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر، ما تعرض - ويتعرض له - حيوان الوعل في حضرموت من قتل واسع على يدّ هواة الصيد، الأمر الذي دفع المهتمين بحماية البيئة إلى إطلاق تحذيرات من مخاطر انقراض ذلك النوع النادر من الثدييات، وهو كل ما تبقى من سلالة منقرضة، كانت تعيش يومًا ما، في المنطقة قبل أن تبدأ بالتناقص بشكل متسارع، بسبب الصيد الجائر الذي طال - أيضًا - أنواعا مختلفة من الحيوانات البرية؛ مثل النمور العربية في محافظتي الضالع والبيضاء وسط اليمن تحديدًا، حيث يقوم الصيادون بقتلها خوفًا على مواشيهم، كما يؤكدون على قيام بعضهم بنصب فخاخ لها في أحسن الأحوال، للإمساك بها قبل، ثُم بيّعها إلى مهربي الحيوانات النادرة خارج البلاد. ويؤكد الناشطون في مجال حماية البيئة؛ أَن الصيد العشوائي للحيوانات البرية في اليمن -وخاصة لحيوان الوعل البري ومختلف أنواع الظباء - يُمثلُ أكبرتهديد على تنوع الحياة البرية والفطرية المحمية قانونًا وعُرفًا.

ويمثل حيوان الوعل البري - كما يقول الدكتور «عبدالقوي الزهيري» - رمزًا تاريخيًا للحضارات القديمة لمملكة حضرموت وسبأ، إذ تشير المصادر التاريخية إلى أنَّ اصطياد الوعل البري كان طقسًا شعائريًّا عند اليمنيين القدامى، الذين اعتقدوا أنَّ صيده يُمثلُ ضمانة لبلوغ النجاح والازدهار وتزايد قطعان الماشية، إلى جانب استخدام قرونه للحماية من العين والحسد، والملاحظ أنَّ الجيل الجديد من الصيادين يسرفون في استهدافه من دون غايات واضحة أو نبيلة، كما يفعلون مع أنواع مختلفة من الحيوانات البرية الآخذة في التناقص والانقراض من البيئة اليمنية.

وهكذا؛ تظل الفروسية والصيد مرتبطة بثقافة وتراث المجتمع اليمني قديمًا وحديثًا، حتى في ظلّ تلك الانحرافات الخطيرة في مسار الصيد البري، وما يحمله من تداعيات كارثية على النظام البيئي والحفاظ على حيوية وتنوع البيئة الحيوانية هناك ■

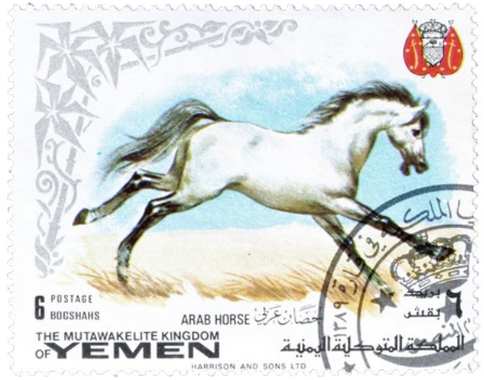

من أسرار وغرائب ضواري الصَّيد وطرائده

خالد صالح ملكاوي

يزخر عالم الصيد بالكثير من المعلومات التي لا يعرف حقيقتها سوى المعنيين بهذا العالم والشغوفين بالقنص والصيد الذين تُعد معرفتهم بحيثيات الصيد وأسراره مرتكزاً لإتقانهم هذه الرياضة، لا سيما معرفتهم بطبائع وعجائب حيواناتهم وطيورهم المستخدمة لهذا الغرض، وبأسرار وغرائب طرائدهم التي يُغرمون باصطيادها. فثمَّة العديد من الأسرار والعجائب التي تنفرد بها ضواريهم من الجوارح وطرائدهم من أصناف الطير تنقلنا إلى عوالم من الدّهشة، لا نملك إزاءها إلا أن نقول: سبحان مَن خلق الكون فأبدع، وألهَمَ كل حيوان مصالح نفسه ومفاسده!

من غرائب الضَّواري

تعد مجموعة الصقور من طيور الصيد الجارحة، ضمن تقسيمات الجوارح إلى مجاميع متجانسة نظراً للتباين الكبير بين الجوارح من حيث أشكالها وأحجامها وألوانها وطريقتها في التعشيش والتكاثر واختلاف طرق الصيد، وفي صفاتها العامة، وتضم هذه المجموعة المتجانسة من طيور الصيد كلاً من الصقر والعقاب، والبازوتسمى بعد تدريبها الضَّواري، وكان العرب أول من درَّب واستخدم الصقور في الصيد، وتم اكتشاف آثار للصقور في الجزيرة العربية نُسبت لحضارة قديمة تجاوز عمرها 9000 سنة قبل الميلاد عاشت في منطقة جنوب مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية. ونعرض لما تمتاز به هذه الضواري من صفات وأسرار وعجائب نقلتها إلينا كتب ومخطوطات الذين عملوا في هذا المجال من البيازرة وعُنوا به منذ القدم، وكذلك مؤلفات من انشغلوا من المعاصرين بهذه الرياضة وخبِروا أسرارها.

الصقر

يُعد الصقر أشهر طيور المجموعة، وصيده أعجب من جميع الجوارح، وقد أحبَّ العرب هذا الطائر العجيب، وشبَّهوه برجالهم وأولادهم، فهو لا يسكن إلا في الأماكن الشامخة من الجبال العالية، ويمتلك الذكاء القوي الذي مكّنه حتى من معرفة الاسم الذي يُنادى به، وكذلك معرفة صاحبه بعد تدريبه، فضلاً عن أنه يفهم لغة الإشارة، ويسمى صوته الغَقْغَقَة. يتميز الصقر عن غيره من الطيور الجارحة بسواد عينيه وبحدة بصره التي قد تصل إلى ثمانية أضعاف حدة بصر الإنسان، ويستطيع أن يحدد مكان الفريسة من مسافة مائة قدم ورؤيتها من ارتفاعات عالية، كما تفوق قوة إبصاره بقية الطيور، بما لدى عينيه من حرية الحركة في استدارة الرأس، وكذلك تحريك رأسه وإدارته على محورها بدرجة 360 درجة. وللصقور سمع قوي يساوي السمع عند الانسان. وإلى جانب زخرفة ونعومة وجمالية ريش الصقر الذي يحمي الصقر من الحرارة والبرد، تتوفر فيه البنية اللازمة للتحليق؛ فمن ميزات ريش الصقر تأمين متطلبات التحليق والانقضاض والنزول وحرية الطيران والتوازن في الهواء. وللصقر طريقة مميزة خاصة لمعالجة إصابات ريشه؛ فعندما يحصل خلل في أحد إطراف ريشه من انحراف أو اعوجاج يقوم بأخذ مادة

سائلة تشبه مادة «الباتكس» من فوق شرجة بواسطة منقاره ويمسح بها الريشة المتعرضة للكسر أو الانحراف ويتم تعديلها. ومن غرائب الصقر أنه عند تقدمه في السن يصاب بالخرف والصرع والعمى. ومن عيوب الصقور أنها غير ماهرة في بناء العش، لذلك فإنها تستعمل أعشاشاً قديمة لطيور أخرى مثل الغراب الأسود (الزاغ) والزرزور والحمام. وعندما يكتمل ريش فراخها استعداداً للطيران، يرفض الأبوان إطعام الفراخ، بل يحلقان في الأعلى ويقذفان بالطعام في الهواء، ومن ثم تطير الفراخ مسرعة لالتقاطه قبل سقوطه إلى الأرض.

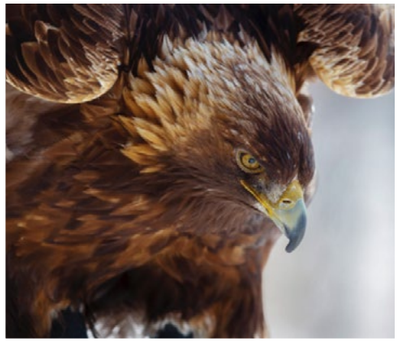

العُقاب

العُقاب من أعظم الجوارح صيداً، وأكبرها بعد النسر جسماً، يسميه العرب «الكاسر» إشارة إلى قوته وقدرته على الانقضاض وإلى أنه لا يأكل إلا من صيده، وهو جارح مهيب الطلعة، سيد الطيور ومَلِكها بلا منازع، وهو أشد الجوارح حرارة، وأقواها حركة، وأيبسها مزاجاً. قال الجاحظ: لمخلب العقاب خاصية في تقطيع الذئب فينقض على الذئب فيقدّه نصفين، وقال أصحاب القنص: إن العقاب لا يروع الصيد ولا يعاني ذلك، بل يكون على المرقب الأعلى، فإذا رأى شيئا من الجوارح قنص صيده وانقضّ عليه، فالجارح ينجو بنفسه فيولي هاربا ويترك الصيد للعقاب. ويُعد البصر من أقوى حواس العقاب، وتقع عيون العقاب بزاوية 30 درجة بعيدًا عن مركز الوجه مما يعطيه مجال رؤية أكبر، ويرى العقاب بخمسة ألوان أساسية مقارنةً مع ثلاثة ألوان أساسية لدى الإنسان، ويمكنه اكتشاف ضوء الأشعة فوق البنفسجية.ومن الخاص بعالم العقبان أنها من الطيور أحادية الزوج، حيث تتزاوج بشريك واحد طوال عمرها، وتستخدم العش نفسه

كل عام، وهي تبني أعشاشها عادة في قمم الجبال الوعرة، على الأشجار الطويلة أو الحافات الجبلية العالية، وتقول العرب في ذلك: «فلان أحزم من فرخ العقاب»، إذ لو ترك الفرخ من مجثمه لهوى من رأس الجبل إلى حضيضه، لكن الفرخ يعرف ذلك مع صغره وقلة تجربته. ومن غرائب العقبان أن معظم الأنواع تضع بيضتين في آن واحد، وبعد فقسهما يقوم الصغير الأكبر عمراً والأثقل وزناً بقتل أخيه الأصغر بعد أن يفقس مباشرة، ويكون الفرخ المهيمن عادة أنثى، لأن الإناث أكبر حجماً من الذكور، ولا يقوم الأبوان بأي عمل لإيقاف هذا القتل. والعقبان طويلة العمر بعيدة التسافر، ويقال إن العقاب يتغذى بالعراق ويتعشى باليمن، وإذا هرمت وعجزت عن الطيران تراعيها أفراخها، وإذا أظلم ضوء عينها من الهرم تصعد نحو الهواء إلى أن يخرق بريشها ثم تنزل فتغوص في شيء من عيون الماء فتعود إليها قوتها.

البازي

الباز، أو البازي، هو أشد الجوارح تكبرة وأضيقها خلقة، ذكي الفؤاد قوي البأس، سريع الافتراس، تخافه جميع الطيور التي تماثله في الحجم، وهو إلى ذلك مرهف الحس، شديد الألفة، حميّ الأنف، يأبى الإهانة، لذلك حذَّروا مؤدّبه من أن يصيح في وجهه أو ينهره، فإن ذلك يقضي إلى زوال الألفة. ويسمى صوت البازي الصَّرْصَرة. والبازي إذا أدَّبته وأحسنت تأديبه عرف مهمته ولم يتجاوز حدوده. وقد رسم علماء البيزرة لسياسة البازي حدوداً تعارفوا عليها بها، وسنّوا لحسن القيام عليه آداباً، ذلك لما يتمتع به هذا الجارح من مزاج لطيف؛ فاشترطوا في حامل البازي أن يكون نظيف الثوب، طيب الرائحة، كريم الشمائل، عالماً بشؤون البازي وأحواله. وحذَّروا حامله من أن يأكل ثوماً أو بصلاً. وحذَّروا من أن يحمله الأبخر، لأن الرائحة الكريهة تكسر شهوة البازي للصيد، وتجعله ينفر من حامله. وإذا حمله طيّب الرائحة ارتاح إليه البازي وأنِسَ به، واشتد ألفة له حتى ليلتصق جسده بجسده ويجلس مطمئناً فوق يده. وأطنب الحكماء والملوك في مدح البازي، فقال خاقان ملك الترك: البازي شجاع مريد، وقال كسرى أنو شروان: البازي رقيق يحس الإشارة ولا يفوت الفرص إذا أمكنت، وقال قيصر: البازي ملك كريم إن احتاج أخذ وإن استغنى ترك، ووصفه ابن خفاجة فقال: هو طائر يستدل بظاهر صفاته على كرم ذاته، طوراً ينظر بنظرة الخيلاء في عطفه، وتارة يرمي نحو السماء بطرفه، وهو جيد الصيد والأثر، حديد السمع والبصر، وقد جمع بين عزة مليك وطاعة مملوك.ومن غرائب البازي أنه لا يتخذ الوكر إلا على شجرة لها أغصان لدفع ألم الحرّ ودفع البرد، وإذا أراد أن يبيض يبني بيته مسقفاً لئلا يقع على فرخه المطر والثلج، ويأتي بخشبة يقال لها المرار، يتركها في وكره لدفع العدو. ولموت البازي علامات عدَّد منها القاسمي في «كتاب الجوارح وعلوم البيزرة»، فقال: «إذا رأيته تقوم بين كتفيه أربع ريشات، ولا يعبُر طُعمه، ويفتح منسره، أو إذا رأيته يلوي عنقه، ثم لا يقدر على ردّه، ولا يكمل طُعمه».

من غرائب الطَّرائد

ومن طرائد الصيد التي لها عجائبها وغرائبها عند أهل القنص والصيد:

الحُبارى

طائر مهاجر وخجول ورخّال وكثير التنقل، ومن أشد أنواع الطير طيراناً وأبعدها مسافة، وهو من الطيور البرية التي يحب أهل الخليج صيدها بالصقور، غير أنه ما في الطيور أشد بلهاً منه، لأنه يترك بيضه ويحضن بيض غيره. ومن شأن الأنثى أن تموت كمداً إذا تساقط ريشها في موسم سقوطه وتباطأ نباته، فطارت عنها رفيقاتها وبقيت هي عاجزة عن الطيران. ومن أكثر ما يميز الحبارى، سلاحها التي تدافع به عن نفسها، فلها خزان بين دبرها وأمعائها تحتفظ فيه دائماً بسائل رقيق لزج، يطلق عليه اسم «طمل»، فإذا هاجمها الصقر يريد اقتناصها، جعلت تعلو وتنزل وتحاوره يميناً ويساراً حتى تجد فرصتها فترميه به، فيلتصق بعض ريشه ببعض ويصبح كالمكتوف المقيَّد. والصقر يعرف ذلك من الحبارى، فهو ما يزل يلقاها عن جنبها ويدخل من تحتها ويعلو فوقها حتى تقذف سائلها الذي يخاف منه، فإذا قذفته ولم تُصِبه انقضَّ عليها واقتنصها. ومن تصرفات الحبارى إثارة للفضول ما يحدث أثناء فترة التزاوج، إذ تؤدي الذكور رقصة عجيبة طويلة في محاولة لجذب الإناث.. تنفخ فيها أكياس الحنجرة، وترفع أعرافها

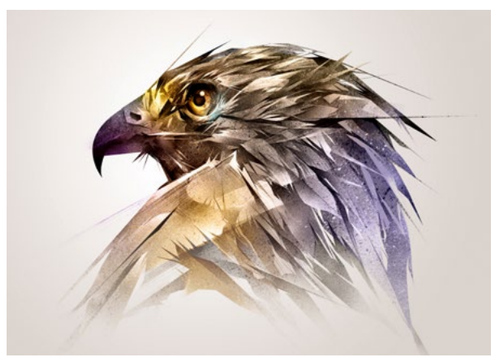

للتباهي بها. وعادة ما يتخذ كل ذكر موقعاً خاصاً به لتقديم هذا العرض المثير بالنسبة للإناث، فإن ظهرت له أنثى تحوَّل إلى استعراض آخر ينمّ عن الحبور والرضا، وإذا ما أدرك عدم وجود أي من الإناث بالقرب من مسرح العرض فإنه يتوقف ويصدر نداءً عميقاً يمكن سماعه على مسافة قد تصل إلى خمسين متراً.

القطا

طائر معروف يُتَيمَّن بصوته الذي يسمى «قطْقَطة»، فيقال فلان أصدق من القطا. تبيض القطا في البراري وتغيب عنها أياماً وتعود إليها، يقال فلان أهدى من القطا. ولها أفحوصة عجيبة في وسط الحشيش مثل بها النبي، ﷺ، في وهنها حيث قال: «من بنى مسجداً ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة». ومن الطريف أن هذا الطائر يحافظ على سرية نشاطه التكاثري، وفي الغالب لا يحصر الذكر علاقته بأنثى واحدة إلا عندما تنعدم الكثرة العددية التي تتيح له علاقة مع أكثر من أنثى. ومن أعاجيب هذا الطير أن الأنثى لا تضع بيضها بعدد زوجي أبداً، بل تضعه دائماً بعدد فردي. وأهم ما يتميز به القطا هو مقدرته العالية في الاهتداء الى موارد الماء ليلاً أو نهاراً، والانتشار في مراعيها مهما بعُدت، ومن ثم العودة الى مرابضه منتشياً سعيداً. ويقوم الذكر بحمل الماء إلى صغاره في رياشه البطنية. ويطير القطا في أسراب ويهتدي إلى بعضه بعضاً بصوته فيصيح: «قطا... قطا».

الكروان

يطلق عليه بعض الصقّارين لقب «ملك الليل»، ويُعرف اسمه بالعامية «طليلي». يخلد إلى الراحة خلال النهار كله في مكان لا يغادره إلا إذا أحسَّ بالخطر، ويسعى في جوف الليل للبحث عن رزقه، ويطلق أصواته في كل اتجاه، ويُكثِر من الصياح مع طلوع الفجر الأول، ويصدر أصواتاً أقرب إلى النداء أو الابتهال عندما يصل في الليل إلى مكان يجد فيه الطعام. وتعود الكراوين إلى مكان واحد تقضي فيه النهار كل طالع شمس، ولا تغادره إلا إلى مكان مناسب أو قريب منه، أو أن يكون السرب قد عزم الهجرة أو الانتقال إلى مراعٍ بعيدة · خبرة الصقارة ومهارة بعضهم في تقفّي أثره تدفعهم إلى محاصرة موقع الكروان ورصد مواقيت انطلاق صوته العذب الذي أصبح مضرباً للمثل، فالكروان كما يعرفه الصيادون لا يستطيع مقاومة الرغبة في الغناء مع خيوط الفجر الأولى، وكأنّ غناءه مصدر لوقوعه في الشرك ■

المصادر والمراجع :

1 - أبو بكر بن يوسف القاسمي، كتاب الجوارح وعلوم البزدرة، تحقيق: محمد ياسر زكور، بيروت: دار الكتب العلمية، 2016م.

2 - بازيار العزيز بالله الفاطمي أبي عبد الله الحسن بن الحسين، البيزرة، تحقيق: محمد كرد علي، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1995م.

3 - حمده حمد الشرقي العامري، الصيد بالصقور: قراءة في تراث دولة الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي: إدارة التراث المعنوي بهيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، 2012م.

4 - روجر أبتون، رياضة الصيد بالصقور عند العرب .. تاريخ لطريقة حياة، ترجمة: سعيد سلمان أبو عاذرة، أبوظبي: دار الكتب الوطنية بهيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2010م.

5 - زايد بن سلطان آل نهيان، رياضة الصيد بالصقور، أبوظبي: وزارة الإعلام والثقافة، 1976م.

6 - زكريا بن محمد بن محمود القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، اعتناء: محمود عبد الإله سعد، بيروت: دار الكتب العلمية، 2013م.

7 - عبد الهادي التازي، القنص بالصقر بين المشرق والمغرب، أبوظبي: دار الكتب الوطنية بهيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، الطبعة الأولى، 2015م.

8 - كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بسج، بيروت: دار الكتب العلمية، 2015م.

9 - محمد رجب السامرائي، صيد الصقور في الحضارة العربية، أبوظبي: مجلة تراث بنادي تراث الإمارات، 2013م.

سيرة الأميرة ذات الهمة 13

محمد شحاته العمدة
حكواتي مصري

كان ياما كان في سالف العصر والأوان، وما يحلى الكلام إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام في الحلقة الماضية: قابل الصحصاح مروة بنت أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان وخلصها وقافلتها من قطاع الطرق، وطلبت منه مرافقتها لدمشق ليحمي القافلة ويقابل والدها ليشكره على صنيعه الطيب معها.

فسار الصحصاح بمروة وقافلتها حتى بقي بينه وبين الشام ستة أيام، فقالت له: يا صحصاح لا بد أن أرسل رسولاً إلى أبي، لأبشره بما أنعم الله علينا من السلامة، وكي يخرج إخوتي في لقائي ويمشون في خدمتك، لأنك صنت حريمهم فيكون دخولنا في زينة دمشق يوم عيد، وتعود إلى أهلك بالخير، فقال لها الصحصاح افعلي ما بدا لك.

فلما وصل البشير إلى دمشق وحكى للخليفة ما كان، فرح لذلك فرحًا شديدًا وتزينت دمشق وزادت الأفراح وأقبل الناس من سائر الآفاق وأغلقت الأسواق، وقال الخليفة لأولاده، والله لقد صنع هذا الرجل معنا ما لا نقدر على مكافأته ولا مجازاته، فقد رعى حريمنا وسترها ورفع العار، وجاد بما لا تجود به الملوك ولا الصعاليك في حق من هى ليست بقربيته، فقد غرس غرسًا في أرض طيبة، وطلب من أولاده أن يخرجوا لأبواب دمشق لاستقباله.

فسار الصحصاح معهم إلى قصر الخليفة، فضربت الأبواق وخرج الخليفة عبدالملك بن مروان، وكان لم يخرج من قصره من يوم أن سمع بما حدث لمروة من السبي، فقال والله ما خرجت إلا للقاء الصحصاح، فأقبل الصحصاح عليه وقبل قدميه، فمال الخليفة وهو على حصانه وقبل رأس الصحصاح، ولما نزل الخليفة وجلس على كرسيه، طلب منهم أن ينصبوا للصحصاح كرسيًا مثله ليجلس بجواره، ووقف أولاد الخليفة في خدمته، والصحصاح يتصبب عرقًا مما يشاهد ويعاين، وكأنه في حلم نائم.

ثم أقبل الخليفة على ولده مسلمة، وقال له: هذا ضيفك فأكرم مثواه، فأخذه مسلمة وسار به إلى داره التي جعلها لنزهته، وقال له: اعلم يا صحصاح أن أمير المؤمنين قد رفع قدرك وسواك بنفسه على المائدة وأجلسك بجوار كرسيه، وهذا شأن عظيم وشرف كبير، ولا بد أنه سيدعوك في الصباح ويقول لك تَمَنّ على، فإياك أن تطلب شيئاً هيناً فتهون، فقال الصحصاح: يا مولاي إن فتحت باب التمني، فإني ما أتمنى إلا مهر ليلى، فضحك مسلمة حتى سمع ضحكه مَن بالقصر جميعًا، وقال يا صحصاح أنت في حضرة أمير المؤمنين، فإن قال لك تمنى فقل له أريد مكان ملك العرب مروان بن الهيثم سيد بني سليم.

وفي الصباح جاء الخدم للصحصاح وأمروه بالركوب في موكب عظيم، فلما وصلوا إلى قصر الخلافة سار الصحصاح أمامهم جميعًا، حتى وصل إلى أمير المؤمنين فنصبوا له كرسيًا بجواره، وأخذ الخليفة يسأله عن حسبه ونسبه، ثم قال له الخليفة: يا صحصاح إن الله خلق الخلق بقدرته وجعل منهم أقواماً للصالحات مفاتيح وللملهوفين مصابيح، وأنت منهم أيها الفارس فتمنى عليّ، فأراد الصحصاح أن يتمنى ما قال له مسلمة، غير أنه استحى ورشح عليه العرق وأطرق إلى الأرض خجلاً، فلما لاحظه مسلمة قام من مكانه وقال يا أمير المؤمنين أعذر الصحصاح، فقد نال منك العز والوقار والتأييد، ومن هيبة هذا المجلس يشيب الوليد، غير أن الصحصاح جعلني عنه وكيلاً، وإنه يا مولاي يريد أن يكون مكان مروان بن الهيثم ملك العرب، وتكون العربان كلها تحت طاعته، وإن أراد أمير المؤمنين أن يعزل والي بلاد الروم، يكون الصحصاح مقدماً على سائر ملوك العرب، لأنه يصلح للقاء أهل الكفر والطغيان، ونجعل له ثلاثمائة ألف فارس من الشجعان، والأمر في النهاية لأمير المؤمنين.

فنظر الخليفة إلى ولده وتبسم، ثم قال لا عدمت هذا الترجمان، وإني أبحت للصحصاح أن يكون ملكًا على جميع العرب، فقال له مسلمة أدام الله بقاء أمير المؤمنين، وما بقي سوى أن نأخذ خاتمك على الأوراق حتى تطيعه الفرسان والعربان، ونعزل مروان بن الهيثم، فكلف الخليفة ولده مسلمة في تجهيز موكب الصحصاح إلى أهله، وقد مضى على الصحصاح ثمانون يومًا وهو في رغد من العيش، فقال له مسلمة وهل زهدت صحبتنا، فقال الصحصاح والله لولا شوقي للقاء ليلى ما اخترت فراقكم.

فسار مسلمة والصحصاح بعد أن أعطاه الخليفة حتى أغناه، فتحرك الموكب حتى وصل باب دمشق وكان أهلها قد خرجوا جميعًا لوداع مسلمة والصحصاح، وتابع الموكب سيره لبلاد الحجاز، وكان الصحصاح يتفكر في خروجه فقبرًا من قومه ورجوعه إليهم ملكًا، فترجل من على مُزنه ونزل على الأرض يسجد لله شكرًا، ثم ركب وسار في الموكب طالبًا أرض الحجاز.

وكان الخبر قد شاع في كل الأقطار، ولما بلغ الأمر بني سليم وملك العرب مروان بن الهيثم، فتملكه الغيظ وجمع قومه وأخبرهم أن الصحصاح غلام بني كلاب قد تولى الملك والخليفة عزله من منصبه، ولما عاد الصحصاح للحجاز في موكب كبير بصحبة مسلمة بن عبدالملك، خضعت له رقاب العرب وخضع له مروان بن الهيثم، وتزوج الصحصاح من حبيبته ليلى، وعاد مسلمة إلى دمشق مرة أخرى. وفي يوم من الأيام خرج الصحصاح للصيد ومعه عشرون فارساً من أهله وعشيرته، وبينما هم كذلك وإذ بفارس قد ظهر من جهة بلاد الشام، فأقبل عليه الصحصاح وسأله من أين أتيت، فنزل الفارس وقبل الأرض بين يديه وقال له يا مولاي، أنا رسول أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان، وقد أتيت إليك بهذا الكتاب فاقرأه واعمل بما فيه ودعني أعود لأني في عجل من أمري. فأخذ الصحصاح الكتاب وقبله وقرأه وإذ به، بعد السلام والأشواق، فإذا وصلك هذا الكتاب، لا يكون لك جواب، وضع رجلك على جوادك ولا تترك في أرض الحجاز من يركب جواد إلا وأتيت به معك، لأمر سأخبرك به فور حضورك والسلام، فلما قرأ الصحصاح كتاب أمير المؤمنين قال سمعًا وطاعة، وذهب إلى دياره وكتب لجميع الأمراء والقبائل وطلب منهم الحضور، فحضر إليه مائة وعشرون ألف فارس بالسيوف والدروع والرماح، ودخل الصحصاح على ليلى وودعها وكانت حامل وبقى لولادتها أيام قلائل، فخرج الصحصاح ومن معه من الأمراء والملوك والجنود قاصدًا بلاد الشام تنفيذًا لأمر أمير المؤمنين.

ولما وصلوا إلى دمشق، سار الجميع عند قصر الخليفة، ودخل عليه الصحصاح فأجلسه الخليفة على كرسي بجواره وأخذ يتحدث معه قائلاً: يا ملك العرب إني قد وقعت في أمر عظيم، وأريد أن أبذل روحي ومالي حتى أكشف عن المسلمين ما نزل بهم، وقد بلغني أن كلب الروم خرج للثغور التي هى للمسلمين، وقتل العباد وخرب البلاد، وهدم المساجد، وقد قررت أن أصلي بالناس يوم الجمعة وأنادي فيهم بالجهاد، في طاعة رب العباد، وأرسل الجنود لسائر البلاد، يقتلون أهل الفساد والشرك والإلحاد. فلما سمع الصحصاح كلامه قال: يا أمير المؤمنين أقسم بمن رفع السماء، لإن أرسلتني لبلاد الكفار لأبيد منهم الكبار والصغار، وأحرق ديارهم بالنار وأنزل بهم الدمار، وأفعل ما يرضي الملك الجبار ويغضب اللئام الفجار.

فلما سمع الخليفة كلامه، تهلل وجه بالسرور والاستبشار، وما أن جاء يوم الجمعة ارتقى الخليفة المنبر، وحث الناس على الجهاد والنصر، والسير إلى بلاد الروم، وأعلن فيهم أن قائدهم هو ولده مسلمة، وأمير الجيوش هو الملك الصحصاح، ثم وضع يديه في يد مسلمة والصحصاح، وآخى بينهما ودعا لهما بالنصر، وذكر لهم أن السفر بعد ثلاثة أيام فأجابوا بالسمع والطاعة.

وفي الحلقة القادمة بإذن الله نحكي لكم ما حدث في بلاد الروم.

اقعدوا بالعافية ■

تهاني الهاشمي: الكتابة تجعل الكاتب إنساناً بحق

حوار - هشام ازكيض

قالت الروائية الإماراتية تهاني الهاشمي إن الكتابة تمنح الكاتب الحقيقي شعوراً بأنه حيّ، بأن نبضه مسموع، واضافت في حوارنا التالي معها إن روايتها «جرف هار» التي رشحت للجائزة الدولية للرواية العربية «البوكر» كانت نقلة نوعية في إنتاجها، إذ «وضعتُ من خلالها قدمي على مشوار شائك من التحديات والمواجهات التي لم أتوقعها»، مؤكدة أن العمل الروائي كالحديقة الغناء التي تستعرض أنواع النباتات والزهور، حبذا لو وجد كل منّا لون الورد الذي يحبه ويُرضيه.

كيف تساهم القراءة الجيدة في الإبداع الأدبي؟

لنتفق أولاً على أن حصيلة القلم الجيد هو سلسلة من الكتب والقراءات والمطالعات، الإبداع قد يخلق نفسه في لحظة ما، لكن سر استمراره وتجدده ينصب في قالب الإطلاع والمعرفة، لأنها ببساطة تضيء عوالم الكاتب وتُشعل حماسة ريشته وتشحن محبرته بإثراء فكري ولفظي. القراءة بكل أنواعها تفتح للمبدع أبواب خيالات لم يطرقها، يسلك بالمعرفة أنفاقاً تحت أرض منطقة جهل لم يزر تفاصيلها قبلاً. دائرة الكتابة تنضب حتماً من دون انفتاح ومطالعة، لأن روح الإبداع تتجلى في الفكرة المميزة المتجددة، إذاً فبناء الإبداع يرتكز على قائمة من الجُمل والسطور ولا سيما التأملات التي تُجدد نهر المبدع الجاري وتحول دون ركاد حبر إبداعه الأدبي.

تجمعين بين أجناس أدبية، كالقصة والرواية والمقالة، مع ميل واضح للرواية، هل هناك أسباب لذلك؟

عبر مراحلي العمرية تشكل لديّ إيمان بأن الكتابة خُلقت مني وخُلقت منها، ارتبطتُ بالقلم منذُ سن صغيرة ورافقني في مختلف حالاتي الزمنية للتعبير عن أفكاري ومشاعري، كتبت الخاطرة والمقالة والقصة لكن الرواية كانت الأقرب لقلبي بالرغم من صعوبتها، فهي تصهر الكاتب في مراحل تكوينها، تُحرق عقله بانصهارات شخوصها، تخلطه في طينها وتمازج أحياناً بين قناعاته وقناعات شخوصه، تطرحه أرضاً على رمال شواطئ خيالات بنائه، تحبسه في بعض الأحيان خلف قضبانها فلا يستطيع الفكاك منها حتى بكلمة النهاية. تخليق العوالم في بواطن الرواية عمل شاق ومضني، يأخذ من روح المبدع وقته وتركيزه، بالرغم من كل ذلك، أجد نفسي في الرواية حيث تسحبني من أرض الواقع لأرض أصنعها وتصنعني، كتابة الرواية حياة أخرى وأجدني أجيد عيشها مرة بعد مرة.

روايتك «حب في الزحام» الصادرة سنة 2012م كيف جاءت فكرة خروجها إلى الوجود؟

مما لاشك فيه أن لي محاولات عدة سبقتها لم تُفلح في التكون والتشكيل، لكن التحدي الذي فرضته على نفسي مع حب في الزحام للوصول لنهاية العمل كان تحدياً مجدياً. رواية حب في الزحام كانت الطريق الذي فتح لي أبواب الولوج لعالم الرواية، فكرتها بدأت من مشهد بسيط وتتالت بعده الأحداث في البناء الدرامي الذي خدم تطوره ظهور الشخصيات في حياة البطلة، ديناميكة العمل تمحورت حول تدوين يومياتها البسيطة التي وظفتهاالتسليط الضوء على عدة قضايا إجتماعية، كان

أبرزها هو أثر الطلاق على الأبناء وما يُخلفه من أزمات عاطفية ونفسية. الحمدالله مازلت سعيدة وفخورة بهذا العمل الذي مازلت أستقبل أصداءه لهذا اليوم.

ما الذي تحققه الكتابة للروائي؟

الكتابة تمنح الكاتب الحقيقي شعوراً بأنه حيّ، بأن نبضه مسموع، وأنه كيان قائم بذاته يستطيع أن يمارس حقوقه الفكرية والإبداعية بدون قيود أو التزامات، الكتابة تُشعره بالحرية والسلام، تحقق له ما لا يستطيع العالم بأسره تحقيقه بالنسبة له، تُخلد وجوده، تجعله إنساناً بحق.

هل شكلت التجارب الروائية النسائية بالإمارات ظاهرة تستحق دراسة نقدية؟

لا يوجد عمل أدبي لا يستحق أن يكون موضعاً لدراسة أو نقد، فمن حق الباحث والناقد أن يجد طريقه للأعمال الأدبية المطروحة بإختلاف جنس راويها وهويته.

رُشحت روايتك «جرف هار» لجائزة البوكر العربية، ما الذي تمثله لكِ هذه الخطوة، وهل تحسم أمر انحيازك للرواية؟

رواية «جرف هار» كانت نقلة نوعية لي، وضعت من خلالها قدمي على مشوار شائك من التحديات والمواجهات التي لم أتوقعها، وانحيازي للرواية لا يعني احتكار قلمي في قالبها. ليس من الخطأ أبداً أن يُظهر الروائي إبداعه في أجناس فنية وأدبية مختلفة، خصوصاً لو أجاد الكاتب أجناساً أخرى، لكنه مهما جرب وتغرب في أصناف الأدب وأشكاله سيعود لوطنه الأم، ووطني في الأدب هو الرواية، عالمها يُشعرني بأني أحلق على سحابة عالية والسماء الواسعة اللامتناهية هيّ مساحتي.

الرواية مساحة أرحب لحرية التعبير إذن! هل يفسر شعورك هذا ما نلحظه من ارتحال من القصة إلى الرواية على المستوى العربي؟

الإبداع حالة تتقمص الكاتب، الشغف يشذب جنونه، والاستمرار يروي ظمأه، والحرية مفهوم شاسع وكبير، كثير منّا لا يُجيد فن استخدام حرية التعبير ولو عبّر بها الجميع - مثل ما نشهده في الوقت الحالي - والكتابة عمل جاد يتطلب مقومات وأدوات يكتسبها صاحبها من خلال الخبرة والمطالعة والموهبة والممارسة، وليتمكن الكاتب من التنقل بين الأجناس الأدبية لابد من الموازنة بين أفكاره ورغباته، وإستيعاب حجم العمل ومتطلباته من ناحية الفكرة وتنفيذها وماتحتاجه لتصل بها إلى سواحل القارئ بأمان، كما إن مراعاة النوع الأدبي أمر مهم ومطلوب لنجاح ظهور العمل الإبداعي وبهذا سيكون ذا نفع وفائدة للكاتب والمتلقي.

هل تتفقين مع وصف بعض الروايات بـ «الضخمة»، وهل هي مرهقة بالنسبة للقارئ عموما، والناقد على وجه الخصوص؟

كقارئة أعتقد بأن ضخامة الرواية الجيدة تتلاشى في مقدار المتعة التي يمنحني إياها العمل، لكني لا أخفي أني قد أتردد في البداية في مرحلة الاقتناء.

ككاتبة أعتقد بأن العمل لابد أن يأخذ وقته الكافي للنضوج والاكتمال، ضخامة العمل لا تشترط نجاحه، لكن أرى أنه إذا احتاج العمل لمزيد من الإسهاب والتوسع بأن يأخذ حاجته ليظهر بالصورة التي خططها له الراوي، هذا لا يعني بأنني أُطالب بالحشو بين السطور ولكني أؤمن بالعطاء في الكتابة، لابد أن يُثري الكاتب عمله بالتفاصيل التي تمنح الرواية أبعاداً مختلفة وذلك بحسب حاجة النص وتسلسل أحداثه، يجد فيها كل قارئ ما يسره ويشبع نهمه الأدبي، فالعمل الروائي كالحديقة الغناء التي تستعرض أنواع النباتات والزهور، حبذا لو وجد كل منّا لون الورد الذي يحبه ويُرضيه.

الضخامة ليست عنواناً على جودة العمل لكنها أيضاً ليست عيباً

وكما ذكرت سابقاً كل عمل أدبي يستحق بأن يجد الإهتمام من قبل القراء والنقاد والباحثين.

شاركت في العديد من اللقاءات الأدبية علي مستوى الوطن العربي، ما أثرها على مسيرة إبداعاتك، وأهميتها؟

تبادل الخبرات من خلال اللقاءات الأدبية والمحافل الثقافية هو أمر مهم للكاتب، المبدع بحاجه إلى التعدد والتنوع الإجتماعي والثقافي لما ينشأ عنه من معرفة ومطالعة وتجربة. على مستوى الوطن العربي تختلف خلفياتنا الثقافية وأفكارنا وبعض مفاهيمنا ومن الجميل جداً بأن نمارس فضولنا المعرفي في لقاءات كهذة، ونوحد صفوفنا ونتحد تحت مسمى الأدب. ألوان الأدب تختلف بتنوع تجارب الأقلام ومعاناتهم، لذا فإننا باللقاءات والقراءات نتقرب من بعضنا بالإرتشاف من بحور الأدب الشاسعة، بالنسبة لأهميتها فأجدها تكمن في فتح صندوق أفكار الكاتب لحدود أبعد وأوسع، فنحن كبشر نتعلم دوماً بالتجربة والممارسة، ولتبدع وتتميز لابد بأن تُعايش ثقافات متنوعة وتستمتع لأفكار مختلفة، فكل ما يساهم في إثراء المخزون الفكري والثقافي هو إضافة تترك أثرها على الكاتب.

هل ما يسمى اليوم بـ«الأدب الرقمي» يمكن أن يسهم في تنمية الإبداع، وتنامي روح النقد الأدبي الموضوعي؟

مع الأزمة التي يمر بها العالم اليوم من تفشي فايروس كوفيد - 19، أعتقد بأن الأدب الرقمي وجد طريقه إلى شاشات الكثيرين من محبي الأدب، فالتفاعل الإفتراضي بات أمراً مفروضاً بحكم الجائحة، اللقاءات الإلكترونية أصبحت أمراً رائجاً على الصعيد الشخصي والمهني والحكومي والأدبي، وأجد بأنه كان وسيلة ناجحة لكثير من المبدعين والباحثين والنقاد في إستكمال مطالعاتهم وإهتمامتهم بالرغم من صعوبة الوضع الراهن مع إنقطاع وإنعدام التواصل الملموس في مرحلة معينة، لكن دور التكنولوجيا حمل الأدب لموضع آخر، فالمبدع لا يتوقف عند ازمة بل ربما أنه يُنتج فيها من الابداع مالا يمكن تصوره أو تخيله، وهذا ما حدث فعلاً وجدنا كثير من الأعمال التي مارست استمراريتها وظهورها من خلال الصفحات الرقمية ومواقع التواصل الإجتماعي، لأن المبدع دوماً يفلح في خلق البيئة المناسبة ليبرز فيها أفكاره المميزة ومشاعره المرهفة لأكبر مساحة من القُراء والجمهور ■

الضيف في سطور

- حصلت الروائية الإماراتية تهاني الهاشمي على درجة البكالوريوس من جامعة Drexel بالولايات المتحدة الأمريكية في تخصص إدارة الأعمال ونظم المعلومات، بدأت محاولاتها الأدبية في مرحلة مبكرة، ليظهر شغفها في كرساتها المدرسية في حصص التعبير، وعملت على كتابة عدد من المقالات والخواطر والقصص القصيرة عبر مدونتها الإلكترونية Ladyt.me .

- من إصداراتها في مجال الرواية: - «حب في الزحام» عن دار الفارابي، بيروت، 2012م - «جرف هار» عن مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2014م - «يا سلام» عن دار مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2016م - «ولا كلمة!» عن دار مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2017م. كما صدر لها عن دائرة الثقافة، الشارقة 2018م، مجموعة قصصية بعنوان «تناقضات».

- عرفت روايات تهاني الهاشمي إقبالاً واضحاً؛ حيث كانت روايتها الأولى «حب في الزحام» عام 2012م من أكثر الكتب مبيعاً في معرض الشارقة الدولي للكتاب لعام 2013م. وفي عام 2014م، تم ترشيح رواية «جرف هار» من قبل دار النشر لجائزة البوكر العربية.

- كما حققت رواية «جرف هار» نجاحاً باهراً في المبيعات في معرض جدة الدولي للكتاب 2015م، لتتصدر قوائم الأكثر مبيعاً على مستوى المعرض كافة. وفي عام 2016م، برزت رواية «يا سلام» في معرض الكويت لتتصدر مبيعات معرض الكويت الدولي.

- شاركت الروائية تهاني الهاشمي في عدد من الندوات الثقافية من أبرزها: ملتقى الشارقة للسرد في دورته الثالثة عشرة تحت عنوان «الرواية العربية في المهجر»، الشارقة - الإمارات العربية المتحدة، 2016م. وملتقى الشارقة للسرد في دورته الخامسة عشر تحت عنوان «الرواية الجديدة» الرباط - المملكة المغربية، 2018م.

الشعرية العربية المعاصرة

سبعة متغيرات (1 /2)

د. حمزة قناوي
شاعر وناقد مصري

ثمة متغيرات كثيرة وسمت عصرنا الحديث، غيَّرت بمُستجداتها طبيعة الشعرية العربية، واهتماماتها وظواهرها وقضاياها، ومن متابعتي - الممكنة والمتاحة - للقصيدة العربية الحديثة بين جناحي المشرق العربي والمغرب، لاحظت أن هناك سماتٍ متنوعةً فرضت حضورها على مخيلة الشعراء ومعالجاتهم لقصائدهم، كان أبرزها سبعة متغيرات أسهمت في توجيه التعامل الفني مع القصيدة، وهو ما تجلى في شكلها النهائي من شكلٍ ومضمون.

أول هذه المتغيرات أثرُ التطور التكنولوجي في تشكيل الصورة، خاصةً أن الصورة قد اتخذت أهميةً كبيرة في عالمنا الراهن، يقول الناقد الراحل الدكتور (شاكر عبد الحميد): «نحن نعيش الآن في عالم تتخلله الصور بشكل خاطف وسريع تهيمن عليه؛ حيثُ تملأ الصور الصحف والمجلات والكتب والملابس ولوحات الإعلانات وشاشات التليفزيون والكمبيوتر والإنترنت والتليفونات المحمولة (النقالة) بشكل لم يحدث من قبل في تاريخ البشرية بعامة[1]»، والآن قد اختلف الأمر كثيراً بعد أكثر من خمسة عشر عاماً من صدور كتاب الدكتور (شاكر عبد الحميد) رحمه الله؛ واختلاف الأمر ليس في زيادة محاصرة الصورة لنا وحسب، وإنما أيضاً في إتاحة القدرة عبر برامج التصميم الإلكترونية على تشكيل صور لم يكن يمكن للخيال تصورها، واكتشاف درجات من الألوان واستحضارها، وإتاحة مشاهد طبيعية، ومشاهد من الفضاء، وأخرى من تكنولوجيا النانو، وهو ما لم يمكن تصوُّرهُ من قبل، ومن ثم أصبحت الصورة في الواقع، تمتلك إمكانياتٍ من التشكيل والتخييل، أعلى بكثير من الصورة التي يستطيع الشاعر أن يستحضرها أو يشكِّلها من الكلمات، وهو أمر يفرض تحدياته على الشعرية المعاصرة. المتغير الثاني الذي أتصور أنه أعاد تشكيل إطار صياغة القصيدة العربية الحديثة، هو تحققُ انزياح في مفاهيم التشويق وفي رغبات واهتمامات القُرَّاء، لقد ألقت متغيرات منصات التواصل الاجتماعي بظلالها على خلفية تلقي الأدب، الفنونُ السرديةُ جاذبةٌ بتفاصيلها، والفنون الشعرية المعتمدة على التذوق الجمالي تواجه مشكلةً في التلقي، وفي الجمهور، الذي تواجهُ قطاعاتٌ واسعةٌ منه ضعفاً تعليمياً، ويعاني توزع الاهتمامات، ومن ثم فإن الشعرية العربية المعاصرة، بشكل التقليدي، لم تعد في قائمة الصدارة لدى المتلقي العربي، لم تعد خياره الأول، ولم يعد الشاعر فارس القبيلة وفخرها والمسجّل لبطولتها وملاحمها ومُدون تاريخها، في ظل وجود وسائلَ تسجيلية أخرى. وقد انتبه الشعراء المعاصرون إلى ذلك، وحاولوا مواجهته بالكتابة عبر النوعية، بالتراسل بين الأجناس، واعتبار وسائل وتقنيات الكتابات الفنية المجاورة، متاحة للاستخدام، فعناصر التشويق القصصي مثلاً، يمكن استخدامها في القصيدة، وإمكانيات الحكي، والوصف، أو حتى رسم المشهد، والحوار المسرحي، أو الخط الدرامي، كل تلك التقنيات أصبحت بدائلَ متاحة أمام الشاعر ليأخذ منها ويضيف إلى قصيدته. المتغير الثالث، الحدود الفاصلة بين السردية والشعرية، هل يُهدِّدُ المَصيرُ الشِعريُّ بزيادةِ مساحة التداخل؟ وصل الأمر إلى حدِّ تضمينِ مقاطعَ سرديةٍ كاملة في بعض الدواوين. لم تعد الآن هناك حساسية تجاه تسمية «قصيدة» في أي نوع أدبي يتم تقديمه، الشعرية موجودة في كل مظاهر الحياة حولنا، لكن ألا يمثل التوجه بنسبة كبيرة إلى استعارة تقنيات سردية في الدواوين الشعرية خطراً لانزياحِ الشعريّ تجاهَ السردي؟ الاختلافُ النوعيُّ للكتابةِ هنا، ألا يحتاجُ إلى نوعٍ من التنظير أو نوعٍ من الأسس التي تضمن عدم التوتر؟ ماذا عن محاولة بعضهم تضمين العامية في الفصحى؟ إن هذا المتغير يمثل بحد ذاته قضية خطيرة تحتاجُ إلى طرحٍ أكبرَ من النقاد ■

المراجع:

1 - د.شاكر عبد الحميد: عصر الصورة: السلبيات والايجابيات، عدد 311، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2005م، ص5

أسماك المجهول!

محمود شرف
شاعر وإعلامي

أوشك النهار على الانقضاء، تتبقَّى فقط بقيَّة من ضوء كابٍ، صبغته شمس المغيب بالأصفر ، الذي لا أحبُّه، كما إن الظَّرف يجعل منه - إلى جوار كونه غير محبَّب بالنسبة إليَّ - مُرعبًا!

في الساعات الأولى من ذاك النهار البعيد، الذي تفصلنا عنه الآن خمس وعشرون سنة تقريبًا - كنا قد انطلقنا في رحلة صيد أسماك، مُتَّجهين نحو تلك المنطقة النائية التي تقع أقصى شمال محافظة كفر الشيخ، يسمُّونها «الخَشعَة»، أو «الخاشعة»، بلا سبب واضح لديَّ: منطقة هادئة تمامًا، تكاد تخلو من البشر، سوى من سُكَّان بعض القرى قليلة الكثافة السكانية بشكل كبير، فقلَّما صادفتَ منزلًا هنا، أو واحدًا هناك، بينما -على العكس- تنتشر المجاري المائية الصغيرة والكبيرة بكثرة، ما بين تُرَع عريضة، ومصارف صغيرة، وبينهما مصارف مائية لصرف مياه المزارع السمكية التي تعجُّ بها المنطقة، ومحافظة كفر الشيخ في العموم؛ ما يجعلها - المنطقة - مطمعًا للصيَّادين من أمثالي أنا وفريقي الرائع، الذي كان أصغرهم قد تجاوز عمره الخمسين من الأعوام، بينما كنت في بداية الشباب، لم أتجاوز وقتها العشرين من عمري؛ ما كان يجعلني عصفورَ المجموعة: حمل الحقائب الزائدة، تزويد الجماعة بالمياه، وإن بَعُدَ مصدرها، القيام بكل الأعمال الخطرة التي قد تضعنا فيها الظروف، كأن أُنقِذ قصبة أحدهم من الضياع بعد أن علقت بالبوص في منتصف مصرفٍ رأيتُ ثعبانًا يسبح في دَعَةٍ عبر مياهه قبل قليل، وغيرها... هذا بخلاف قيادتي للسيارة، ذهابًا إيابًا، وثلاثة على الأقل من رفاقي الأربعة يعلو غطيطهم... الوصول إلى بُقعةٍ بعينها لكي نحطَّ

الرِّحال بها ونبدأ صيدنا كان يعتمد على أكبر الزُّملاء سنًّا، والذي كان خبيرًا بدروب ومنعرجات المنطقة؛ فهو صاحب تاريخ كبير في عالم الصيد، كما كان صيَّادًا عظيمًا أيضًا، إلى جوار مَهارَتِه الكثيرة في القيادة فقد كان يلعب دور الـ «GPS»، في وقتٍ لم يكن اختراع الموبايل قد وُجِد - على الأقل لدينا -، يقول لي: «خُذ الطريق إلى اليسار، واحذر من الحفرة التي ستكون إلى جانب السيارة الأيمن...» ويكون الظلام ما زال مخيِّمًا! وأنا أسير على هدي إرشاداته، كملَّاح محترف. نفَدَت سجائر واحدٍ مِنَّا في منتصف النهار، يدخِّن نوعًا بعينه، لا يستطيع التحوُّل عنه، قال إنه لمح «كُشكًا» للسجائر قبل عدَّة منحنيات، قبل أن نصل إلى مكاننا الذي أقمنا به، استأذنني في أن يستعير سيارتي - التي كانت وسيلتنا الوحيدة في الرحلة- ليذهب لشراء سجائره ويعود سريعًا، أخذها، وذهب... لا يلوي على شيء! مع حلول الظلام انتهنا لأن صديقنا صاحب السجائر لم يَعُد، ورغم أن الصيد كان وفيرًا (وربما لهذا السبب لم ننتبه لطول فترة غيابه) فإننا توقَّفنا عن إلقاء خيوط قِصابنا في المياه الضحلة، وصرنا نضرب «أخماسًا في أسداس»: ماذا جرى لصديقنا؟ هل ضلَّ طريق العودة (أو الذهاب أساسًا)؟ كيف سيكون حالنا مع وجودنا في هذا المكان المهجور؟ وسؤال آخر كان خاصًّا بي: ماذا حدث لسيارتي الحبيبة؟ مضت الدقائق ثقيلة، كنَّا قد جمعنا بعض الأخشاب الجافَّة وأشعلناها لكي يكون لدينا مصدر ضوء نرى به ما حولنا، والتففنا حوله. الدقائق صارت ساعاتٍ، واقترب الليل من الانتصاف، ولم يَعُد لدينا ماء نشربه، ولم يظهر صاحبنا، ولا السيارة، وذاب الثلج الذي يحفظ الأسماك، وبلغ اليأس منَّا مبلغًا عظيمًا...

«يتبع» ■

ارتياد الآفاق

السفر احتياج وثقافة

رحلات عائشة سلطان

عاطف محمد عبد المجيد

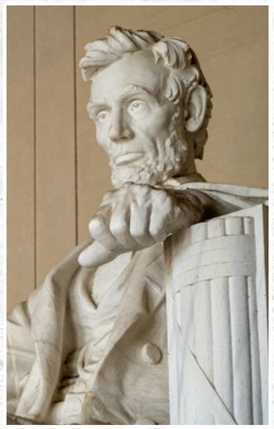

منظر جوي لنصب واشنطن بألوان الخريف الجميلة

السفر احتياج وثقافة
رحلات عائشة سلطان

عاطف محمد عبد المجيد

كثيرون يسافرون إلى مختلف بقاع الأرض، بحثًا وراء ما لم تره عيونهم، أو سعيًا لاكتشاف عالم جديد، لم يشاهدوه حتى في أحلامهم، طامعين في الحصول على متعة لا حدود لها، ستمنحها إياهم الأماكن التي سيزورونها، ولربما كانت كريمة معهم ففتحت لهم أبوابها على مصراعيها ليعيشوا زمنًا، طويلًا أو قصيرًا، بين جنباتها.

في السفر نتعرف إلى أشخاص جُدد، إلى أماكن لا مثيل لها فيها من الغرائب والعجائب ما تنوء به ذاكرتنا، إلى عوالم تختلف عن عوالمنا التي نعيشها، وفي السفر نزداد خبرة ومعرفة ومعلومات، لم نكن لنمتلكها لو ظللنا في أماكننا الأولى.

وللسفر فوائد عديدة، ليست سبعًا كما يتداولها الناس من قديم الأزل، وعلينا أن نعثر عليها قدر استطاعتنا.

أما بالنسبة للكتب التي تحدثت عن السفر، فهناك نوع منها يقدم لك ما لا يقدّمه سواه في هذا العالم، إنه يطير بك، ثم يحط في أماكن لم ولن تطأها قدماك وإن دفعت الغالي والثمين الذي لديك، ولا حتى في الأحلام. إنها كتب تأخذك، وأنت في تمام رضاك، إلى أماكن شتى، وأنت لا تزال في موضعك، من دون أن تجهد نفسك لا في سفر ولا في انتقال، موفرة لك الكثير من الأموال والأوقات.

الإنسان مثل الطير

تبدأ الناقدة والإعلامية الإماراتية عائشة سلطان كتابها «هوامش في المدن والسفر والرحيل» الصادر عن الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة بمقولة للروائي التركي أورهان باموق يقول فيها: الكتابة

بعض المدن تشكل سماواتها مظلة واسعة، ملونة، أنيقة، تفوح بكل الروائح، تستحضر كل الأطعمة، وتقدم روائح كل الحضارات. إسطنبول واحدة من هذه المدن، أجدها دائمًا كما أتمناها كلما شدني هاجس السفر إلى مدينة عابقة بكل الخيارات.

صورة لساحة القديس مرقس في البندقية

عن المدن تُعد حفظًا للذاكرة، فالمكان يسجل نفسه في ذاكرتنا وفقًا لأحاسيسنا في اللحظة الراهنة، وحين ندمر تفاصيله.. البيوت، الأشجار، الأسوار والأسواق... فإننا نفقد فهرس ذاكرتنا، لأن فقدان المكان هو فقدان للذاكرة! في كتابها هذا الذي يصنف ضمن أدب الرحلات ترى عائشة سلطان أن هذه الأسفار والرحلات قد أثرتها، شاكرة كل من شاركها الضحك والبهجة في القطارات والرحلات الطويلة وعلى المقاهي وأرصفة المحطات، ولا تنسى بداية أن تشكر المغامرات والشقاوات. ولأن السفر نوع من الجمال نجدها تقول إن الجمال يعلم الذوق، والذوق ينتج

منظر للدروب المعماري، ألمانيا - ميونيخ

أحسستُ وأنا أتحدث إلى سيف بكم هائل من الادعاء نمارسه جميعًا ونحن نثرثر صباح مساء وبحرقة ظاهرة على الهوية والبلد، بينما أبناؤنا لا يعرفون شيئًا عن تفاصيل مدينتهم التي " يسكنونها " كما يبدو، بينما يتوجب أن يتغلغلوا في شرايينها كي يعرفوها ويحبوها وينتموا إليها.

تفاصيله المبهجة والصغيرة جدًا. حين كبرت عائشة سلطان عرفت أن الحكمة كالنار تسرق غوايات القلب لتمنحها للعقل، وأنه كلما كبرنا قلّ فرحنا وتضاءلت دهشتنا، لأننا صرنا أكثر حكمة وأكثر رصانة وأقل دهشة. هنا تحكي الكاتبة أنها كانت تسمع والدتها تقول في كل مرة يسافر فيها إخوتها أو تودع أحدًا من معارفها: الإنسان مثل الطير تمامًا، وحين كبرت الكاتبة وسافرت حتى ملت السفر والترحال عرفت ما كانت تعنيه والدتها.

وهي طفلة صغيرة كانت الكاتبة شغوفة بالإذاعة وبالكتب، وتعلقت بالراديو وكانت تستمع إلى حكايات أمها، وبعد أسفار الطفولة سافرت عائشة لأول مرة بالطائرة إلى كراتشي، وبعدها سافرت إلى عدة مدن وبلدان في رحلات كانت تنظمها جامعة الإمارات. سافرت عائشة سلطان إلى واشنطن وزارت البيت

الأبيض ووقفت أمام تمثال إبراهام لنكولن، ووقفت طويلًا أمام مسلة واشنطن الشهيرة. بعد ذلك ارتبطت الكاتبة بمدينة ميونخ الألمانية، ولسنوات طويلة كونت هذه المدينة داخل الكاتبة حمولة من الذكريات لا تمحى، أحبت ريفها، تاريخها، قصورها والكاتدرائيات والنزهات والأصحاب. عائشة تذكر هنا أن الشعب الألماني من أكثر الشعوب تقدمًا وهو شعب كثير العمل قليل الضحك والابتسام. أما أغرب أسفار الكاتبة فهو السفر الذي قطعت فيه آلاف الأميال لحضور حفل غنائي للعظيمة فيروز في لبنان والبحرين. الكاتبة التي سافرت للمتعة والبهجة وتجمعات الأصدقاء، لا تزال تحن لتلك الشوارع والطرقات المرصوفة بالحجارة القديمة والمبللة بأمطار الليل. لا تزال تحن إلى ساحة سان ماركو الرومانسية في فينيسيا، ولجولات الجندولا، ولشرفة جوليت في مدينة فيرونا، ولمقاهي شارع الماكسيميليان في ميونخ، وللفناء الرخامي المشع بأنوار البيت العتيق والمسجد الحرام بمكة المكرمة، ولساحة الكنيسة القديمة في المارين بلاتز، ولشوارع سنغافورة ومدينة بومبي الهندية وباريس ومطاعم بروكسل بأستراليا.

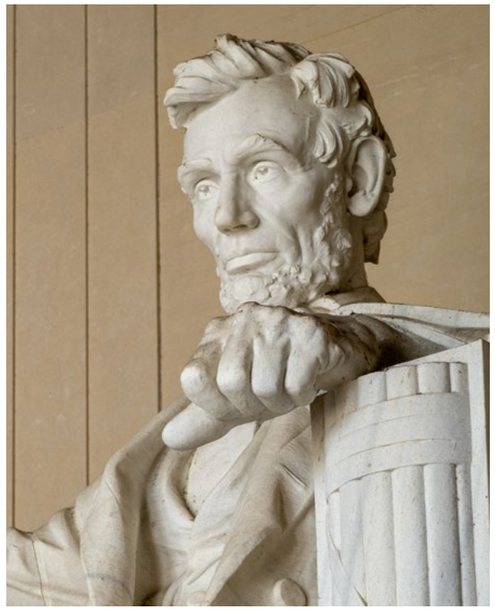

صورة مقربة لإبراهام لنكولن في نصب لنكولن التذكاري في واشنطن العاصمة

ذاكرة طازجة

هنا تكتب عائشة سلطان عن دبي وهي مدينتها التي ولدت فيها، وفيها تعلمت أبجدية البحر والصحراء والحب واللعب وشغف الأسفار. الكاتبة تقول إن دبي مدينة قد تثير الأعصاب بزحامها في كل الأوقات، ومع ذلك فهي مدينة شديدة الترتيب والتنظيم. عائشة سلطان ترى هنا أن المجتمعات العربية ستبقى ممتدة ونابضة بالحياة طالما بقيت تحتفظ بذاكرتها طازجة محمية من العطب وعصية على الفقدان، ذاكرة المجتمع هي الذاكرة الجمعية لكل الأفراد، لعاداتهم وسلوكياتهم العامة، لموسيقاهم وأغنياتهم العلنية، لألعابهم وطقوس أعراسهم وأعيادهم وأحزانهم، وكل ما يشكل الهوية الجامعة للأفراد والتي تحرص الأمم على جمعها وحفظها حيثما وجدت. في سفرها ورحلاتها توصلت الكاتبة إلى أننا نحتاج لأن نرصد وجوه الناس وتفاصيلهم، الرجال والنساء، الكبار منهم على وجه التحديد، لنحتفظ قدر الإمكان بهوية المدينة وتاريخها. كما تكتب عن سفرها إلى القاهرة، الإسكندرية، لبنان، الكويت، براغ، ياشيموف، إسطنبول، بانكوك، فلورنسا، بادن بادن، بروكسل، فيينا، دبروفنيك، برشلونة.

الشخصية المصرية محددة الملامح وعميقة الأبعاد، ليس مهمًا أن تتفق معها أو لا تتفق، تلك وجهة نظرك وأنت حر في ما ترى، لكن لا يمكنك إنكار سطوع هذه الشخصية وتمتعها بجملة سيمات لا يمكنك إزاءها سوى أن تحب هذه الشخصية، ليس لخفة ظلها فقط، فالشخصية المصرية أعمق وأعقد من مجرد خفة ظل، وتعاطٍ ساخر مع أزمات الحياة، ونكتة تُطلق بمنتهى سرعة البديهة، فالشخصية المصرية طبقات متراكمة من الوعي والتاريخ والحكمة.

مفكرة مسافر

في الجزء الذي عنونته الكاتبة بـ «مفكرة مسافر» تقول إن هناك دومًا حلمًا مؤجلًا لم نذهب للقائه علنًا ولا حتى خفية عن عيون الحاسدين، وهناك أمنية في البال مخبوءة لشخص ما، وربما لعمر قادم، خاصة بالنسبة إلى هؤلاء الذين ينسون لكثرة ما يؤجلون أحلامهم، فالعمر لا يُؤجل والأيام التي تذهب لا تعود.
هنا وفي كتابها عن المدن والسفر والرحيل تنصح عائشة سلطان المسافر بألا يحزم أمتعته وألا يتوجه إلى أي مكان وهو يحمل تصورات الآخرين عن المكان الذي ينوي الذهاب إليه، إذ أنه

حين غادرت مدينتي إلى بريطانيا كنت كشجرة سدر أو غاب صحراوية أرادت أن تزرع نفسها في مناخ البلدان البعيدة، الباردة، أعجبني كل شيء، النظام، الاخضرار، دأب الناس، النشاط، المناخ المعتدل، مزاج الناس الذي يميل دائمًا للهدوء والسيارات التي تسير من دون ضجيج ومن دون ارتكاب حوادث غالبًا، وصرت كلما تحدثت عنهم أقول كطفلة جاءت للتو من السيرك: يا إلهي طوال إقامتي هناك لم أرَ حادثًا واحدًا على الطريق.

من الأفضل أن يذهب بلا تصورات من أن يذهب محملًا بنصائح وأفكار وانطباعات صادرة عن أشخاص آخرين.كما ترى أننا قد لا نتصالح مع كل المدن والأمكنة وقد ننفر من بعضها ونعشق بعضها الآخر دونما سبب ظاهر. هنا أيضًا لا تتحدث الكاتبة عن المدن التي زارتها فقط، بل عن الأشياء التي تحبها كالقهوة العربية التي تصفها بأنها مفتاح الصباح والمساء، وأنها رفيقة المزاج وتوأمه، هي طقوس أمها، ذكريات جدها، وصمت أبيها. الكاتبة ترى هنا أن القهوة قصة كبيرة لمن يعرف معناها، لكن على الطريقة العربية. وعن المقهى، التي نسافر إليها داخليًا وخارجيًا، تقول إن عالم المقهى غني جدًا بالحياة والتفاصيل، وإذ تسترخي في مقعدك فأنت بإزاء كتاب مفتوح على عوالم حقيقية تحتاج منك أن تقرأها بقلبك لا بعينيك، وألا تكتفي باحتساء فنجان القهوة وتمضي فارغ القلب. ولأنها سافرت كثيرًا تقارن الكاتبة بين الريف العربي الذي ارتبط في الأذهان بالمرض، بينما هو في بلاد أوروبا ملجأ لكبار الأثرياء والتجار، داعية الحكومات العربية إلى استثمار الريف بعد أن اتضح من التاريخ أن الريف هو الرافد الحقيقي للمدينة بكل أنواع المواهب. هنا أيضًا تؤكد عائشة سلطان أن السفر احتياج وثقافة، وعليه فليس شرطًا أن تبهجنا مدينة قضى فيها أصدقاؤنا وقتًا ممتعًا. كما ترى أن السفر قد يغير الأشخاص. وبعد..لقد سافرت عائشة سلطان إلى عدة مدن وبلدان، وحكت لنا عنها هنا وعن ذكرياتها فيها، وقد جعلت القارىء يسافر معها إلى حيث سافرت، لكن من دون أن يغادر مقعده الجالس عليه بصحبة كتابها هذا ■

منظر جوي لدبي القديمة والخور ودبرة

بنت البادية ملك حفني ناصف

أحمد فرحات
شاعر ومترجم من لبنان

«لو قُيّض لها أن تعيش أكثر من العمر القصير جداً الذي عاشته في هذه الحياة، لكانت تجربتها في مسار التنوير الاجتماعي والفكري الحضاري في مصر والعالم العربي قد فاقت التصور والإدهاش بأضعاف مما رست عليه، ولاسيّما في مجال الأخذ بيد المرأة نحو التعلم والتثقف وتفجير الطاقات الإبداعية الكامنة فيها، فضلاً عن إثارة قضايا المساواة في الحقوق والواجبات لها مع الرجل. ومع ذلك، وخلال الـ32 سنة التي عاشتها الشاعرة والمصلحة الاجتماعية ملك حفني ناصف، فقد استطاعت أن تترجم نواة لنهضة نسائيّة عربيّة كان لها فعلها المؤسّس والمتحوّل في صناعة وعي جديد وطليعي أكمل مساره أولئك الذين حملوا الشعلة من بعدها، نساء ورجالاً". هذا ما قاله المستشرق الفرنسي الكبير جاك بيرك على هامش حوار كنت أجريته معه ونشرته في إحدى الأسبوعيات اللبنانية عام 1981.

وهو محق بذلك تماماً، فـ«ملك حفني ناصف» صاحبة تجربة ريادية، ليس في الشأن الاجتماعي والفكري فقط، وإنما أيضاً على المستوى الشعري والنقدي وإعداد المحاضرات الجدية في المحافل الفكرية والثقافية التي شهدتها القاهرة في مطالع القرن القرن العشرين. وقد عاصرت كبار رموز الشعر والنقد والفكر النهضوي في مصر والوطن العربي، وكانت لها بصمتها المميزة في هذا الوسط.

يكفي أن هدى الشعراوي تخرجت على يديها، ويكفي أيضاً أن مي زيادة تأثرت بها وسارت على منوالها في الإصلاح الاجتماعي والسياسي الرصين والهادىء؛ وقد اعترفت لها مي زيادة بالإبداعية في كل باب اجتماعي أو فكري طرقته، بل وسطّرت فيها كتاباً خاصاً تحت عنوان «بنت البادية».

كما إن كبار شعراء مصر والعرب عبّروا عن إعجابهم بها في حياتها، وفُجعوا برحيلها المفاجىء بداء الحمّى الإسبانية عام 1918 ونظموا فيها قصائد رثائية مؤثرة؛ ومن هؤلاء الشعراء: أحمد شوقي وحافظ ابراهيم وخليل مطران.

ومما قاله مطران في رثائها:

يـــا آيـــة العصـــر حقيـق بنـــا
تخليـــد ذكـــراك علـــى الدهـــر
جاهـــدت لكـــن النجـــاح الـــذي
أدركتـــه أغلـــى مـــن النصـــر
بـــدت تباشـــير الحيـــاة التـــي
جـــدّت فحـــي طلعـــة الفجـــر
يـــا مـــن ذوت فـــي زهـــرة العمـــر
مـــا أقسى الـــردى فـــي زهـــرة العـــمر
ذلك ديـــن لك فـــي عنقنـــا
قضـــاؤه ضـــرب مـــن البـــر

لقب «بنت البادية»

ولدت ملك حفني ناصف في حي الجمالية في القاهرة عام 1886 في وسط بيت أدبي وشعري معروف، فوالدها هو الشاعر والحقوقي حفني ناصف بك، عُرِف عنه انفتاحه على العصر، ودعوته لتعليم المرأة، وإشراكها في إدارة الحياة العامة، وبناء الأوطان، جنباً إلى جنب مع الرجل، وأن هذا الأمر في رأيه، لا يتناقض البتة مع الدين، بل على العكس، فالدين يدعو إلى «العلم ولو في الصين» على حد قول النبي العربي الكريم. وقد دفع الوالد بابنته إلى المدرسة في زمن عزّ فيه تعليم البنات، وشجعها على المضيّ في التحصيل العلمي، خصوصاً بعدما آنس فيها ذكاء متقداً وحباً للمعرفة والتفكير العقلاني، فكانت أول فتاة في مصر، مثلاً، تحصل على الشهادة الإبتدائية عام 1900. واجتهدت علمياً لتتضلع من اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وكان لها ما أرادت.. علاوة على تضلعها من لغتها الأم العربية، والتي نظمت فيها الشعر مبكراً، وكانت أول قصيدة نشرتها في العام 1902، وهي في رثاء الشاعرة المصرية عائشة التيمورية عمّة الكاتب الكبير محمود تيمور، وقد احتفت بها الصحف المصرية آنذاك، فذاع صيتها كشاعرة ناشئة مُجيدة، ليس في مصر وحدها، بل في العديد من البلدان العربية، خصوصاً في لبنان والعراق.

تأهّلت ملك حفني ناصف من أحد شيوخ العرب في الفيوم عام 1907 واسمه عبد الستار الباسل، وعاشت معه في دارته الكبرى في البادية الفيوميّة الجميلة، ما جعلها تكتسب من ذاتها ولذاتها لقب «باحثة البادية»، وقد عُرفت به طوال حياتها، وشرعت تنشط في وسط نساء تلك المنطقة، مشجعة إياهن على تنكّب القراءة والكتابة وبالتالي الوعي بحقوقهن الأوليّة خطوة فخطوة، الأمر الذي حوّلها إلى مرجعية حيّة لمؤازرة مطالب النساء عموماً، بدءاً من مناحي الحياة البسيطة فالمعقدة، ثم الأكثر تعقيداً. كما قدمت نفسها كقدوة لغيرها في مزاولة العمل المنزلي بمتطلباته المختلفة، حيث كانت تشتغل بيديها كل شيء، في الوقت الذي كان بإمكانها، ونظراً لغنى زوجها ومركزه الاجتماعي، أن تستغني عن ذلك كليّاً، الأمر الذي جعلها مصدر استقطاب وصدقيّة متزايدة من كل العارفين بها والمتعاونين معها.

غير أن حياتها الزوجية، مع الأسف، لم تتكلل بالنجاح بسبب زوجها الذي قرر أن يطلّقها لأنها لم تنجب له أطفالاً؛ وتبيّن طبيّاً في ما بعد، أن «العيب البيولوجي» ليس منها وإنما منه هو على وجه التحديد، الأمر الذي أحزنها كثيراً، لأنها كانت ضد الطلاق الكيفي إجمالاً، وكذلك كانت ضد تعدد الزوجات، خصوصاً إذا جاء من موقع التباهي السلطوي للرجل بمظهريه المالي والعشائري.

لكن هذا الأمر لم يحبطها ولم يصرفها أبداً عن متابعة نضالها الحقوقي، ليس لأجل المرأة فقط، وإنما الرجل أيضاً، والمجتمع برمته. فأسست لذلك الجمعيات والاتحادات المتخصصة مثل «اتحاد النساء التهذيبي» الذي ضمّ الكثير من النساء المصريات والعربيات وحتى الأجنبيات ممن كُنّ يقمن على الأراضي المصرية. وشرعت «بنت البادية» تكتب في الصحافة مقالات إصلاحية كان لها دويّها في اليوميات الاجتماعية المصرية والعربية، وقد جمعت هذه المقالات وأصدرتها في كتاب تحت عنوان: «النسائيات» وهو من جزءين.

ولها كتاب آخر بعنوان «حقوق النساء» حال رحيلها من دون إنجازه. وكانت ملك حفني ناصف ملكة المنابر الفكرية والثقافية في بلدها، خصوصاً في الجامعة المصرية التي أسهم والدها في إطلاقها. وكانت تخطب بلغة عربية قوية الجرس والوضوح الآسر، فضلاً عن أسلوبها المتميز بالتحليل والتعليل ثم الإقناع السلس المكين، حتى إن «شيخ العروبة» في مصر أحمد زكي باشا ذُهِل ببلاغتها وقوة مضامين خطبها وقال بأنها أعادت العصر الذهبي لفن الخطابة العربي الهادف والضارب في الصميم. كما لم تتخل كاتبتنا البتة عن سمت العروبة كهوية عميقة لها في توجهاتها الوطنية والقومية.

أما الشريعة الإسلامية فتمسكت بها بإخلاص منفتح، ووسطيّة لم تعرف التهور والتطرف يوماً. واشتهر عنها هذا البيت في مسألة السفور والحجاب:

ليس السفـــور مـــع العفـــاف بضائـــرٍ
وبدونـــه فرط التحجـــب لا يقـــي

وهذا البيت أيضاً:

لا تتقي الفتيـــات كشـــف وجوهـــا
لكـــن فســـاد الطبـــع منكـــم تتقـــي ■

ملك حفني ناصف

«النمّام» سليمان فيّاض

د. ممدوح فرّاج النّابي

ذاعت شهرة الكاتب الرّاحل سليمان فيّاض (1929 - 2015) برواية «أصوات» التي صدرت طبعتها الأولى من بغداد عام 1972. وهي الرواية التي حقّق فيها فيّاض شهرة منقطعة النظير، مُعبّرًا فيها عن الصدام بين الشرق والغرب. الشيء الغريب الذي يُحسب لفيّاض في هذه الرواية أنه كتب عن هذه العلاقة الصّراعيّة بين الشرق والغرب من دون أن يكون قد عاش تجربة هذا الصراع. مارس فيّاض الكتابة في كافة الفنون الإبداعيّة والفكريّة (الرواية، القصة، الكتابة للناشئة، سير الأبطال والعلماء، وغيرها). ومع هذا التنوُّع والتعدُّد في مجال الكتابة إلا أنه استطاع - وسط هذا الزخم - أن يضع لنفسه مكانة مميّزة وفريدة في نوع أدبي (إن جاز وسمه بصفة النوع) والنوع الذي أقصده هو اللوحة القلمية أو البورتريهات. فسليمان فياض اشتهر بكتابة هذا الفن الذي تقلّص المُهتمون به في العصر الحديث، على خلاف ما كان سائدًا من كتابات الشيخ عبد العزيز البشري (1886 - 1943م).

كتابات النميمة

أصدر سليمان فياض في اللوحات القلمية أكثر من كتاب بدأها بالكتاب الأوّل الذي كان بمثابة المهاد الحقيقي لفكرة النميمة التي جاءت في كتبه اللاحقة، فأصدر أوّل ما أصدر كتاب «المثقفون - وجوه من الذاكرة» وقد صدر عن دار سعاد الصباح 1992، وقد جاء الكتاب في 128 صفحة من القطع المتوسط، واحتوى على ثمانية وجوه هي (تحولات كاتب، العبقري المقهور، فارس العصر، فارس الدائرة المشؤومة، هواية كاتب، قوس قزح، الأقنعة السبعة، عجل جسد له خوار).

الكتاب الثاني جاء بعنوان «كتاب النميمة: نبلاء وأوباش» وقد صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1996، عن مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، وقد احتوى هذا الجزء على ثلاث عشرة صورة قلمية؛ هي كالتالي: (الأستاذ، كائن وحيد فريد، الصُّوفي، العبقري المقهور، فارس العصر، تحولات كاتب، فارس الدائرة المشؤومة، صاحب العمامة المقدرة، هواية كاتب، الأقنعة السبعة، قوس قزح، عجل جسد له خوار، التمرجي).

في عام 2001 صدر القسم الثاني بعنوان «المساكين»، ليكون الجزء الثاني من كتاب النميمة الأكبر، وقد صدر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر، واحتوى على عشر لوحات قلميّة/ بورتريهات. جاءت كالتالي: (هرم الشموع، مالك الحزين، المغترب الأبدي، النزهي، الفأر، غولان، لوليتا، التفاشكي، عازف الفلوت، الواعظ) في 102 صفحة من القطع الصغير. لكن في عام 2006 نشرت دار مصر المحروسة الجزأين معًا، بعنوان «كتاب النميمة»، وقد احتوى الكتاب على اللوحات القلميّة التي نُشرت في كتب:

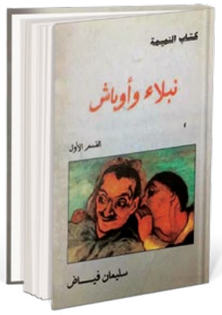

(المثقفون وجوه من الذاكرة ونبلاء وأوباش والمساكين) بذات الترتيب الذي كانت عليه في الأجزاء المنفردة، وعلى الرغم من أن الناشر حافظ على اللوحات إلا أن نص «غولان» من كتاب المساكين وقد كان تاليًا لنص الفأر وسابقًا لوليتا، سقط من النسخة الجديدة المشتملة على نصوص الكتابيْن.

التغيير الثاني أن النصوص الثلاثة الأخيرة في المجلد الجديد، وهي (البّناء العظيم، ذئب وحيد، المرواني) غير موجودة في القسمين الأول والثاني، وهو ما يعني أن الناشر أسقط نصًا، وأضاف ثلاثة نصوص جديدة، الغريب أن الجزء الثالث الجديد (ألاعيب الذاكرة) الذي لم يصدر في حياة المؤلف يبدأ بنص «المرواني»، وهو عن أمل دنقل وعلاقة فياض به، حيث التقاه في بداياته في الإسكندرية أثناء عمل فياض بها، ويصف لنا فياض حال أمل وكيف أنه كان يذهب إليه ليقرأ عليه قصائده، إلخ من موضوعات متعلقة بصداقة الاثنين، وعن شعر أمل وانتمائه إلى الصعيد، متتبعًا رحلة أمل في المجد الشعري، وراصدًا لعنف أمل الذي كان أحد سمات أمل في تعاملاته مع المثقفين، انتهاء برحيل أمل.

أما المفاجأة أن نصي: البناء العظيم وذئب وحيد، لم يضمهما الجزءان الأول والثاني وأيضًا لا وجود لهما في الجزء الثالث الجديد، على عكس نص المرواني.

كشف جديد

أهم سمة تتميّز بها هذه اللوحات القلميّة بأنها بمثابة الكشف الجديد للكثير من الشخصيات الأدبية، التي جانبها التهمشين والإهمال، حتى غدت هذه اللوحات بمثابة ردّ الاعتبار لهم، على نحو ما فعل مع شخصيات، وحيد النقاش، وسيد قطب، وعادل كامل صاحب رواية «مليم الأكبر»، ومحمد مندور، وفاروق عبد القادر. وهناك فئة من الكتاب يقدم العوالم السّرية في حياتهم، على نحو ما فعل مع يحيى حقي الذي لقبه بالصُّوفي، وبهاء طاهر الذي وصفه بأنه «مالك الحزين»، ويوسف إدريس.

يتناول فيّاض في لوحاته القلمية من حياة هذه الشخصيات - على اختلافها - الأدوار المهمّة التي لعبوها في الحياة الثقافية. فمثلاً حديثه عن الروائي عادل كامل وقد خصّه بفصل عنوانه «فارس الدائرة المشؤومة» يستفيض فيه عن علاقته بعالم عادل كامل وإعجابه بإحدى قصص القصيرة الطويلة التي قرأها في مجلة المقتطف، وكانت بعنوان «ضباب ورماد» ثم قراءته لروايته «مليم الأكبر» والتي كما يصفها بأنّها «شحنة من الواقعية والعنفوان» (نبلاء وأوباش، ص: 97) وفي الوقت ذاته يقف عند شخصية عادل كامل والتحولات التي أصابته بعد منح جائزة مجمع اللغة العربية لرواية «لقيطة» لمحمد عبد الحليم عبد الله، ثم يكشف الأضواء عن حياته بعد اختفائه من الوسط وعمله بالمحاماة، ولكن الأهم ما يُسلِّط الضواء عليه، هو دور عادل كامل باعتباره راعي نجيب محفوظ، والأدوار التي لعبها في حياة محفوظ، باعتباره واحدًا من شلة الحرافيش، وأن محفوظ كان يأتمنه على المسودات الأولى لأعماله قبل أن ينشرها. وبالمثل يفعل مع شخصية الناقد فاروق عبد القادر في اللوحة التي وسمها بـ «صاحب العمامة المقدرة»، فيصفه بعبارة موجزة لا تنطبق ولا تليق إلا بواحد غير فاروق عبد القادر، فهو من النوادر الذين «ظواهرهم مع القلم مثل بواطنهم»، وأيضًا لا يعرفون -

في الحياة - «سوى الأبيض والأسود، ولا يفزعون من الرمادية في القول» وفي فكره لايعرفون «سوى الحق والباطل».

ألاعيب الذاكّرة

وبالكتاب الأخير «ألاعيب الذاكرة» وهو العنوان الذي اختاره فياض قبل رحيله، إلا أن القدر لم يمهله ليراه منشورًا، تصبح أجزاء كتاب النميمة أربعة هي كالتالي: المثقفون وجوه من الذاكرة 1992، وكتاب النميمة: نبلاء وأوباش 1996، وكتاب النميمة: المساكين 2001، وأخيرًا «ألاعيب الذاكرة» 2017. تحتوي جميعها على 39 نصًّا أو لوحة قلمية، وهي مجموع اللوحات التي نشرها فياض في دوريات وصحف مختلفة. احتوى الجزء الجديد من كتاب النميمة على إحدى عشرة لوحة قلمية بالترتيب هكذا: (المرواني، نرجس وصدى، بطل مصارعة يهوى اقتناء الكتب، قاص بالفطرة، ذو العصا الذهبية، زيارة راجي راموني المفاجئة، مؤذن مسجد يكتب مذكراته، الست عرب، أما من قائل لي: يا أستاذ؟ السيد هوا، أبو خليل قاص المنمنات) وجميع هذه الوجوه جديدة لم تصدر في كتبه السابقة باستثناء المرواني، وهو عن الشاعر أمل دنقل، الذي أضيف إلى المجلد الذي نشرته

بالكتاب الأخير «ألاعيب الذاكرة» وهو العنوان الذي اختاره فياض قبل رحيله، إلا أن القدر لم يمهله ليراه منشورًا، تصبح أجزاء كتاب النميمة أربعة هي كالتالي: المثقفون وجوه من الذاكرة 1992، وكتاب النميمة: نبلاء وأوباش 1996، وكتاب النميمة: المساكين 2001، وأخيرًا «ألاعيب الذاكرة» 2017. تحتوي جميعها على 39 نصًّا أو لوحة قلمية، وهي مجموع اللوحات التي نشرها فياض في دوريات وصحف مختلفة

دار مصر المحروسة وحوى مضمونه على محتويات القسمين الأول والثاني من كتاب النميمة، وإن كان بعنوان واحد شامل هو «كتاب النميمة»، بعد أن حذف العناوين الفرعية في الجزء الأول «نبلاء وأباوش»، و«المساكين» في الجزء الثاني.

تشتغل النصوص الجديدة التي احتواها هذا الكتاب «ألاعيب الذاكرة» على الشخصيات الثقافيّة التي عرفها سلميان فياض وخبرها جيدًا بحكم صداقته بها، أو بحكم العمل، فبعضهم عمل معهم في صحف ومجلات والبعض الآخر، كان يأتي إليه لنشر ما فاضت به قريحته. كما غلب على هذه النصوص صفة المراوحة بين الإفصاح والتمويه كما هي عادته في النُّصوص السّابقة، فتحضر شخصية أمل دنقل صريحة، وبالمثل إبراهيم أصلان، ويوسف إدريس، حيث يقدم وجوها تفصيلية عن هذه الشخصيات، فعلى الرغم من أن الكثير من المعلومات التي يوردها عن هذه الشخصيات، تأتي بحكم ارتباطه بها، وبصداقته لهم، لكن - في المقابل - يُمرر جوانب من سيرته الثقافية، فيعرض لبداياته القصصية، ومخاوف النشر، وآراء الكُتّاب في أعماله، فيذكر موقف يوسف إدريس من روايته أصوات، وكيف أنه اتصل به في وقت مبكر، ليعلن له عن إعجابه الشديد بروايته، بل يسأله في دهشة كيف كتب الفصل السابع.

سيرة فيّاض التي لمّح إلى تمريرها من خلال العنوان الذي اختاره ألاعيب الذاكرة، فالسيرة تمتاز هنا بأنها غير مرتبة، وإنما هي شذرات من علاقات ومواقف وحكايات عن أصدقاء في القرية، بعضهم امتهن حرفة الكتابة ■

معوقات الإبداع

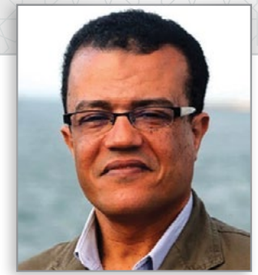

محمد عطية محمود
كاتب وناقد مصري

الإبداع عملية كيميائية مركبة، تنتظر الشرارة الوجدانية كي تبدأ في ممارسة دورها الرئيس في جدل علاقات متوازية أو متقاطعة مع الوجود، من خلال توفير شروط تلك العملية وآلياتها التي لا تختلف عن أي معادلة كيميائية لها عناصرها التي لا بد من تفاعلها، ودخولها في حيز القياس والممارسة، وفي الوقت ذاته لا تنمحي عنها أمارات العلاقة الميتافيزيقية التي تحركها الروح في اتجاه الهدف من تلك الكتابة أو البؤرة التي تتشبث بها كي تعطي للمنتج الإبداعي هذا التماسك، وهذه الرصانة التي تبعده في ذات الوقت عن الرطانة والاستغراب من أجل نص مستساغ، ربما وتصل بعد كل تلك العملية الداخلية إلى سهل ممتنع يتعذر على المرجفين الاقتراب منه والتماس تحقيق معادلاته بتلك الروح.

إذن فثمة معوقات، في مواجهة تلك العوامل المساعدة للعملية الإبداعية، فإذا دخلنا إلى عقل المبدع لوجدنا هذا الخلل الذي يشير إلى وجودها الذي يكاد يوقف هذا السيل الهادر، أو يعطله، وربما يمنع الفكرة من الأساس من الانطلاق كشرارة كما أسلفنا، والتي تبدأ من افتقاد حرية التحرك بالفكرة وتكبيلها في حيز ضيق يفقد المفاتيح المؤدية إلى أقرب الطرق التي يندفع فيها أو يبدأ منها هذا السيل في الانتشار، والتمكن من الحواس، لتوجيه هذا الفعل الإبداعي، فعندما تُحدد قدرة هذا الخيال أو المخيال (كما كان يقول بعض المنظرين) تصبح العملية الإبداعية قاصرة على تحديد القشرة الخارجية للفكرة من دون التعمق والتسلل في أغوارها والتمدد في شراييها، ومن ثم تصبح المغامرة التي يناط بها تحويل الفكرة إلى قطعة إبداعية، مقتصرة على صورة من الميراث الإبداعي المستنسخ، والذي يقرّبها من مثيلاتها، إيمانًا بالمقولة التاريخية، بأن "الأفكار على قارعة الطريق" تنتظر من يلتقطها ويعيد صياغتها، و(يحاول) تقديمها في ثوب جديد، فكيف وهو لم يملك بعد شيفرة البدايات السحرية لتلك الدروب الملتوية التي تقبع فيها الفكرة متجاورة مع سمات إبداعها أو إيقاظها من سبات عميق. فالحركة الديناميكية التي يُحدثها الفعل الإبداعي تحتاج إلى المزيد من المنشطات والمحفزات التي تنتزع الفكرة من ردائها القديم، وتحولها إلى فعل إبداعي له إرادته، وله سلطته القادرة على إكسابه هذا الثوب الجديد البهي المقنع والمغازل للوجدان، والذي لا يقتصر على الجمال اللغوي فقط، بل لا يرتعش فيه النص الإبداعي ولا يتقوقع، بل يتمدد فيه ويملأ فراغاته ويهيم به في أودية الخيال والابتكار، إلى أن يصل غايته المرجوة من المغامرة الإبداعية التي تصبح استثنائية حال انسلاخها عن الأشكال المتوارثة، والتي لم تفقد حميميتها الوجدانية والروحانية بها، لتعانق العالم من جديد.

هذا مرتكز من المرتكزات التي تقوم عليها عملية الإبداع بعيدًا عن الترهل والانكماش من ناحية، وهما حالتان متماثلتان وإن كانتا متضادتين تعملان على سلب هوية الإبداع وحريته المكتسبة من حرية العقل الوجداني بالأساس، ومن ثم العقل الفني/ الإبداعي الذي يترجم هذه الفكرة الإبداعية ويضعها في إطارها الصحيح المبتكر، ومن ناحية أخرى بعيداً عن التحجر الذي بقيت رواسبه في الضمير الإبداعي الذي ربما نهض على أفكار قمم ورموز سابقة تطاولت وتعالت كي تصنع أرضية صلبة يتكىء عليها ويستند دائماً الإبداع الجديد، لكن قد يبقى لها تأثير قيد يكبل الإبداع ويعيقه، لكن هذه الإشكالية الأخيرة من الممكن علاجها بالتغلب على تلك العثرات وتضفير الموروث الذي كان عائقًا، مع الجديد في علاقة جديدة تكفل تخطي شبهة الاستنساخ من ناحية، وتبعد عن تهمة المروق/ الانسلاخ الكامل الذي يجعل الإبداع بلا هوية، وتحرير العقل من شوائبه، وغرس مفهوم حرية الإبداع، والقدرة على التجريب والتجديد اللتين هما سمتان من سمات الإبداع كحركة ديناميكية فاعلة، لا تركن إلى الاستعراض الشكلي على حساب المضمون الذي يحركه الفكر، إذن فهي دائرة متكاملة كالدائرة الكهربية، ولكن ما يسري فيها هو تيار الإبداع، لا الابتداع المعوق ■

الترجمة علم وفن

فاطمة المزروعي
كاتبة من الإمارات

تتبع مسيرة البشرية وتطورها، رحلة مشوقة ومذهلة، لأنك تلاحظ وبشكل جلي تتالي وتتابع التطورات، لم تحدث قفزات كما يقال، ولا توجد اختراقات مذهلة، بمعنى لم توجد الصواريخ قبل اختراع الطائرات، ولم توجد طائرات قبل نجاح الإنسان في حل مشكلة التنظيم والعمل ورأس المال وحقوق الملكية الفكرية والميكنة ونحوها من القوانين والآليات التي مهدت للنبوغ البشري والتطور.لم تظهر فجأة السفن الحديثة والمركبات ذات الطرازات المذهلة، بل تدرجت وتطورت في سلم الرقي عاماً وراء الآخر حتى وصلت لما هي عليه اليوم. الحال نفسه في جوانب حياتية أخرى متعددة، كان للتطور التدريجي أثره وأيضاً وقعه في مسيرة الانسان، لا قفزات، ولا معجزات. كلما نجح الانسان في اختراع وابتكار، جاء من يطوره ويبني عليه، وهكذا نجد أن معظم المخترعات بدأت بشكل متواضع ثم أخذت في التطور عاماً وراء الآخر. الحال نفسه في العلوم الإنسانية، تجد أن التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع والجغرافيا والتاريخ والأدب والكتابة وغيرها الكثير، هي أيضاً خضعت لمثل هذا التدرج وحكمته مراحل التطور. كان لابد من مثل هذا التمهيد الذي نوضح خلاله أهمية التطور والمراحل، لنتوقف عند واحد من أهم العلوم البشرية، بل أحد العلوم التي أسهمت في تقدم البشرية والتقائها وتطورها، وهي أيضاً خضعت للتدرج والمراحل: الترجمة، هذا العلم لم يكن ليكون واقعاً وينجح وينمو، ويصبح كما هو عليه اليوم من التأثير والحاجة الملحة له، من دون ارهاصات ومقدمات هي التي أخرجته ودفعت به. اخترع الانسان الكتابة، التي يؤرخ بعضهم لبداياتها في بلاد الرافدين بخمسة آلاف عام قبل الميلاد، وكان ظهور الكتابة استجابة للحاجة للتدوين وحفظ الحقوق وتسجيل الملاحظات المهمة، خاصة مع تطور الزراعة وتزايد المحاصيل الزراعية، وتزايد التجمعات البشرية الحضارية، وانتشار التجارة، وظهرت القوارب والسفن الشراعية والعجلة. ورصد العلماء بعض الكتابات على الألواح الطينية باللغة المسمارية وقدروا عمرها بنحو 3600 قبل الميلاد، حيث كان ينقش على الطين وهو طري ثم يتم تجفيفه في النار أوتحت الشمس. هذه البدايات بتواضعها، كانت ثورة في مجال حفظ المعلومات والخبرات والتجارب، ومعها حدث التطور التدريجي المعهود والمعروف. الشغف بترك أثروأن يبقى هناك ما يذكر الأجيال بالمنجزات والحاجة للحفظ وتوسيع الخبرات، بدأت بالنحت على الصخور وفي جوف الكهوف وعلى الأشجار. هذه هي الكتابة التي فتحت تبعاً لتطورها عهداً جديداً من الترجمة. التي كانت ضرورية كلما اشتد تلاقي الناس بعضهم ببعض، وكلما اتسعت التجارة وكلما تشعبت وتنوعت. قال لين لونغ، في مقالة علمية تحت عنوان التاريخ والترجمة، قام بترجمتها استاذ اللسانيات والترجمة بجامعة صنعاء حميد العواضي، ونشرت في مجلة التعريب، وهي مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، قال: «الترجمة نشاط بشري كان قائماً منذ بدأت اللغة في التطور، ولعله تأثر بكل أنواع الأحداث الخارجية، باعتبار أنها بقدر ما كانت غير قابلة للتوقع فقد كانت غير خاضعة للتحكم. ويظهر لنا تاريخ الترجمة، إذا كنا لا نعرف ذلك سلفاً، أن مبادئ الترجمة لا يمكن أبداً أن تحدد بصيغة علمية أو أن تخضع لها، ولكنها تبقى ما بقي الدهر مرنة ومتقلبة كاللغة ذاتها». وبالتالي فإن الترجمة كانت تبعاً للكتابة في تطورها واتساعها وانتشارها، إلا أن الترجمة تمكنت من التطور بشكل كبير ومتسارع، وباتت لها طرقها ووسائلها ومناهجها وبحوثها وعلومها المختلفة، وكأنها علم متعدد. الجميل في عالم الترجمة، إنها تستطيع التوسع والتقبل، فهي تحتوي كل تقدم وكل نهضة وكل آلية جديدة، بل إنها انصهرت مع الكثير من المخترعات والمبتكرات وباتت جزءاً منها، في التواصل والتقارب، ولا نبالغ عند القول إن الترجمة أسهمت في تطور شبكة الإنترنت، وبسببها وجدت البعد العالمي ونجحت في الاتساع الكبير، وباتت جزءاً من حياة الناس، ولكم أن تخيلوا المواقع على شبكة الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي، وهي أحادية اللغة، أوتفتقر للترجمة، عندها لن تجد كل هذا الانتشار والقبول العالمي بين مختلف شعوب الكرة الأرضية. وقد أدرك المبرمجون والعلماء المتخصصين هذه الحيوية والأهمية للترجمة، لذا نشاهد كل يوم تطبيقاً وبرنامجاً جديداً يخرج للعلن يقدم ترجمة أحدث وبمواصفات أعلى، الآن وصلنا لمرحلة يتم خلالها الحديث أن في المستقبل القريب سيتم وضع شريحة صغيرة في الرأس، تمكن الإنسان من التحدث بأي لغة يريدها، فضلاً عما نشاهده الآن من الترجمة الصوتية الفورية فضلاً عن ترجمة النصوص، لأي لغة من اللغات في العالم، هذا الوهج وكل هذه التطورات، تجعلنا نقول إن الترجمة تعيش في عصرها الذهبي، وفي اللحظة نفسها تجعلنا ندرك أن كل هذا الاهتمام بها وكل هذا التوجه نحوها ودعمها لم يأتِ من فراغ أو من شعارات ومبادئ، بل من حاجة فعلية سواء في مجالات الاقتصاد والتجارة والتنمية أو في مجالات تبادل التسامح ونشر المحبة والتفاهم والتفهم بين مختلف شعوب الأرض، الترجمة أسهمت وما زالت تسهم بشكل واضح وفعلي في إزالة رواسب الخطأ والفهم غير الصحيح بين الثقافات المتعددة والمتنوعة والمختلفة، وبالتالي، هي حاجة ماسة للإنسان، وليست ترفاً ولا هي نخبوية تستهدف أناساً محددين أو فئة ما، بل هي عامة ومتعددة وشاملة. في عمق الترجمة، الكثير من القضايا والهموم المتعددة، وقد توقف الكثير من علمائها والدارسين على مثل تلك الاختلافات، وظهرت نظريات عديدة وآراء متباينة، لعل من أهم تلك القضايا الترجمة المتعلقة بالنصوص الأدبية، التي يوجد فيها إبداع، وما هي وظيفة المترجم، هل ينقل المعنى أم يترجم حرفياً، وهنا ندخل في أقسام وأنواع الترجمة، ويحدث لبس وتباين ووجهات نظر، متعددة، ولعل ما قاله المؤلف والمترجم أحمد الصافي النجفي، الذي قام بترجمة رباعيات الخيام، يحمل الكثير من الدقة، حيث قال: «أنا أمين في ترجمتي وفي شعري، ففي ترجمتي لم أدخل شيئاً من فكري، وفي شعري لم أدخل شيئاً من فكر الناس». وتبعاً لهذا تظهر العديد من الأسئلة الحيوية والمهمة والتي لها مدلول مثل السؤال الشهير: هل الترجمة علم أم فن؟ وللإجابة - حسب موقع ويكبيديا - أن المترجم يجب عليه تعلم المعاني للكلمات ونحوها، وتعلم القواعد في كلا اللغتين التي يترجم بينهما، وأيضاً عليه تعلم البلاغيات ونحوها وما يقابلها في اللغة التي يترجمها، ويفضل تعلم الحضارة والثقافة في كلا اللغتين، وتعلم المهارة في إظهار الجمال اللغوي، وأن يجد الكلمات المناسبة التي تعبرعن القصد الحقيقي لصاحب النص الأصلي، وكما هو واضح فإن الترجمة وفق هذه المتطلبات علم، لكنها أيضاً فن وابداع يحتاج للمهارة والحب والاستمتاع به. تحية لجهود كل مترجم، نقل فكرة وإبداع وابتكار، وقدمه للآخر بهدف المعرفة ونشر الثقافة والمعلومات، وجعلها مشاعة لكل إنسان ■

تحت الحجر السومري القديم مع الكتابة المسمارية

سريعة سليم حديد

صدر عن ملتقى الوثاب - ندوة الثقافة والعلوم، كتاب بعنوان: إبداعات عربية في التسامح والسلام، يضم مقالات ودراسات وقصائد لعدد من الكتاب والشعراء. حرره الدكتور أحمد المنصوري، والدكتورة أمل الأحمدي، والدكتورة نعيمة الغامدي، وكتب المحرر العام الدكتور شهاب غانم مقدمة للكتاب أوضح فيها أنه الكتاب الثاني عن «ملتقى الوثاب للأدباء والكتاب»، وأضاف: تناول الكتاب موضوعي التسامح والسلام؛ فدولة الإمارات قررت أن يكون عام 2019م عاماً للتسامح، وكانت قد وُقّعت في (أبوظبي) وثيقة «الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك» ويعتبر هذا إنجازاً تاريخياً كبيراً بلا شك. وأوضح أن التسامح لا يعني قبول الظلم أو الاحتلال أو اغتصاب الأرض؛ فهذا لا يستقيم مع مفهوم العدالة، ولا مع منظومة القيم الإنسانية التي تضج بمبادئ احترام الآخر، وصون كرامته وحقوقه.

احتوى الكتاب مقالات ودراسات في عدد من الموضوعات تحت عنوان: مقالات ودراسات، منها مثلاً: عام التسامح والأخوة الإنسانية في فكر الشيخ زايد، والتسامح والتعددية الثقافية، والتسامح الثقافي، وبلد التواضع والتسامح، وشذرات في التسامح والسلام, كما احتوى الكتاب مجموعة من القصائد التي تدور حول موضوعي التسامح والسلام، منها: لوحة السلام، أرض السلام، وكن آدماً، فوبيا، لجة احتضان، لو نبني جسراً، وأحب السلام. وتوجد في النهاية قصائد مترجمة عن السلام. وأول موضوع هو: عام التسامح والأخوة الإنسانية في فكر الشيخ زايد. ومن اللافت اختيار صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، شجرة (الغافِ) شعاراً لعامِ التسامحِ؛ لارتباطها بالموروثِ الشعبي والبيئي والأصالة الإماراتيةِ. وقدْ حدّدَ وزيرُ التسامحِ الشيخ نهيان بن مبارك في ندوةِ الفكرِ التي انعقدتْ في جامعةِ نيويورك أهم بنود التسامح، منها: أن التسامحُ يتطلب احترام التنوع والاختلاف في كل أشكاله، ويشجع على التعاطفَ، ويمكّن الأفراد من العيش وفقاً للقول التالي: «أحبَّ لأخيكَ ما تُحِبُ لنفسِكَ» والتسامح لا يتطلب قبول الظلم الاجتماعي أو التخلي عن قناعاته، لكي يُعزِّز التنمية الاجتماعية والاقتصادية ويرقى بالمجتمع المدني. من أهم المبادرات التي قامت بها دولة الإمارات: «إنشاءُ وزارةٍ للتسامحِ، وإطلاق البرنامج الوطني للتسامحِ، وتنظيم الملتقيات العالمية والوطنية حول التسامح، وتعزيز حوار الأديانِ وحوار الحضارات، ومكافحة التمييز والكراهية، وإطلاق المبادرات المختلفة لتعزيز الأخوة الإنسانية والعيش المشترك». وقد أقرّت دولة الإمارات قانون «مُكافَحَة التَّمْيِيز والكراهية»، وتلتزم بالعديدِ من الاتفاقيات الدولية

المعنية بالتسامح والتعايش ونبذ العنف والتطرف. وكتب الدكتور يوسف الحسن من الإمارات مقالاً بعنوان: ما بعد «وثيقة الأخوة الإنسانية» عن «المبادرة الإماراتية» لتعزيز ثقافة الحوار بين أتباع الديانات والمعتقدات المعتبرة وترسيخ مفاهيم التسامح واحترام التنوع الإنساني، والعيش المشترك بين الشعوب، واعتبار التنوع الثقافي والتعددية الدينية سنة كونية. لقد فتحت «وثيقة الأخوة الإنسانية» التي صدرت عن لقاء قداسة بابا الفاتيكان، والإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف صفحة جديدة من الحوار الإسلامي/ المسيحي بشكل خاص، والحوار بين أتباع كنائس مسيحية أخرى ومعتقدات معتبرة بشكل عام. وهو الحوار القائم على مبدأ (لتعارفوا) و(تعاونوا) على الخيرات والمسؤولية وعمارة الأرض، وحماية كرامة الإنسان. وتحت عنوان: (التسامح الثقافي) كتب الشاعر محمد عبدالله نور لدين (الإمارات) حول فئتين في المجتمع، هما فئة المثقفين، وفئة عامة الناس، فالإنسان مهما كان مستوى فهمه فإنه مثقف وجزء من الثقافة، لذلك يجب ألا نمارس فعل «الاغتيال الثقافي» على الآخرين بأي وجه من الوجوه. وأعطى مثالاً مهماً يتعلّق بالأطفال، فمن وجهة نظره الشخصية أنهم قد اغتيلوا ثقافياً من خلال التلقين الإجباري لأجل تعليمهم، ومن خلال منعهم من الإبداع الأدبي لكون مهارات الكتابة أو الفكر لم تنضج لديهم لصغر سنهم. وأكّد على أنه يجب أن يكون هناك تصالح ثقافي وتسامح بين الأجناس الأدبية؛ حيث يلاحظ أن الأجناس الأدبية الجديدة مثلاً كقصيدة النثر تجد حملات عدائية في الوسط الأدبي منذ عقود لإقصائها وعدم الاعتراف بها أووصفها دخيلة أو أجنبية، وهذا الأفق الضيق ظاهرة غير صحية، ولا تمثل أدنى قيم التسامح المطلوبة بين الأجناس الأدبية. من اللافت حديثه عن القصيدة التسامحية، فالقصيدة يجب أن تبدأ من التسامح الثقافي فمن الصعب أن يبني الشاعر غير المتشرّب قيم التسامح قصيدته التسامحية، لذا فإن من الأولى أن يتصالح ويتسامح الشاعر مع نفسه منذ البداية ليشدو بقصيدة ملأى بقيم التسامح؛ عندها يمكن أن تصنَّف قصيدته في أنها رسالة تسامح إلى المجتمع. القصيدة التسامحية تعتبر باباً واسعاً يستطيع الشاعر الولوج منه إلى آفاق الأدب الإنساني. أما الأديب الإماراتي عبد الله محمد السبب فقد كتب عن موضوع خاص بالإمارات وإظهار سعيها الحثيث نحو التسامح تحت عنوان: مساحات التسامح الإماراتي. فقد تحدَّث عن فكر رائد التسامح، صاحب السمو الشيخ (خليفة بن زايد آل نهيان)،

رئيس الدولة - حفظه الله، فقد كان عام 2019 عاماً للتسامح «إنَّ ترسيخ التسامح هو امتداد لنهج زايد، وهو قيمة أساسية في بناء المجتمعات واستقرار الدول وسعادة الشعوب.. وإن أهم ما يمكن أن نغرسه في شعبنا هو قيم وإرث زايد الإنساني، وتعميق مبدأ التسامح لدى أبنائنا». وانطلاقاً من مواد وبنود نص عليها دستور دولة الإمارات العربية المتحدة الذي تم التوقيع عليه من قبل حكام الإمارات في دبي 1971م ولا تمييز بين مواطني الاتحاد بسبب الأصل أو الموطن أو العقيدة الدينية أو المركز الاجتماعي. ويتمتع الأجانب في الاتحاد بالحقوق والحريات المقررة في المواثيق الدولية المرعية، أو في المعاهدات والاتفاقيات التي يكون الاتحاد طرَفاً فيها وعليهم الواجبات المقابلة لها.. ومروراً بشواهد حية وحيوية تؤكد مصداقية الدولة تجاه مبدأ التسامح واقعاً تطبيقياً. وفي عام 2012م، تمَّ افتتاح مركز التميز الدولي لمكافحة التطرف العنيف. والعمل على مكافحة التميز والكراهية، وإثراء ثقافة التسامح العالمي، ومواجهة مظاهر التميز والعنصرية. وأطلقت دولة الإمارات العربية المتحدة بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية مبادرة تفاعلية للتراسل الإلكتروني «مركز صواب».. بهدف دعم جهود التحالف الدولي في حربه ضد التطرف والإرهاب.

وفي عام 2016م أسست أول وزارة للتسامح في العالم، واعتمد مجلس الوزراء البرنامج الوطني للتسامح، بهدف إظهار الصورة الحقيقية للاعتدال، واحترام الآخر، ونشر قيم السلام والتعايش. وتم إطلاق المعهد الوطني للتسامح، متضمناً إطلاق جائزة تسمى جائزة محمد بن راشد آل مكتوم للتسامح. كذلك أطلق اسم مريم بنت عمران، عليها السلام. على مسجد الشيخ محمد بن زايد في منطقه المشرف.

وتحت عنوان (دور الشعر في السلام)، كتب الدكتور شهاب غانم (الإمارات) عن دور الشعر العربي في إعلاء قيم السلام ابتداء من الجاهلية، وذلك في معلقة زهير بن أبي سلمى عن الحرب التي دارت بين (داحس والغبراء)، وقد استمرت أربعين عاماً، ومات فيها من مات من أبناء القبيلتين.

وأخيراً قام هرم بن سنان والحارث بن عوف بإحلال السلام بينهما. وقد تحدث الشاعر المخضرم عمر بن معد يكرب عن الحرب وهو البطل الشهور في المعارك فقال:

الحرب أول مـــا تكـــون فتيـــــة
تسعـــى بزينتهـــا لكـــل جهـــــولِ
حتى إذا استعـــرت وشـــبّ ضرامهـــا
عـــادت عجـــــوزاً غـــير ذات خليـــل
شمطـــاءُ جـــــزّتْ رأسَهـــا وتنكـــرتْ
مكروهـــــةً للشـــــمّ والتقبيـــــــل

وتابع الدكتور (شهاب) والسلام من أسماء الله الحسنى والقرآن الكريم يقول في الآية 25 من سورة يونس: «وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». كذلك عرَّج على ذكر الحربين العالميتين في القرن العشرين اللتين حصدتا عشرات الملايين من الناس، فقد تناول الشعراء هذا الموضوع منهم مثلاً: الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي وبعض الشعراء الإنجليز «شعراء الحرب» الذين وصفوا مآسي الحرب وويلاتها. منهم ولفريد أون وروبرت بروك وسيجفريد ساسون.

وذكر د. شهاب ما قاله والده د. محمد عبده غانم - رحمه الله - عن الحرب العالمية الثانية التي عاصرها:

إنهـــا الهيجـــاء في عصـــر الترقي والتقـــدم
لم تعـــد كرا وفـــرا بل ديـــــارا تهـــــدم
وصغارا تهجـــر الأوطان والعيش المكرم
ونساء تلبس الصوف على الجسم المنعم
وتخوض الغارة الشعواء كالجند المنظـم
إنها الحرب وليـس الحرب إلا النـــار والدم

ومن القصائد التي تناولت موضوع السلام قصيدة لجة احتضان، وفوبيا، وللمغردين خارج الحب والسلام، وسلام على سلام.

وتضمَّن الجزء الأخير من الكتاب عدداً من المقطوعات الشعرية الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية ليظهر بذلك مساعي الشعراء النبيلة نحو السلام، منها: (العالم الذي أحلم به) لانجستون هيوز (1902 - 1967) ترجمة زكريا أحمد عيد (مصر) و(صناعة السلام) دينيس ليفرتوف (1932 - 1997) ترجمة د. أمل عايد الاحمدي (السعودية). وتضمن الملحق أسماء الأدباء والشعراء المنتسبين إلى منتدى الوثاب. الكتاب عن بانوراما تحمل أسس السلام وتنطلق من مبادئ أخلاقية راقية متجاوزاً كل الخلافات القائمة بين الشعوب وأهمها الخلافات الدينية ليثبت أن الهدف الأسمى في الوجود هو الإنسان وعلى الجميع تقديره واحترامه وصون كرامته ووجوده أينما كان ■

من اللافت اختيار صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، شجرة (الغاف) شعاراً لعام التسامح؛ لارتباطها بالموروث الشعبي والبيئي والأصالة الإماراتية

الحلم في التراث: الانشغال بالمستقبل

د. علاء الجابري
أستاذ الأدب العربي، مصر

دعك من هؤلاء الدجالين الذين تنتشر إعلاناتهم عبر فضائيات تجارية بامتياز، تزعم جلب الحبيب وفك السحر، وعلاج كذا وكذا، وغُضَّ الطرف عن كونه نوعاً من القفز إلى الغيب، واستعجالاً له، وإظهاراً لانشغال العقل الباطن بالمجهول، مثل هذه «التفسيرات» تستوي فيها البشرية على مدار تاريخها الممتد.

وفي كثير من الدول قد ترى انشغال الشباب بهواجسهم، حتى تقف أيام الامتحانات طوابير طويلة منهم أمام مدعين لمعرفة الغيب، يبيعون الوهم لشباب العالم الأول في القرن الواحد والعشرين، يقدمون لهم قليلاً من الطاقة الإيجابية ليس أكثر، ولا يبتعدون عن قارئي الودع في أماكن عربية متفرقة، يداعبون خيال الفتيات، ويرضون غرورهن بمدح جمالهن، وإن لم يوجد، ويغازلون ما يعلمونه عن اشباكاتهم مع الآخرين، ويؤكدون للـ«زبونة» أنها محل حسد، وغيرة من العالمين. حضر الحلم بكثافة في الموروث القديم، وفي بنية العقل العربي ذاته، بما هي شديدة الإيمان منذ القديم بأحلامها، حتى يعرض النبي إبراهيم ولده للذبح بعد رؤيا وقعت في منامه، صحيح أن رؤيا الأنبياء حق، ولكن النتيجة أن ترسخ لدى الوعي العربي منذ القديم تصديق الرؤى، ثم ازداد الأمر مع توكيد النبي - عليه السلام - أن الرؤيا الصادقة - كما جاء في الحديث الشريف -، جزءٌ من سبعين جزءاً من النبوة.

كان للأحلام حظوة في حياتهم فيذكرون التفات النبي (عليه السلام) ليواجه أصحابه بعد صلاة الفجر، من دون غيرها، ليسألهم عن أحلامهم، مهتماً بقطفها وتفسيرها مع أول ضوء، حتى تميز الحلم بخصيصة الحديث عن المستقبل بما يبعده عن مدارات تفسيرات أخرى لوقوع الحلم جنحت صوب الماضي.

يُعدُّ ابن سيرين علامةً بارزة على اهتمام المجتمع العربي ذاته بـ «أحلامه» منذ القديم، ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة حين نؤكد أن اهتمام ابن سيرين بالأحلام وتفسيرها أخذ طابعاً بنيوياً، على المعنى البسيط أو القريب للكلمة؛ فهو يبحث فيه عن البنية الكلية التي من الممكن أن تندرج تحتها أحلام كثيرة، ويجمعها سياق ما، أو علاقة متينة. أدرك ابن سيرين تشكل الأحلام من علامات وصور، تتدخل فيها بنية اللاوعي، ويذهب - قبل لاكان - إلى أن «بنية اللاوعي شبيهة ببنية اللغة».

الأحلام مجازات بامتياز، هكذا آمن أسلافنا فاحترز عمر بن الخطاب من حلم رأى فيه ديكاً ينقره نقرة أو نقرتين فآمن أنه مقتول على يد أحد الأعاجم. لم يكن ابن سيرين فردًا في تأليف كتاب يَخْلُص للأحلام والحديث عن «الحلم»، فقد حفل تاريخ الثقافة العربية بمؤلفات أخرى، لعل أبرزها «الروح» لابن القيم، واهتم ابن إسحاق بترجمة كتاب «تعبير الرؤيا».

ويعد هذا الاهتمام فرعًا عن تجذُّر أهميته في الثقافة القديمة، حتى كان ميلاد المصطفى وأسطرته في صورة حلم بخروج سلسلة ذهبية من ظهر والدته، وبحلم عمر بن الخطاب بصيغة الآذان ويطرحها قبله عبدالله بن زيد. ليست كل الأحلام أضغاثاً، حتى سورة يوسف التي جاء فيها «أضغاث أحلام» قامت على مجموعة أحلام، وهو شأن إنساني عام غير بعيد عن مسرحية منذ «أوديب» الذي كانت مأساته قائمة على حلم.

الأمر مختلف لدينا، ربما، في ارتباط الحلم بالمستقبل حتى ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالبشرى في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (يونس:64)، أي الحلم، وهو ذات المعنى الوارد في الحديث الشريف «لم يبق إلا المبشرات»، وعدّ منها «والرؤيا تأتي مثل فلق الصبح».

فهل يستقيم الأمر بآية واحدة تعتبر الأحلام «أضغاثاً» في مقابل عشرات الوقائع والأحاديث والأحداث تظهر اهتماماً طبيعياً بالحلم وتفسيره واعتباره جزءاً من تركيب بدهي للإنسان ■

رحيل الشاعر هادف الدرعي (1958 - 2021)

مريم النقبي

فقدت الساحة الشعرية والثقافية في دولة الإمارات العربية المتحدة مؤخراً الشاعر الكبير هادف الدرعي، الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى في الحادي والعشرين من شهر يوليو الماضي ثاني أيام عيد الأضحى المبارك بعد معاناة مع المرض. ويعتبر الشاعر هادف الدرعي أحد أبرز شعراء الإمارات الذين رفدوا ساحة الشعر في الإمارات على مدى أربعة عقود بأجمل وأعذب القصائد الصوتية والكتابية، ويعد من الشعراء الذين عايشوا جيلين من الشعراء، جيل الشعراء الرواد وشعراء الجيل اللاحق؛ فشاعرنا رحمه الله من مواليد سنة 1958، وكان من أبرز شعراء مجالس الشعر الشعبي في الإمارات، شارك بشلاته وقصائده في البرامج الشعبية التراثية، وشارك في العديد من الأمسيات والمهرجانات الشعرية في الإمارات والخليج .. وكان عضو لجنة التحكيم في برنامج (راعي الشلة) على قناة سما دبي، ولم ينقطع عن الشعر والمشاركات إلا في السنوات القليلة الماضية بعد مرضه. تميز رحمه الله بصوته العذب الشجي، وقدم الشلة الشعبية والطارج والونة بصوتٍ ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالتراث. حمل الشاعر الكبير هادف الدرعي بروحه السمحة وأخلاقه البدوية الأصيلة موروث الأجداد الأوائل، وجدد فيه حتى أصبح صاحب بصمة خاصة في الشعر الشعبي محلياً وخليجياً وعربياً.

هادف الدرعي

بو راشد

لمثل بو راشد تزين القوافي
وان قيل فيه الشعر له يفتح ابواب
تنساق له كل البيوت النظافي
تملا بها ديوان وتملّي كتاب
لانه على ماقيل رجل احترافي
من فكره النير صنع فن واعجاب
واضح ومتميز بفعلٍ انشافي
ومن المواهب جامعٍ كل ما طاب
قليل من مثله به الطيب وافي
لو بانعده ما حصيناه بحساب
له من جميع الناس كل اعترافي
شهمٍ يسوق المجد في كل مسحاب

ازعلي وانبساطي

ازعلي وانبساطي ما يهمك اكيد
واضحٍ من سؤالي ما يجينا ردود
لا تجامل وعندك الشوق بيد
خل جو الصراحه في سمانا يسود
للمحبه ملامح تتضح من بعيد
مثل زهرٍ تبسم في غصون الورود
ومثل شوقي لشوفك في غيابك يزيد
ياخيال بخيالي دايمٍ لك وجود

باسمك ابدا كلامي وباسمك ابدا القصيد
بس خافي بفوادي لا تحس الحسود
احبس هموم قلبي فوق جمرٍ وقيد
لان عندي غلاتك مثل روحي وزود
وش يخليك تفهم ونتي يا عنيد
وانت مرتاح سالي والمشاعر جمود
من بداية غرامي عندكم لاجديد
ليش ما به تقدم لو ببعض البنود

ليش تحكم

ليش تحكم وانت ما تعرف ظروفي
يا خساره فيك ظني يا خساره
مادريت انك الى هالحد عوفي
كنت احَسْبك من يفكر في قراره
وكنت اشوفك في المحبه كل شوفي
والامل لي طول عمري في انتظاره
خل علم الغيب لله امعروفي
لا تسيء الظن من قبل اختباره
قوم واسأل يوم ما تقدر تطوفي
بالسلام ولا تشرفنا بزياره
التكبر ليش يالمهر العسوفي
من تواضع عندنا زاد اعتباره
نجزي المعروف مثله بمعروفي
والوفا لو بالغلا نشري اعماره ■

عمار علي حسن :
فهم التراث وتفكيكه ضرورة

حوار - سعاد سعيد نوح

شاعر وروائي وقاص وباحث في علم الاجتماع السياسي، يؤمن بأن الشعر أصعب الفنون وأرقاها بعد الموسيقى، لكنه يرى أن الرواية قادرة على استيعاب خيال الشاعر وعقل الباحث، خاصة مع ما يسمى الآن بالرواية المعرفية.
في حوارنا التالي معه قال الباحث الدكتور عمار علي حسن إن التراثَ مصدر إلهام كبير لرواياته، وأكد ضرورة السعي لفهم تراثنا وتفكيكه ونزع القداسة المزعومة عن المنتج البشري فيه.

تنوعت تجربتك الإبداعية بين السرد الروائي والقصصي والشعر والبحث الأكاديمي والمقال السياسي، أي هذه الأجناس الأدبية يعبر عنك حقيقة وتميل إليه؟

الروائي بالطبع، لأن الرواية قادرة ببساطة على استيعاب هذين المجالين وأكثر، ففي سردي الروائي أخذت من الشعر مجازيته وجموح خياله ومفارقاته وجنونه، وأخذت من البحث تعميق التأمل والإحاطية والتدقيق، والقدرة على البناء أو صنع معمار الرواية، وضرورة الإقناع، وهناك روايات لي جمعت فيها بين الصوفية والتاريخ والأسطورة الدينية كانت بحاجة إلى بحث قبل الكتابة، حتى لو كانت الفكرة أقرب إلى خيال شاعر.

هل يؤثر البحث الأكاديمي على لغة الخطاب السردي؟

البحث الأكاديمي يحتاج إلى لغة خالية من المجاز أو مقتصدة فيه، وإلى تتابع يمضي وفق مسار برهنة، أما السرد الروائي فيشغله جمال اللغة، وقد يقدم أو يؤخر ويبعثر ويرتب الأحداث كيفما يشاء. لكن الرواية المعرفية أخذت كثيراً من البحث الأكاديمي، وهناك روائيون يضعون في نهاية بعض رواياتهم المراجع التي عادوا إليها في كتابتها، مثلما يفعل أورهان باموق التركي الحاصل على جائزة نوبل، وأمين معلوف يفعل هذا، ووجدنا المعرفة الفلسفية في رواية شهيرة هي «عالم صوفي»، وتفعل البولندية أولجا توكارتشوك الحاصلة على نوبل، وهي أكاديمية أيضًا، وظهر هذا جليًا في روايتها «رحلات» حتى أن حيثيات الجائزة وصفتها أنها كاتبة تصنع خيالًا سرديًا ينطق بموسوعية عابرة لأنواع المعارف.

بدأت تجربتك الإبداعية شاعرًا، لكنك اتجهت للسرد، وأخيرًا قررت أن تصدر ديوانًا شعريا، ما الذي أعادك إلى الشعر؟

هذا ديوان قديم، احتفظت به من دون نشر، وانتقلت إلى القصة ثم الرواية، وحين نقلته إلى الحاسوب، قمت بتنقيحه وتصحيحه، لكن حافظت على صورته السالفة إلى حد بعيد، وحين عرضته على أصدقاء، رجحوا نشره، ليس لأن قصائده قد راقت لهم فحسب، بل، وهذا هو الأهم لدى بعضهم، أنه جزء من مسيرتي الأدبية، من حق الناس أن يروها.

ما هو وضع الشعر الآن في تقديرك في «زمن الرواية»؟

لا أزال أؤمن بأن الشعر هو أصعب الفنون وأرقاها بعد الموسيقى، ورواج الرواية لا يعني أن الشعر قد مات، فهناك إبداع شعري

يستحق الانتباه والالتفات والاحتفاء، سواء كان عمودياً أم نثرياً أم تفعيلة, وسواء كان بالفصحى أم العامية.

يحتل التراث مكانة رئيسة في رواياتك وأبحاثك، ما أهم الروايات التي وظفت فيها عناصر التراث؟

وظفت التراث والتاريخ في أربع روايات هي «شجرة العابد» و«جبل الطير» و«خبيئة العارف» و«بيت السناري»، إلى جانب رواياتي الواقعية، وتلك التي تنتمي إلى الواقعية الروحانية أو السحرية.

ولماذا يعود الكتاب دوماً للتراث لاستلهامه؟

يحمل التراث مادة ملهمة، نظراً لوجود فجوات واسعة فيما وصلنا منه، نحتاج إلى ردمها من خلال إطلاق الخيال الإبداعي بلا حد، ونفعل هذا إما منجذبين إلى وقائع أثيرة، أو بحثاً عما نشاكس به الحاضر كي نفهمه بشكل أعمق، كما أن تنظيمات وتكوينات اجتماعية وسياسية وثقافية تعيش في زماننا لا تزال حبيسة هذا التراث، وبذا فإن فهمه وتفكيكه ونزع القداسة المزعومة عن المنتج البشري فيه، ضرورية للتعامل مع واقعنا المعيش.

قمت بتوظيف التراث الصوفي في أكثر من رواية «شجرة العابد . جبل الطير . خبيئة العارف» هل يتمكن التراث الصوفي أن يجيب عن أسئلة المستقبل؟

التراث الصوفي أو الروحاني بشكل عام لا زمن له، وهو صالح طالما بقيت الحياة على الأرض، بل أقول إن العالم بات في حاجة ماسة إليه الآن، بعد أن توحش العيش المادي وزاد الاغتراب.

في كتابك «مكان وسط الزحام» كتبت سيرتك الذاتية، لماذا الآن؟

لا أحد يضمن عمره عمومًا، وتزعزع اليقين في هذا أكثر في زمن كورونا. سبق لكثيرين أن كتبوا جوانب من حياتهم وهم صغار، طه حسين كتب «الأيام» قبل أن يبلغ الأربعين، والعقاد كتب «من وحي الأربعين» ثم «من وحي الخمسين» وأضاف إليها، وجمع هذا في كتاب «أنا»، ونجيب محفوظ فكر في كتابة «الأعوام» وهو في صباه متأثراً بطه حسين. وهناك أدباء ومفكرون كثر في العالم فعلوا هذا، لاسيما أن المكتوب لا تكون الحياة بتفاصيلها، إنما جانب منها، وأنا اخترت زاوية واحدة حملها العنوان الفرعي وهي «تجربة ذاتية في عبور الصعاب». وقد كتبت سيرتي هذه في وقت وجدت أنها الرد على من حاولوا تشويه صورتي في الإعلام، لاسباب سياسية معروفة، ليقدموني على أنني أعيش في برج عاجي مغترباً وأجهل ما فيه الناس.

هل تمكن البحث الأكاديمي والنقدي من دراسة مشروع عمار على حسن الروائي؟ أم هناك تقصير في متابعة مشروعك الروائي بحثياً؟

تأخر البحث في أعمالي ونقدها بعض الشيء، لكن في السنوات الأخيرة عوضني باحثون ونقاد عن هذا، فحاليا تعد عشرين أطروحة جامعية بين ماجستير ودكتوراه حول أدبي، داخل مصر وخارجها، بعضها نوقش بالفعل، وبعضها صار منشوراً أو على وشك، وبعض رواياتي وقصصي دخلت ضمن عينات في

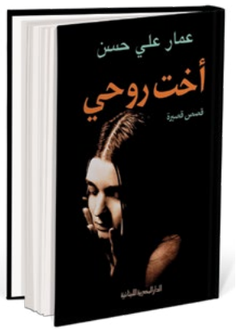

أطروحات أخرى. وهناك دراسات أعدها أعضاء هيئة تدريس جامعيون للترقي إلى درجة الأستاذية، وهناك مقالات ودراسات نقدية حرة، تواكب صدور أعمالي، وهناك ثلاثة كتب غير أكاديمية قيد النشر كتبها نقاد وكتاب.

باعتبارك باحثاً في علم الاجتماع هل يمكن للأدب أن يغير وعي المجتمع؟

الأدب يغير بشكل غير مباشر وببطء لكن برسوخ واقتدار، فهو يغير الأفراد، من خلال تعميق فهمهم لذواتهم ومجتمعاتهم والعالم، بما يمكنهم من التفكير في تغيير واقعهم، ثم العمل من أجل هذا فعلا.

أين يقف الأدب العربي برأيك مقارنة بالآداب العالمية الكبرى؟

الأدب العربي راسخ الأقدام، فالشعر والبلاغة القديمة لا يزال فيها ما يفيد ويدهش ويصلح للتداول والإفادة حتى الآن، إلى جانب السرد العجائبي وعلى رأسه «ألف ليلة وليلة» التي ألهمت الجميع، وكذلك المبالغات التي أحاطت بكرامات الأولياء والقديسين. وقد ضعف الأدب العربي في القرون التي كانت الآداب الأوروبية تتقدم، لاسيما في السرد، ثم لم يلبث أن نهضت آدابنا الحديثة، وصارت تقدم دوماً نماذج تطاول الآداب الأوروبية، وبعضها يتفوق على بعض كتابات غربية. لكن حاجز اللغة، وضعف الترجمة، أو انتقائها لأعمال تكرس الصور النمطية للعرب لدى الغرب، أو البحث عن روايات تصلح جزءاً من مساق علم الاجتماع لدراسة المجتمعات العربية ، واستسهال المترجمين للأعمال الضحلة أو المكتوبة بلغة مباشرة لا جمال فيها أو قليلة الجمال، ظلم كثيراً الأدب العربي.

بعد سنوات من فوزك بجائزة الشيخ زايد للآداب عن كتاب «التنشئة السياسية للطرق الصوفية في مصر» كيف تنظر إلى الجوائز الأدبية؟

الضيف في سطور

الدكتور عمار علي حسن، روائي وكاتب مصري تخرج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة سنة 1989. حاز الدكتوراه في العلوم السياسية سنة 2001. خبير في علم الاجتماع السياسي، وباحث مهتم بالدراسات عبر النوعية التي تعنى بعلاقة الظاهرة السياسية بالأنساق الدينية والاجتماعية والأدبية والقانونية. لديه أكثر من 21 مؤلفاً أدبياً بين قصة ورواية وشعر، وأكثر من 24 مؤلفاً بحثياً، تُرجمت نخبة من أعماله إلى لغات أجنبية، وحاز عدة جوائز منها جائزة الشيخ زايد جائزة للكتاب، فرع التنمية وبناء الدولة سنة 2010، وجائزة الدولة للتفوق في مصر سنة 2012.

الجوائز لا تصنع كاتبًا من عدم، ولا تمنح ضعيفاً قوة، إنما قد تساعد في إعطاء فرص، بتسليط الضوء على منتج معرفي أو أدبي لشخص، وعليه أن يثبت بعد ذلك أنه يستحق، وبعض الجوائز ذات القيمة المالية الكبيرة يعين مردودها الكاتب على أن يعطي وقتاً أطول للقراءة والكتابة. إننا نعرف بورخيس أكثر من عشرات ممن حصلوا على نوبل، وتأثير طه حسين في حياتنا أكبر من تأثير نجيب محفوظ، وتجربة غاندي أعظم من كل تجارب الذين حصلوا على نوبل في السلام ■

في دِينَاميّة النّقد ومساراته

رشيد الخديري
كاتب من المغرب

تختلفُ زوايا النّظر إلى الأدب من ناقدٍ لآخر، باختلاف الرّؤى والمرجعيات. تتّصل أيضاً بدرجة فهمهم للأدب ووظيفته ومركزيته. إن الأدب من جهة، يَتَعَيَّنُ بوصفه نسيجاً من الرّموز والعلامات والأشكال، وهو من جهةٍ ثانيةٍ، فعلاً إنسانيّاً يحملُ بين ثناياه، تأمّلات وانطباعات حول الحياة والنّاس والوجود والعالم. وتبعاً لذلك، فإن زوايا النّظر إليه، تستلهم كشوفاتها من هذه الرؤى والتّصوّرات. وحين نتوجّه إلى النّص الأدبيّ، فإن ذلك يعني، مناقشة بنياته وأنساقه ودلالاته، واستيعاب السيّاقات التي وردَ فيها والشروط التي أَسْهمتْ في إنتاجه. وإلا ظلّت مُقارباتنا قاصرة ورؤياتنا عاجزة عن تمثُّل حقيقته وحركيته وصيرورته.

حريٌّ التّنصيص هنا، وفي ضوءِ هذه المعطيات، أنّ النّص الأدبيّ يستحقُ التأمّل والبحث وعمق النّظرة، وإلا ستقتصر المقاربة على ما يعلو سطحه من اهتزازات، دونما تَعَمُّق وغوصٍ بين ثنايا المادّة الكتابيّة. وعليه، تكون القراءة قاصرة وعاجزة عن فكِّ رموزه واستبطان دُرَره وأسراره. الكتابة موقف. وهي أيضاً موقف مضاد، كذلك هي القراءة موقف ما.

لحظة التحام مع النّص الهادر والمهيب في الآن ذاته. ولستُ هنا أعني بالقراءة، تلك القراءة ذاتُ النزعة الايديولوجيّة، وإنّما، القراءة الفكرية التي تُسهمُ في بناء المعرفة، بما هي سيرورة وتطوُّر واستقصاء.

ولا بد من التّشديد ها هنا على الأهميّة القصوى التي تحظى بها قراءة الآخر.. مُقاربة الآخر وكيفيّات نهوضه بالتّجلّي النّصيّ وعوالمه السحيقة.. عينهُ التي ترى ما لا يراه الآخرون، ورؤيته الثاقبة والمسكونة بقلق المعرفة والسؤال.. فالآخر له زاوية نظر للأشياء وللوجود وللنّصيّات وللعالم وللتاريخ.. تختلف جوهريّاً عن رؤية الذّات، فهي رؤية مبنية على الانطباعيّة والذّوق والتّذاوت، وتبعاً لذلك، يبرز ذاك التّباين في مجال القراءة كشفاً وتقصيّاً واختلافاً.

في هذا السّياق، يكتب سعيد يقطين ما يلي: «تتعدد أشكال وأنواع التعامل مع النص الأدبي في إنجازاتنا العربية الحديثة. لا يعود سبب هذا التعدد إلى اختلاف وجهات النظر، وتنوعها بحسب التصورات المنطلق منها في معالجة النص الأدبي فقط، ولكنه يؤوب أيضاً، وأساساً، إلى طبيعة التعاطي مع النص الأدبي وفق أسس ومبادئ خاصة، بصورة واضحة حيناً، ومبهمة في أحايين أخرى (الفكر الأدبي العربي، ص: 168). إن أوّل هاجسٍ محددٍ في النّظر إلى العمل الأدبي، بحسب الباحث هو كيفية التّعامل مع النّص الأدبي، إذ يفرض ذلك توفّر مجموعة من الأسس والمبادئ التي على الناقد معرفتها ومعرفة كفايتها وأجرأتها، أيّ قراءة النص وفق تصوُّرٍ ونظرٍ ملائمين، وذلك أن أفق الاشتغال لا يتم إلا على أساس قاعدة صلبة نقدياً وفكرياً ومعرفياً وإجرائياً.

هناك فرق واضح بين قراءتنا (نحن) وقراءة الآخر، وسواء تمّت عن وعي أو بدون وعي، أو عن علم أو جهل، ففي البدء والمنتهى، تبقى قراءة مغايرة تماماً، ومختلفة في التّصور والمرجعيّة والمنطلقات. ويفترض في قراءة الآخر، مبدأين أساسين: أما الأوّل، فهو الالتزام المنهجي، فليس أيّ «دارس للأدب»، هو بالضرورة «ناقد أدبيّ»، بل، وَجَبَتِ قراءة النّص موضوع الاشتغال، بنوعٍ من المعرفة والاطلاع الواسع على ما استجدّ من نظريات في الأدب، وإلا سقطنا في التّعسف والارتجال والسذاجة. وأما المبدأ الثاني، فهو المرونة الإجرائيّة، ولا نعني به التّحرر كليّاً من إسار الالتزام الذي أشرنا إليه آنفاً، وإنّما التّفاعل مع النّص وفقَ ما يسمح به السيّاق، من دون ليٍّ لعنقِ النّص وتحميله ما لا يُطاق. هكذا، فإن الصورة القابلة للتبلور والتّطور حول قراءة الآخر، تُسهم في فتح منافذ للقراءة والتفسير والتأويل وفق مبدأ (التّكامل المعرفي). وهو مسعى لا يناظره من حيث عمق النّظرة والكفاية الإجرائية والرؤية النقدية سوى من يمتلك معرفةً شاملةً وحافزيّة تؤهلانه باقتدار ليقوم بهذا الدّور وينهضُ بعمليّة النقد ■

مركز جمال بن حويرب للدراسات

صون تراث الإمارات والخليج العربي

إعداد - حجاج سلامة

يقول فلاح محمد الأحبابي، رئيس نادي تراث الإمارات، إن دولة الامارات العربية المتحدة، نجحت في إبقاء جذوة التراث مشتعلة في قلوب الأبناء.. وانتقت بمهارة من لآلىء الأجداد ومنجزهم المادي والمعنوي الأصيل، ما يُزين وجه حضارتها المعاصرة، ويكون وقود بناء، وشارة هوية مميزة.

ويشير «الأحبابي» إلى أنه - ومن هذا المنطلق، اهتمت المؤسسات المعنية بالتراث بالحرف والصناعات التقليدية، وهي مفردات تراثية شديدة الحساسية - بحسب قوله - مارسها الناس من باب تلبية حوائجهم، وسقط منها بمرور الزمن ما سقط، وأصبح عسيراً على دول وحضارات استعادة ملامح ماضيها، من تلك الحرف والصناعات إلا تنظيراً.. وان دولة الإمارات انتبهت الى أهمية هذا العنصر في لحظة مبكرة.

في ذلك الإطار الذي أوجزته كلمات الأحبابي، يأتي إنشاء مركز جمال بن حويرب للدراسات، والمتخصص في التراث والتاريخ ودراسات الخيول العربية، كإحدى المؤسسات الإماراتية الفاعلة في مجال حماية وصون التراث، وربطه بالحاضر، وتوظيفه بشكل يسهم في ربط الأجيال الجديدة من الناشئة والشباب بتراث وطنهم، بجانب جعل ذلك التراث جزءً لا يتجزأ من الهوية الوطنية الإماراتية، والمركز هو واحد من تلك المشاريع والمبادرات والمساهمات الخاصة التي أطلقتها شخصيات إماراتية جعلت التراث وصونه والحفاظ عليه نصب أعينها وأولته جزءاً كبيراً من اهتماماتها.

تأسس مركز الدكتور جمال بن حويرب للدراسات المعنية بالتراث والخيول، في دبي عام 2010، وذلك بهدف «توثيق تاريخ المنطقة والخليج العربي، وليؤسس لحاضر ومستقبل مبنيين على فهم صحيح لحضارتنا وشعوبنا وتراثنا الزاخم بالإنجازات».. وذلك «استناداً إلى مخطوطات وأدلة أصلية، بداية عبر دراسات شاملة تنشر دورياً في موقع المركز الرئيس وهو أحد أكبر المواقع الموثوقة والذي يضم العديد من الدراسات والمؤلفات في اللغة والتاريخ والتراث، بجانب العديد من الإصدارات الورقية ثم إصدار المجلة الخاصة في المركز إضافة إلى الندوات الحوارية والمحاضرات والاجتماعات الفكرية التي تعقد كل أسبوعين في المركز».

كما يهتم المركز بترجمة الكثير من الدراسات والمقالات المعنية بالتراث الإماراتي والخليجي والعربي لتمكين الباحثين الأجانب من التعرف على ذلك التراث، وذلك من خلال ترجمة 10% من مجلة مدارات ونقوش، في المركز باللغة الإنجليزية، وينضم للمركز الكثير من المهتمين بموروثنا وهويتنا الوطنية من غير الناطقين باللغة العربية.

ويصف الدكتور جمال بن حويرب، في أحاديثه المتعددة عن تلك التجربة، عملية تأسيس المركز بأنها «مسؤولية ضخمة ومكلفة، لافتاً إلى أن المراكز البحثية والثقافية وتوثيق التاريخ وأنه يجب أن يكون لها دعم وركيزة لتقديم المزيد من الإنجازات، وأشار إلى أنه لا يقصد دعم الحكومات فحسب، فالحكومات تقدم دعماً كبيراً للمراكز الثقافية والأدبية، ولكنه يشير - هنا - لدعم التجار وأصحاب المشاريع» وذلك أسوة بالمجتمعات الأوروبية والأمريكية، حيث يقدم التجار هناك دعماً ومنحاً وتأسيساً لمكتبات وبناءً لمستشفيات داخل مجتمعاتهم، فنحن بحاجة لوعي كافٍ، ومسؤولية هؤلاء التجار لدعم وبناء أوطانهم. ويؤكد «بن حويرب» على أنه يشعر بالرضا الشخصي والمسؤولية في مواصلة هذه الجهود التي تحفظ تاريخنا وتمدّد جسور التواصل بين الأجيال للحفاظ على هويتنا وتراثنا وأفكارنا الأصيلة».. وأنه في إطار ذلك حرص على إنشاء مكتبة خاصة كبيرة داخل المركز تضم العديد من الإصدارات الموثقة التي تضم مخطوطات وكتباً نادرة لموروثنا الثقافي لترسيخه للأجيال القادمة، والشباب والمهتمين والباحثين في هذه المجالات.

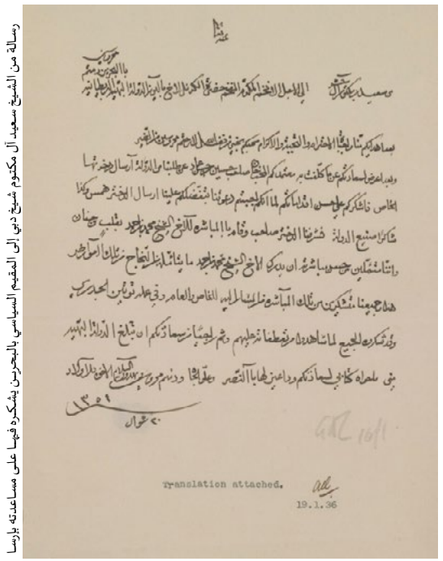
Translation attached.
19.1.36

رسالة من الشيخ سعيد آل مكتوم شيخ دبي الى الحكيم السياسي بالبحرين يشكره فيها على مساعدته بارسا

ويطالب «بن حويرب» الأجيال الشابة بالاهتمام بتوثيق قصص وروايات أجدادهم، والاحتفاظ بها مع مكتبة صورهم الخاصية وما يحتفظون به من المرئيات المصورة والبطاقات القديمة، وأن يهتموا بجمع تاريخهم وحفظ كل ما يتعلق بإرثهم الاجتماعي والثقافي.

والدكتور جمال بن حويرب، أحد الوجوه الثقافية الإماراتية المعروفة، وله العديد من المؤلفات منها «المجد» و«أيادي سبأ» و«نقوش على جدران الحياة» و«الفاتنة» و«مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان الأموي» و«تنبيه الغافلين».

وللدكتور جمال بن حويرب كتاب يحمل عنوان «يوميات جمال بن حويرب».. وتتنوع الموضوعات التي يتناولها هذا الكتاب ما بين معاناة الإنسان العربي وطموحاته، من التربية والتعليم إلى هموم البطالة، ومن الصحة إلى الشعر والنقد الأدبي، ومن التاريخ إلى الشبكات الاجتماعية والتراجم والفن وغيرها الكثير خطها قلم المؤلف في مائة وعشرين مقالة رشيقة اللغة، لماحة الرؤيا، تجذب القارئ وتمتعه من جهة وتثير لديه من جهة أخرى مخاوف وتساؤلات من النوع الذي يحرض الفكر ويثير الخيال ويطلق العنان للعقل. وقد قام بتوثيق سيرة العشرات من الشخصيات في دولة الإمارات، وبلدان الخليج، والوطن العربي، من خلال مواسم عدة لبرنامج «الراوي». يُذكر أن دولة الإمارات تزخر بإرث عربي وإسلامي كبير، نراه في عادات وتقاليد وسلوكيات شعبها، والآثار

الإسلامية والعربية، التي بقيت شاهدة على تاريخ الدولة. أقامت دولة الإمارات المتاحف والفعاليات الثقافية للحفاظ على هذا الإرث للأجيال القادمة. تعرف في هذه الصفحة على ملامح التاريخ الإسلامي والعربي، وجهود الدولة للحفاظ عليه.

ويعكس التراث الإماراتي في كافة التقاليد الموروثة الخاصة بنمط الحياة الاجتماعية، وثقافة الطعام، والزواج، والطقوس الدينية، والحرف اليدوية، والفنون الشعبية، ومرافقها المتعددة التي تجسد تاريخ المنطقة مثل القلاع، والحصون، والمساجد، ومرافئ الصيد، وأسواق السمك، وأرصفة بناء القوارب، ومراكز تدريب الصقور، وأسواق الذهب، وأسواق.

وتحرص الدولة، والدوائر الثقافية في حماية التراث وتقديمه للأجيال الجديدة، وذلك عبر تأسيس الكثير من المراكز والمؤسسات المعنية بالتراث الإماراتي، مثل نادي تراث الإمارات، ومعهد الشارقة للتراث، بجانب الجهود التي تُبذل في ذلك الإطار داخل الجامعات الإماراتية، مع ثراء المكتبة الإماراتية بالكثير من الكتب والمراجع والمخطوطات التراثية.. إضافة إلى تفرد الإمارات بالكثير من الدوريات المعنية بالتراث الوطني للدولة، وتراث العرب والمسلمين، ومن تلك الدوريات تبرز مجلة تراث، ومجلة مراود، ومجلة الموروث، بجانب الدوريات التي تصدرها المراكز التراثية الخاصة، مثل مركز جمعة الماجد، ومركز جمال بن حويرب ■

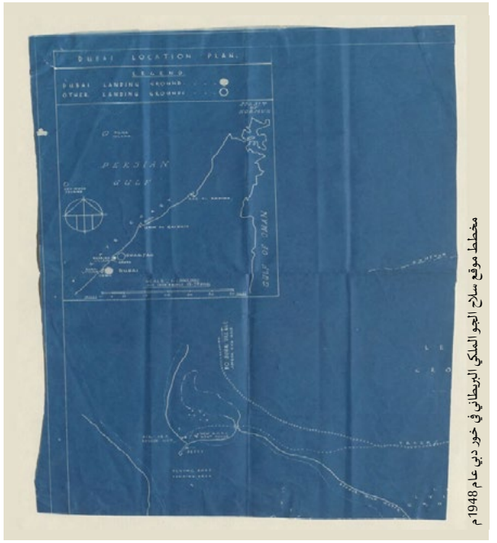

مخطط موقع ميناء الجو الملكي البريطاني في خور دبي عام 1948م

قبل منتصف الحلم بقليل..

هاني عويد
شاعر وكاتب - مصر

لفترةٍ طويلة اعتدتُ النومَ على كنبةٍ مقابلة لشاشة التلفزيون، ميزتها الوحيدة أن الكوابيس ترعى تحتها! لم تفلح محاولات الإمساك بأحدهم، حتى تأقلمت مع جحيم موتي المستمر قبل منتصف الحلم بقليل. كان يمكن تغيير مكاني، لكني وجدتُ ضالتي؛ أو هكذا أضع معنىً للسياق! وليس المقصود استمرار معاناتي الأبدية، بقدر استنفاد طاقة النزاع..

ذلك الصراع بدأ خفيفًا مع الشروع في نقلة الحياة من وضعية السكون لمدينة لا تنام، وبشر آخرين. صغيرًا أتعلم، أجاري الكون، أقفُ على مسرحي الوجودي لأحدثكم عن مدينتي الفاضلة، كنت بارعًا في مجالاتي التي اختبرتُ قدراتي فيها، اكتسبت رضا الجميع، وأنا أمضي فرحًا بينهم أعمّر الأرض، وأجني ثمار الأمل.

ذلك الكابوس الأول لم يجعلني مقيدًا بقدر ما كانت لشجاعتي عظيم الأثر في التصدى لضربات المدافع من العدو الذي هاجم قريتي، لحظتها كنت عصفورًا أرفرف على غصن شجرة، أعرف الطريق جيدًا وأنا أتحوّل مثل بطل هوليوودي خارق في كامل العتاد، وأعود طيرًا مثلما كنت! حاصرتُ مدرعاتهم وجنودهم، احتفظت بالطلقات التي أصابتني في خزانة مكتبي، لم أتأثر بها،

قاومتُ واستحققت النياشين والأوسمة التي زيّنت صورتي. لم ينل ذلك العدو من منطقتي، ربما بعض مرات تسلل، وعند انتباهي كانوا يفرون للصحراء التي أتوا منها.

في المراتِ التالية أُصبتُ بتيبّس الأطراف، بعدما اختلفَ العدو، وأصبحَ من الوجوهِ المألوفةِ، يبدأ النوم مثل قطفة قطن بيضاء كبرت في بهاء الشمس، وفتحت عالمًا للجمال، أرقص وأغني، أحقق ما يعجز عنه الكثيرون، ثم تقلّ الحركة كأنَّ مُخدرًا يسري في الوريد، تتوقف يدي عن محاولات الإطاحة بجوانب السجن الذي بُنيَت أسواره حولي وارتفع فجأة، أجازفُ بقدمي ولا حيلة في النهوض من جديد، كان للدغات العقارب والثعابين التي أحاطتني أثر واضح في صعوبة التنفس، لكنها لم تفقدني المقاومة، أغمضتُ عيني، صِحتُ، لم يكد يخرج من حلقي الصياح لفترات طويلة. ولإغماضة عيني هذه سفر كبير - سوف أسردها فيما بعد -. اختلفت الطرقُ في الإطاحة بي، حتى انتقلتُ من كنبتي المفضلة للطابق العلوي، وتبدلت حياتي جذريًا، خفَّ النهوض من النوم لأخذ جرعات كبيرة من الأوكسجين ومن ثمَّ العودة لعدوٍ آخر، ونهاية غير التي نصّ عليها السيناريو الأول!

تقترب الكوابيس في نوبات متفاوتة، ولسابق خبرتي المكتسبة بالقلق والإرهاق، قاومتُ للخروجَ بأقل الخسائر، وتدوينها مثل تعويذة درءًا للحيرة في قابل الأيام. كأنما أعود من حربٍ غير معلنة، وغير مدركة أهدافها! متى قلَّ الضغط النفسي حلمتُ بمدينتي الفاضلة بلا سجون مثل التي تُقام في النوم - أقصد الجحيم -، وبأناس لا تنشب الغربة أظافرها في قلوبهم قبلما تخط تعاريجها في وجوههم ■

ابن سينا وإسهاماته الطبِّية والموسيقية

د. نورة صابر المزروعي
أكاديمية من الإمارات

ولد في قرية أفشنة (الواقعة في أوزبكستان حالياً) قرب بخارى عام 980، لأبٍ من بلخ (الواقعة في أفغانستان حالياً)، وحفظ القرآن في العاشرة من عمره، وتعلم الدين والفقه والشريعة، كما حفظ آلاف القصائد الأدبية باللغتين العربية والفارسية. كان أبوه والياً على مدينة سامان (الواقعة في إيران حالياً)، وبحكم منصبه، اجتمع الناس في داره، فاستمع وتعلم منهم الكثير من الأحاديث والمناظرات التي كانت تُعقد وقتها، ما دفعه إلى البحث والتمحيص. إنه العالم الطبّيب «أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا». وتمكن «ابن سينا» من الفهم والتدريس والمعالجة باستخدام علوم الطبّ والفلسفة والشريعة في سنٍّ مبكرة، وذكرت الكتب التاريخية أن الأسرة الحاكمة في بخارى، أعطت له امتياز استخدام المكتبات الملكية الخاصة بالأسرة، والتي تُعد من أهم مكتبات في ذلك العصر، ومُنح ذلك لقدرته على مداواة سلطان بخارى من مرض عضال عجز أطباء وحكماء زمانه عن علاجه. وهو ما أفاده كثيراً الاطلاع على كافة الكتب والمراجع العلمية في تلك المكتبة. وقَّسم أوقاته بين العمل في قصر السلطان صباحًا، وبالبحث والاستشكاف في الكتب ليلاً؛ وصار نابغة في كثير من العلوم منها الفلسفة، والفلك، والطبّ، والرياضيات، الفيزياء والموسيقى. وعلى إثر ذلك عُيّن وزيراً للأمير شمس الدين البويهي في همذان، لكنه بعد وفاة الأمير، رحل إلى العديد من المدن ومنها خراسان، خوارزم، وجرجان وأصفهان، استكمالاً لأبحاثه التي انتهت بتأليف أعظم كتابيه القيمين «القانون في الطبّ» وكتاب «الشفاء». واحتوى كتاب «القانون في الطبّ» كافة المعلومات المتداوله في عصره عن الطبّ، مضافًا إليها ملاحظاته الشخصية وخبراته وتجاربه ومعارفه التي توصل إليها أثناء رحلاته. اشتهر «ابن سينا» في العالم الغربي باسم اللاتيني «Avicenna»، واعتبره علماء أوروبا أشهر علماء الإسلام في الطبّ، حتى لُقِّبَ بـ«أبو الطبّ» لانجازاته العظيمة. ويُعدُ من أوائل الأطباء الذين أكدوا في تجاربهم أن الأمراض العضوية أصل منبتها أعراض نفسية، فقد شخَّص الأطباء في زمانه العِلل دون فهم أو ربط بالأحوال النفس البشرية. ونذكر مثالاً يوضح كيف استطاع «ابن سينا» معالجة المريض نفسيًّا وسحب الآلام العضوية، وذلك حين سافر إلى جرجان، وتزامن سفره إصابة أحد أقرباء أمير جرجان بمرض أوشك على موته، إذ امتنع عن التحدث وأضرب عن الطعام فترة طويلة، وكادت نفسه أن تهلك، فتمَّ استدعاء «ابن سينا» لمعالجته، واستشف أنَّ علة المريض نفسية. وخلال التشخيص أمسك يدَّ المريض، وبدأ فحص حالته وتطورها، وراح يذكر بعض الأسماء والأماكن، ويراقب تأثيرها على دقات قلب المريض مراقبة حثيثة، ليصل إلى العلة النفسية التي تسببت في مرضه العضوي، ذكر «ابن سينا» أسماء شوارع مدينة جرجان التي كان يقطن فيها المريض، وعندما وصل إلى اسم شارع «الميمون»، ازدادت دقات قلب المريض، ثُمَّ ذكر أسماء البيوت التي تردد عليها المريض في شارع الميمون، وحين وصل إلى بيت أولاد (الشيخ علي)، تزايدت دقات قلبه وارتفعت ترددات جسده وطاقته بشكل ملحوظ، فأدرك أن ما أصاب المريض أمرٌ يتعلق بأولاد (الشيخ علي)، فحين ذكر اسمي بنتيه أميرة وسهاد، تسارعت دقات قلب المريض خاصة مع ذكر اسم «سهاد»، فسأل «ابن سينا» عن علاقة المريض بالفتاة؟ وعَلِمَ أنه تقدم لخطبتها لكن والده اعترض، وهنا أدرك العلة النفسية للمريض، وأقرَّ أنه لن يشفى إلا بالزواج من تلك الفتاة، فوافق الأبّ. وتُذكر تلك الحادثة ضمن الكثير من الحوادث التي تعرض لها «ابن سينا» بالبحث عن الأسباب النفسية

ابن سينا

لمعالجة المريض بدنيا، وهو ما يندرج في العصر الحديث تحت مفهوم «علم النفس» و«الطبّ النفسي» الذي يعالج الأعراض السيكولوجية والنفسية للمرضى، وهو ما يجعله رائداً في زمانه في مجال طبّ النفس وأحوالها وتكوينها ومتطلباتها، وهو ما انفرد به وتميز عن سائر الأطباء في طرق علاجه. وتجدر الإشارة كذلك إلى العلاقة بين علم الطبّ والموسيقى؛ فقد شاع في القرن الثامن عشر عبارة تقول: إن «الطبّيب الجيد يمكن أن ينقذ روحاً واحدة في كل مرة يبدع فيها في عمله، أما الموسيقار الموهوب فيمكن أن ينقذ آلاف الأرواح بلمسات أنامله في كل مرة يعزف فيها». فالطبّ والموسيقى عالمان يبحثان عن حقيقة الوجود ويمسان مشاعر البشر، ويقتربان من لحظات المعاناة التي تغوص في أعماقنا الدفينة ويحاولان تخفيف الألم. ولعل ذلك ما دفع علماء مسلمين ومن بينهم «ابن سينا» إلى التفكير في توظيف الموسيقى في المجال الطبّي، ومن بين هؤلاء العلماء المسلمين الذين جمعوا بين ثنائية الطبّ النفسي والموسيقى؛ الرازي (854 - 932)، والفارابي (870 - 950)، وابن سينا (980 - 1037)، والكندي، ووضعوا أسس ومبادئ علمية تتعلق بالعلاج الموسيقي للأمراض النفسية والعقلية (المالنخوليا والهذيان والخوف، القلق والتوتر، الاكتئاب).

وتُشير بعض المصادر إلى أنَّ الفارابي والكندي وابن سينا، تعلموا العزف على الآلات الموسيقية كآلة (العود والقانون والناي). كانت الموسيقى واحدة من مجالات الإبداع، وإحدى علامات تفرد وعبقرية «ابن سينا»، وهو ما جعله يُفرد لها مجلداً ضمن «كتاب الشفاء»، عُرف باسم (جوامع علم الموسيقى)، ووصف في مؤلفاته الموسيقية كيف تتولد النغمات عبر اهتزازات الأوتار، وتأثير ذلك على نفسية الإنسان، إذ قام بدرس تشريحها وكيفية التقاطها للنغمات عبر ذبذبات الصوت. كما استخدم الموسيقى لعلاج الأمراض العقلية والنفسية، وأوصى بالغناء والعزف لتسكين الروح ولمعالجة الأرق والاكتئاب والتوتر النفسي. وقال: «خير تمارين العافية الغناء».

ويقول في أثر الموسيقى على النفس البشرية: «فيكون ما يعرض في الصوت من زيارته للنفس بغتة، ثُمَّ وداعه إيَّاها فجأة، ثُمَّ تداركه وحشة الوداع ببهجة الرجوع على هَيئة حبيبة إلى النفس، أعني النظام، أجلّ الملذات النفسية». ويُذكر لـ«ابن سينا» في «كتاب الشفاء» اهتماماته الموسيقية؛ إذ اعتبر الموسيقى علماً من علوم الرياضيات يتعلَّق بنسب الأبعاد الموسيقية، ولذلك يُعرِّف الموسيقى إنها: «علمٌ رياضي يُبحث فيه عن أحوال النغم من حيث تآلف وتنافر، وأحوال الأزمنة المتخلِّلة بينها ليَعلم كيف يُؤلَّف اللحن». وأضاف إنَّ علم الموسيقى يشتمل على بحثين: الأول؛ البحث عن أحوال النغم أنفسها، وهو يختص بالتأليف الموسيقي. والآخر البحث عن أحوال الأزمنة وهو يختص بالإيقاع. وركز كتاب الشفاء (جوامع علم الموسيقى) على دراسة الآلات الموسيقية وقسّمها حسب أوتارها وشرح تركيبتها وأبعادها، ومن بين الآلات الموسيقية التي ركز عليها، آلتي العود والطنبور.

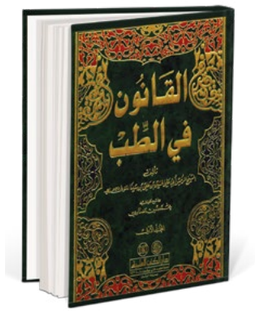

ويقسم «ابن سينا» الموسيقى إلى نوعين: طبيعية وصناعية. الطبّيعية؛ هي الصوت الإنسان أو الحيواني الذي يعبر به عمَّا يجول في خواطره، فهي هنا لغة تعبيرية تعتمد على الصوت والنغم، ويسكن الحيوان والإنسان إليها عند الحزن والألم. بينما الصناعية؛ هي محاكاةٌ للطبيعة وتقليد، وتعتمد على التأليف المتناسب والنظام المتفق مما يهز النفس ويمنح المرء لذّةً يحسها عند سماع اللآلات الموسيقية، ناتجة عن التآلف الصوتي. ويصنف كذلك الإيقاع إلى قسمين: أحدهما الموصَّل (الهزج)؛ وهو أن تتوالى نقراته على أزمنةٍ متساوية. والآخر المفصَّل؛ وهو الذي لا يكون كذلك، بل تكون عدة نقرات منه منفصله عن أُخَرى.

ختامًا؛ يمكن القول إن «ابن سينا» كانت له مكانه علمية وأدبية ثرية بين العلماء والباحثين في الشرق والغرب على مرّ العصور، بسبب عبقريته الفذّة وإنجازاته متعددة المجالات التي استفاد منها العالم، فقد قال عنه المؤرخ البلجيكي جورج ساتون: «إن ابن سينا ظاهرة فكرية عظيمة ربما لا نجد من يعادله في ذكائه ونتاجه الفكري الذي يعد مرجعاً في الفلسفة في القرون الوسط» ■

تراث الإمارات التربوي من خلال الكتاتيب

الزبير مهداد

كان الموقع الاستراتيجي للإمارات العربية المتحدة، عامل جذب، استقطب السكان الذين استقروا فيه منذ عصور قديمة، مستفيدين مما تتيحه أرضها وموقها وبحرها من خيرات وفرص العيش. كما إن تمتع سكان الإمارات بالقدرة على تحمل الظروف المناخية ومواجهة الصعاب، وثقافة التضامن والتآزر التي نشأوا عليها، جعلت حياتهم ممكنة وطيبة على الرغم من الظروف المناخية القاسية.

ورغبة في الحفاظ على الهيكل الاجتماعي، وعلى هويتهم الثقافية والدينية، وعناية بالتنشئة الاجتماعية لأبنائهم، اهتموا بتعليم الصبيان وأنشأوا لذلك مؤسسات اجتماعية وأوكلوا إليها هذه المهام السامية. كان الآباء في المجتمع الإماراتي منشغلين في طلب لقمة العيش، بالغوص في مياه البحر لالتقاط اللؤلؤ، أو بركوب البحار للتجارة أو الصيد، الأمر الذي كان يضطرهم إلى التغيب عن المنزل لأيام متواصلة، فكانت مسؤولية تدبير المنزل ورعاية الأطفال تقع على الأم، فعندما يبلغ سن الصبيان ست سنوات أو أكثر، كانت الأمهات تتولين تسجيلهم للدراسة على يد

أحد المطاوعة في «الفريج». وكان الأطفال الصغار ذكوراً وإناثاً يجلسون في حلقة العلم الواحدة. ولعل «الكتاب» كان المؤسسة الوحيدة لتعليم الصبيان في منطقة الخليج العربي، انتشر في الواحات ومزارع النخيل، وفي التجمعات السكانية الساحلية، وفي ظل غياب مؤسسات أخرى منافسة، اكتسبت «الكتاتيب» أهمية اجتماعية كبرى، وحظي أصحابها بتقدير اجتماعي خاص. وغدت تشكل مكوناً مهماً من مكونات البيئة الاجتماعية الخليجية. فعلى الرغم من بساطة التعليم فيها، فقد حظيت بالقبول وعرفت انتشاراً واسعاً في أنحاء البلاد، واستقطبت الصبيان ذكوراً وإناثاً، وأدت وظيفتها خير أداء، في حفظ الهوية الثقافية والدينية للخليج العربي الذي كان يواجه تحديات وأسباباً كثيرة تهدد هذه الهوية بالزوال والذوبان.

«الكتاب»

كانت «الكتاتيب» تقام في كل حي مأهول، تؤدي وظيفتها التربوية التعليمية بإدارة «المطوع» الذي يعهد إليه بتلقين صبيان «الفريج» سور القرآن، ومبادئ الدين، ومهارات القراءة والكتابة والحساب. وكانت تقام في منزل «المطوع» أو أحياناً بجوار المساجد، أو في فنائها الخارجي، وإذا تعذر يقيمها المطوع في الأماكن الرحبة خارج «الفريج». وأحياناً كان المكان يتغير بتغير الفصول، ففي الصيف يقام المكتب تحت الشجر في الباحة، أو في عريش للاحتماء بالظل من حرارة الشمس، وفي الشتاء كان المكتب يقام في الخيمة.

تجهيزه

لم تكن إقامة «الكتاب» مكلفة مالياً، فهذه المؤسسة تتكيف بحسب ظروف الوسط الذي تنشأ فيه. فهو لا يحتاج تجهيزاً غالياً. فالفضاء عبارة عن غرفة عادية، أو خيمة أو عريش من قصب وسعف النخيل، أو فضاء عار، كان الصبيان يجلسون على الأرض، أو حصير رخيص يتخذ من سعف النخيل، يجلس عليه المطوع أيضاً.

أما الأدوات المستعملة، فهي بسيطة:

أقلام الكتابة، منها قلم الريش، وقلم القصب الذي كان يصنعه المتعلم بنفسه، بتحديد سمك الخط ودرجة ميله؛ ومحبرة، تحوي حبر الكتابة الذي يصنعه المتعلمون أيضاً؛ ولوح الكتابة، يتخذ من خشب أبيض مصقول تكتب عليها النصوص المطلوب حفظها؛ وأجزاء من القرآن، (الجزور) الجزء الذي يحتوي على سورتين أو سورة من القرآن الكريم؛ وكرسي الكتب، يطلق عليه لفظ «مرفع» وهو مسند يوضع عليه المصحف المفتوح حماية له من التمزق خلال القراءة أو النسخ منه، كان يتخذه العامة من علبة الصفيح التي يباع فيها الكيروسين، يحصلون عليها من البقالات، بعد معالجتها بالنار لإزالة آثار ما كان فيها، وإعادة تشكيلها لتناسب وظيفتها الجديدة، كما كان يصنع المرفع من خوص النخل، أما الأغنياء فكانوا يستعملون مرافع أنيقة وغالية من خشب الساي مستوردة من الهند أو إيران.

إلى جانب أدوات التأديب التي يتسلح بها المطوع لتأديب الصبيان، كالعصا؛ و«الفلقة» وهي أداة من الخشب فيها خروق كل خرق على قدر سعة الساق، يدخل فيها أرجل الصبي المذنب الذي يستلقي على الأرض لضربه على بطن القدم.

«المطوع»

الذي يتولى تعليم الصبيان في «الكتاب» يسمى «المطوع»، أكسبته ثقافته الدينية وحفظه القرآن، ووظيفته التعليمية الاجتماعية مكانة بارزة في المجتمع. فوظيفته تتداخل فيها

مهام المعلم، والداعية، والمربي، في آن. ولم يكن المطوعون على مستوى واحد من المكانة الاجتماعية، فهناك نوعان من المطوعين:

«المطوع» الذي كان يعلم الطلاب شيئًا من القراءة والكتابة، وتلاوة القرآن الكريم، وأصول الدين، وبعض مبادئ الحساب.

و«شيخ علم» وهو المطوع الذي يعرف المسائل الفقهية، ويستطيع إمامة الناس في المسجد، وإجراء العقود كعقود الزواج، وهذه المهام أكسبته مكانة اجتماعية محترمة.

ولم يقتصر عمل «المطاوعة» على الرجال، فكانت هناك «مطاوعة» من النساء أيضاً، وكانت «المطوعة» تقوم بالمهمة نفسها التي يقوم بها «المطوع».

أجرته

كان المطوع متفرغاً لهذه المهنة؛ فهو يزاولها صباحًا ومساءً، مقابل ما تقدمه له كل أسرة بقدر استطاعتها.

لم يكن الأجر محدداً، فكان يعتمد على الحالة المالية لأسرة المتعلم. ويبدو أن أحواله المالية كانت جيدة، فقد كان الأهالي يحيطونه بالرعاية، وينفحونه بالعطايا، والمال مقابل ما يؤديه من خدمة، فكان يتلقى عدة رسوم:

- رسم الانتساب إلى الكُتّاب أول مرة، يسمى «الدخلة»، وهي مبلغ نقدي بسيط، لا يتجاوز الدرهم في زمانه، وبعض الأرز والتمر والمكسرات؛
- مبلغ يؤدى كل أسبوع، يسمى «الخميسية» التي يُنادي عليها المطوع يوم الأربعاء، وهي مبلغ متواضع أيضا، يتراوح ما بين درهم واحد وخمسة دراهم، بحسب قدرة الأسرة ويسرها؛
- مبلغ شهري، يسمى «الشهرية» وهو أكبر من «الخمسية»؛
- وعند ختم الطفل للقرآن كانت أسرته تغدق عليه الأموال والهدايا، على قدر استطاعتها.

دون احتساب الخدمات الأخرى التي كان يستفيد منها المطوع أحياناً، كوجبات الطعام التي كانت تهدى له، وكما إن الصبية كانوا يؤدون بعض الخدمات لبيت المُطوع، مثل جلب الماء من البئر، والاحتطاب أو تنظيفه أحياناً.

زمن التعليم وطريقته

كانت الدراسة تتم طيلة خمسة أيام في الأسبوع، من يوم السبت إلى يوم الأربعاء، وتتعطل يومي الخميس والجمعة، وعلى هذا جرت العادة في أكثر البلاد الإسلامية. واليوم الدراسي كان ينقسم إلى حصتين، حصة صباحية وحصة مسائية، تفصل بينهما فسحة من الوقت يؤذن فيها للصبيان بالأكل أو التوجه إلى منازلهم لتناول غذائهم والاستراحة من عناء الدرس. نظام التعليم في الكتاتيب فردي، حيث يقوم «المطوع» بتعليم كل طفل على حدة، يقرأ «المطوع» القرآن ويردد الطفل خلفه، إلى أن يتقن الطفل القراءة الصحيحة، ثم يؤذن للصبي باستعمال المصحف ليحفظ الآيات، وليتجه «المطوع» لمتعلم آخر. منهاج التعليم كان يتضمن تعليم الصلاة، وتحفيظ القرآن وبعض الحديث، ومهرات القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، وهو منهاج جرى العمل به في البلاد العربية منذ قرون.

إلا أن بعض«المطاوعة» كانوا يزيدون على ذلك بتعليم الخطابة، والشعر، ما أدى إلى ظهور تمايز في الدروس التي يتلقاها الأبناء على يد بعض المعلمين القدامى. وكان تدريس القرآن الكريم يتم بطريقتين:

الأولى تبدأ بها عملية التدريس، ويقوم فيها المتعلم بقراءة كلمات القرآن بمفرداتها وتشكيلها، ومن خلال هذه الطريقة يتقن قراءة القرآن بطريقة سليمة، إلى جانب تعلمه قراءة الحروف وكتابتها أيضاً. بعد ذلك تأتي عملية تحفيظ القرآن، وغالباً تستغرق فترة تتراوح بين سنة وثلاث سنوات، ربما تزيد أو تقل عن ذلك، بحسب قدرات المتعلم. كما حدد العرف الاجتماعي وظائف المطوع في رعاية أخلاق الصبي وتعهدها بالإصلاح والتقويم، ورعاية النمو النفسي والاجتماعي للطفل، فكان المطوع يروض المتعلم على احترام الأبوين والسلطات والشيوخ. واحترام الآداب العامة والتقاليد الاجتماعية. هذا المنهاج الدراسي هو ترجمة عملية لأهداف التربية واتجاهاتها في المجتمع، لذلك ينبثق من حاجات البيئة التي يعيش فيها الأفراد ومن متطلبات تنميتهم في ظل العقيدة الإسلامية، لذلك كان يشمل الوظيفتين التعليمية والتنشيئية معاً، من خلال من يقدمه المطوع من دروس تعليمية ونصائح وتدريبات للمتعلمين على السلوك الاجتماعي والتصرف السليم والأدوار الاجتماعية.

الحياة في «الكتاب»

يحظى المتعلم الجديد باهتمام خاصمن لدن المطوع، فيمنحه كل الاهتمام ومزيداً الوقت لتعلمه، حتى يلحق بباقي زملائه في الدرس، كما إن التلاميذ القدامى في المكتب يحيطونه بعنايتهم، ويدعمون عمل المطوع معه، فييسرون اندماجه ويساعدونه على الحفظ والتعلم. وكان بعض «المطاوعة» يدركون أهمية وقيمة الترويح النفسية والاجتماعية والصحية، فكانوا يقيمون مناشط للصيد ولعب كرة القدم لفائدة المتعلمين. وعند حضور الأولاد إلى المطوع يحمل كل واحد منهم «غرشة» بها ماء شروب، ويدفن كل واحد «غرشته» في الطين حتى يظل الماء بارداً ولا يتعرض لحرارة الشمس. واذا أخل المتعلم بواجباته أو تهاون في الدراسة أو بدرت منه خطيئة، فإن هذا يعرضه للضرب المبرح بالفلقة، وإن غابت الفلقة، يعاقب التلميذ بالربط في جذع النخل. فقد كان مأذونا للمطوع أن يعاقب المتعلم المخطئ بما يقدره من عقوبة، فقد جرى العرف أن تسلم الأم صبيها للمطوع، راجية منه أن يكون صارماً في معاملته، بقولها للمطوع: هذا ولدنا يابيبنه الكم (سلموا عينه، وعظامه واللحم الكم).

التومينة

ختم القرآن كان بمثابة إعلان عن انتهاء مرحلة تعليمية بنجاح، وإيذاناً بانتقال المتعلم إلى مرحلة جديدة. كان الاحتفال بختم القرآن أو «الختمة»، بمثابة احتفاء بالعلم، دال على الأهمية التي يوليها المجتمع لحفظ القرآن، وعلى المكانة التي يحظى بها هذا التعليم والمشرفون عليه، فكان المجتمع المحلي ممثلاً في الحي يشارك في الحفل الذي كانت له تقاليده الأصيلة المتوارثة. هذا الحفل عرف باسم «التومينة» أو «التحميدة»، يبدأ بتجهيز ملابس جديدة للمتعلم. وإذا كانت فتاة، تعد لها الحُلي الذهبية لتتزين بها، مثل العروس، كما يشاركها الفتيات الاحتفال بارتداء ملابس جديدة وحُلي أيضاً. ويخرج الجميع مع «المطوع» أو «المطوعة» للطواف في الشوارع، ويقرأ فريق منهم أبيات في مدح الرسول، وفريق يردد «آمين». في المقابل، يخرج أهل المنطقة لتحية الموكب وتقديم الهدايا لهم، وهذه الهدايا قد تكون نقوداً أوملابس أوأقمشة أومواد غذائية كالأرز أوالحلوى، وكانت الهدايا تجمع في قفة من الخوص تسمى «الجفير» أو كيس متوسط الحجم يسمى «المزماة»، يحمله طفلان في الموكب، وكلما امتلأ يذهبان إلى بيت «المطوع» أو «المطوعة» ليفرغاه ويعودان من جديد. وتستمر المسيرة من الصباح حتى موعد الغداء، فتتوجه إلى منزل أسرة المحتفى به، التي تقيم مأدبة بالمناسبة ■

المراجع:

1 - مريم راشد الزعابي: الكتاتيب منهل العلم الأول في الإمارات، رابطه:
https://www.albayan.ae/five-senses/heritage/2020-11-04-1.4004285

2 - الأرشيف الوطني يحتفي بتوقيع كتاب (تطور التعليم في الإمارات العربية المتحدة) في أبوظبي، رابطه:
https://www.na.ae/ar/mediacenter/news/news.aspx?ID=11365

3 - مصطفى عبد الرحيم: المطوع مدرسة تمشي على قدمين، رابطه:
https://www.alkhaleej.ae/ملحق: المطوع - مدرسة - تمشي - على - قدمين

4 - إيناس محيسن: الكتاتيب مراكز العلم الأولى في الإمارات، رابطه:
https://www.emaratalyoum.com/life/culture/2015-06-28-1.797770

5 - ماجد خميس وسعيد صالح المنصوري، تاريخ التعليم في الإمارات العربية المتحدة، رابطه:
https://educationinuae02.wordpress.com/

الأساطير الأوروبية (1)

دانيال بيل Daniel Bell
ترجمة وإعداد د.هويدا صالح

لك أن تتخيل السويسري ويليام تيل يركب تنين كراكوف البولندي عبر غابة بروسيلياند الفرنسية... تخيل أن الساحرة الإيطالية إيليان بيفانا تنضم إلى رحلة الساحرة في النمسا... تخيل أن الطائر الهولندي يبحر على طول بحيرة لوخ نيس في اسكتلندا، مع الفاتنة الألمانية لوريلي (حورية البحر)، وصديقتها المقربة ميلوسينا (روح المياه العذبة). بمجرد تجميع تلك الأساطير الأوروبية معاً يمكن أن تقدم صورة عن القوى الإبداعية الكامنة في القارة القديمة.

الأساطير في أوروبا تكمن في قلب مجتمعنا وتاريخنا. إنها لا تلهم الكثير من صانعي الأفلام العالمية فحسب، وتجذب مليارات السياح من جميع أنحاء العالم. لكنها تساعدنا أيضًا على أن نكتشف أصول العديد من المعالم الرائعة في القارة ونحلم بها، وأن نتعرف على المعتقدات السحرية الكامنة وراء معالم أوروبا، والتاريخ الذي يكمن وراء ثقافتنا الحالية. الآن سننطلق في رحلة حول عجائب أوروبا الأسطورية، نقدم أبرزها على ثلاث حلقات ليتعرف القارئ على سحرها وجمالها:

- غابة بورسلياند Brocelіande Forest (أسطورة فرنسية)

وفقًا للأسطورة، كلما تمكن الساحر ميرلين من الابتعاد عن شؤون الدولة في بلاط الملك آرثر، كان سيعود إلى حبيبته، فيفيان، في غابة بورسلياند. في الغابة، يشتهر نبع بارنتون بأنه المكان الذي التقى فيه ميرلين لأول مرة بفيفيان ، التي كانت ابنة لورد قلعة كومبر المجاورة. يقال إن بحيرة القلعة تغطي القصر الذي بناه ميرلين بطريقة سحرية من أجلها. يدعى الناس أن إيفين، أحد فرسان المائدة المستديرة للملك آرثر، هزم الفارس الأسود، حارس النافورة بجوار ذلك النبع.

في أحد الأيام، ناشدت فيفيان ميرلين أن يعلمها فنونه السحرية وتدريجيًا تعلمت كل سحره. لقد استخدمت فيفيان معرفتها بالسحر لتسجنه في تسع حلقات في الهواء، غير مرئية؛ حتى تمنعه من تركها والذهاب إلى الملك آرثر من أجل أن يمارس دوره في المائدة المستديرة. يقال إن قبر مرلين مخفي في هذا السجن اللامرئي.

- وحش بحيرة لوخ نيس The Loch Ness Monster (المملكة المتحدة)

ثمة وحش غامض يتربص تحت سطح أمواج بحيرة لوخ نيس. يتجول في صمت في الأعماق المظلمة للبحيرة، وتزعم التقارير أن مخلوقًا خفيًا يشق الماء بسرعة، ربما يمكن رؤية رقبته وحدبانه، قبل أن يتلاشى في الأمواج. إنها قصة معروفة للكثير من زوار بحيرة لوخ نيس، حيث تنتشر الألغاز والأساطير المحيطة بأشهر أسطورة اسكتلندية منذ مئات السنين. في الحقيقة، تظهر أقدم قصة عن الوحش في سيرة حياة القديس كولومبا (الذي نشر المسيحية في أسكتلندا) من قبل أدومانان Adomnán، مؤلف سيرة القديس كولومبا،حيث أرّخ لزيارته إلى المرتفعات في القرن السادس. يصف أدومانان رجلاً يتعرض لهجوم «وحش مائي» وجره تحت الماء. في العصر الحديث، بدأت مشاهدة الوحش في عام 1933، حينما أعلنت مديرة فندق دورومنادروشيت السيدة ألدي ماكاي

أنها رأت «مخلوقاً ضخماً بجسم حوت يتدحرج في الماء». تشير العديد من المرات التي شوهد فيها وحش بحيرة نيس إلى أن هناك مخلوقاً يشبه البليصور(من الزواحف العظمية الكبيرة) ذا رقبة طويلة وزعانف. منها صورة ماكناب لعام 1955، وبجانب البحيرة نجد برج جرانت في قلعة أوركهارت، تشير التقديرات إلى أن أعلى قمة القلعة تبلغ طولها نحو 50 قدمًا (15.24 متر) - وهذا أطول من سفينة Jacobite Princess! حتى الآن، كان هناك أكثر من 1000 رؤية ومشاهدة لوحش بحيرة لوخ نيس، بدءًا من «صورة الجراح» المثيرة للجدل في عام 1934 إلى «صورة نيسي الأكثر إقناعًا على الإطلاق» لجورج إدواردز. بينما تبين أن بعضها أنها مفبركة، كان بعضهم الآخر تقارير حقيقية، من دون تفسير قاطع لحدوثها.إذن، فما هي الحقيقة؟ أتصور أنها في بحيرة لوخ نيس.

- فيونن ماك كوهيل Finn Mac Cuhaill(أيرلندا)

وفقًا للأساطير الأيرلندية، كان أول من وطأت قدمه أرض أيرلندا هو بيث Bith ابن نوح، وابنته سيزير Ceasair مع زوجها فينتان ماك بوكرا، ولادرا الذي قاد سفينتهم إلى الجزيرة.كان بصحبتهم أيضا خمسون عذراء. بمرور الوقت، غادر قائد السفينة لادرا، وتوفي بث، وبقي على الجزيرة فينتان مع سيزير والخمسين عذراء. لم يتحمل فينتان الأمر، فغادر هو الآخر تاركاً سيزير رفقة النساء. وقعت سيزير فريسة الوحدة والحزن لفقد رجلها، فتداعت صحتها وماتت. لم يمض وقت طويل على وفاة سيزير، حدث الفيضان العظيم (الطوفان). لقد طهر الله العالم ولم ينجُ سوى نوح وعائلته حينما ركبوا الفلك. إلا أن الله كان رحيماً وشعر بالحزن على فينتان. فقد نجاه من الموت في المياه الهائجة، وحوله إلى سمك السلمون وبهذا الشكل نجا من الحدث الرهيب.

كيف اكتسب «السلمون» معرفته!

بعد انحسار مياه الطوفان، سبح سمك السلمون فينتان من البحر إلى نهر بوين. وجد في النهاية بركة عميقة وهادئة تمكن فيها من استعادة قوته. وقد أنبت الله حول هذه البركة تسع شجرات بندق وعلى كل شجرة نبتت تسع حبات من الجوز. كانت هذه المكسرات مليئة بكل معارف العالم. مع مرور الفصول واقتراب الخريف، نضجت حبات الجوز المليئة بالحكمة وسقطت واحدة تلو الأخرى في البركة حيث كان فينتان يسبح. التهم كل جوزة وهي تلامس الماء وهكذا انتقلت إليه كل الحكمة. من هذا كان يُعرف باسم «An Bradán Feasa» أو «Bradán an Eolais» والتي تعني

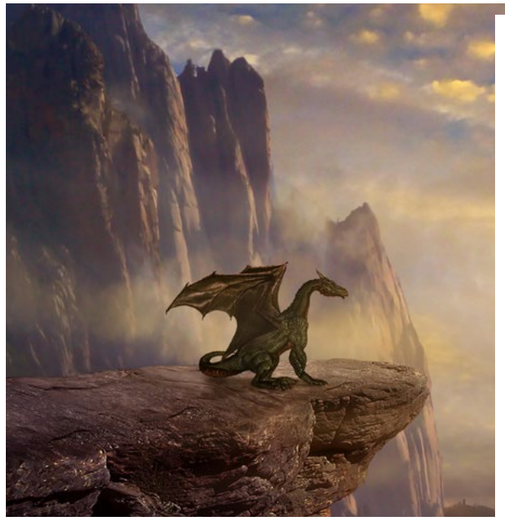

سلمون المعرفة. مرت القرون وعاد الناس لسكنى أرض أيرلندا. عرفوا بقصة سلمون المعرفة، لكن أحداً لم يحاول أن يصطاده أو حتى يكتسب حكمته. ثم مر الزمن ودخل إلى وادي بوين شاعر كاهن واستقر به. كان اسمه فاينجاس Finegas وكان حلمه أن يكون قادرًا على اصطياد الفنتان والتهامه لاكتساب كل المعرفة عن العالم. في نفس الوقت الذي دخل فيه الشاعر الكاهن وادي بوين من أجل اكتساب المعرفة كان هناك فرقة من المحاربين الأبطال المعروفة باسم فينان. واحد من هؤلاء الأبطال، كومال، وقع في حب في حب مورنا ذات العنق الأبيض. كانت مورنا ابنة الكاهن تادج ماك نواد. رفض تادج السماح بالزواج وفي يأسه، اختطف كومال زعيم فيانا مورنا ابنة الكاهن وهربا سوياً من والدها. حملت مورنا وأنجبت منه طفلاً أسمته ديمنا. كان تاد غاضبًا غضباً جنونياً، فقتل كومال في معركة من قبل جول ماك، ولكن الطفل تم إخفاؤه بعيدًا عنه. كبر الطفل وأصبح شاباً شجاعاً وجميل الطلعة. كان من الطبيعي أن يغيروا اسم ديمنا إلى اسم فيونن، فأصبح معروفاً باسم فيونن ماك كومهل. كان الشاب دائماً في خطر من انتقام جده فيانا. ولحمايته تقرر بعد ذلك وضعه في رعاية الكاهنة بودهمال وزوجها فياكال ماك كونشين. ثم أصبح طالبًا تحت إشراف الشاعر الفنلندي إيسيس الشهير بـ (Finegas). ولذا تم إرساله إلى مزرعة الكاهن الشاعر على طول نهر بوين.

نشر المقال في موقع «europe is not dead» ■

مشاهد تراثية من البيئة الزراعية

صالح كرامة العامري

عند جولاتي المتكررة في محيط البيئة الزراعية كانت تستوقفني إرادة الإنسان الحديدية وعنفوان محاولته المتكررة في التصدي لبيئته وصعوباتها، وهو يحاول أن ينتصر على تلك الصعوبات، ولهذا اتسمت هذه البيئة الزراعية بنوع من التحدي حتم على الذي يخوض غمار هذه البيئة ألا يتعامل معها مسترخياً متهاوناً فيما تحمله من مجهول، فهي تمتلك قدرة عظيمة في تعطشها للحياة وفي النهوض من جديد، وترفض هذه البيئة أن تظل في مكانها كما هي.

إن (اليازرة) وهي ذلك الفن القائم على صراع الإنسان من أجل الاستحواذ على الماء من الطوى من حيث إن الإنسان ينزح طيلة يومه من أجل أن لا يعطش هو ونخيله، وهذا هو انتصاره، ولهذا وقفت كثيراً أمام كل هذا التراث الموغل في القدم، وسرت مع شخوصه وكأنني أعيش في محيطه مبكراً، من أجل أن يظل الفعل التراثي حاضراً في هذه التصورات التي أحملها في طيات نفسي، فالفعل التراثي هو نتاج محاولة من الإنسان نفسه لكي يظل يصارع ذاته حتى ينتصر عليها ويحقق ما يصبو له، حتى عندما تأملت شغف (اليازرة) بالموجودات رأيت هذه الحيثيات تظل محصورة في البيئة الزراعية وهذه قيمتها لأنها جزء من التحول الفعلي للحدث، حيث تعد بمكانتها التراثية مظهراً لما تحمله من محيط متشعب وغني.. ونحن في ثنايا (اليازرة) نقف وكأننا في جولة حضارية لنرى كيفية تحرك هذا الثور بكل استسلام بحيث يستجيب لكل ما يقدم له، إنه يسير حسب رابطه (الزي)

وهو خيط رقيق يتم ربطه طوال (الخب) ويربط بالثور بحيث يسير الثور بشكل سلس لا يخرج عن نطاقه، وبشكل مستقيم، لا يحيد عن سيره في هذا (الخب)، هذا الخيط الرفيع يقود الثور وهو منطلق منذ الفجر في الخب حتى نهاية اليوم، لهذا تشعر أن فن (اليازرة) قد يأخذ منك دهراً في تعقبه لما يحمل هذا النوع من المعاناة من صيرورة الكون.. مع هذا وقفت انتظر لحين تركيب (الويه) على الثور، وهو نوع من الرباط يوضع على ترقوة الثور للتحكم منه، وعند أول خطوات الثور وحركته في (الخب) شعرت أن قوة كامنة تقع في تقدم هذا الثور في (الخب) وأن الحياة تكمن في هذا الخب لأن الثور عند سيره في ثنايا (الخب) لنزح الماء من البئر يتماه مع الإنسان في صراعه اليومي مع تواجده في المكان، ساعتها انبرى صديقنا (البيدار) (سالم الشميلي) وهو يصدح بصوته وهو يقود الثور في (الخب) ويسيره عبر المجرى المخصص له، وتعالت حركة (المنيور) المربوط (بالصنافير) وصوته يتباعد في الأفق ويحدث صفيراً معتاداً يئن كأن سرعة المنيور تدور وتطوي الحبل المربوط (بالمرص)، وهي خشبة صغيرة يدور عليها (المنيور) في (التراكيب) التي هي جذوع النخل المركوزة، كأنها قرون على البئر. لقد نظرت فلم أجد نسمة هواء تطير الرطوبة في نطاق المكان، لكن الشجر التي تزهو به المزرعة يرتفع في أفقها وثمة نخل شاهق وأناس يشاركون (البيدار) تواجده هذا، إنه منذ الفجر وحتى الغروب وهو يذرع مساره في (الخب) وهو المسار الذي يسلكه الثور ويسلكه (البيدار) أيضاً، حيث يسير مع الثور في الخب بينما الثور وعلى ظهره (الويه) متصل بحبل طويل تقود ناحية (المنيور)، وهي العتلة المربوط عليها حبل البئر المثبتة على التراكيب جذوع النخيل فوق البئر و يظل (المنيور) يعصر (الصنافير) وهي قطعة من خشبية مصنوعة من شجر (الأشخر) يدور عليها (المنيور) كأنه يستعجلها لكي تستمر وتنزح البئر.. هذا وفي حديث طويل مع البيدار (سالم الشميلي) الذي سبق وأن صحبنا في رحلته الطويلة وكأننا نعبر هذا الكم الهائل من زراعات الإنسان القائمة على المشاق، كنت حينها أشاهد التراكيب، وهي جذوع النخل بعد أن صارت متناصفة و منصوبة على البئر وتربط (بالأرضة) هذه جذوع التراكيب، وهي جذوع نخيل لا تتجاوز طولها مترين أو ثلاثة ومن مهامها التماسك بين هذه الميلان، كل هذا يحدده الزمن المتواصل مع هؤلاء المزارعين اللذين يَعْدون لجلب الماء.. وعندما واصل (سالم الشميلي) سيره في (الخب)

برفقة الثور، أنشد أبياتاً تعبر عن رحلته اليومية فجاء صوته وكأنه قادم من أعماق النفس والثور يصغي له ولأبياته الشجية:

أوبـــي وغـــيّ وصـــرت منـــه أوبـــي وغـــيّ

وصـــــرت عايـــف حياتـــه قوتـــه كلـــه مهـــود

أنا ما تعلمون بي صاكت وبكتم صدودي صاكت

صاكـــت ويتجتـــم صـــــــدودي هيـــه

ظل صوت (سالم الشميلي) يذهب في عمق (الخب) وكأنه يُبعث من ثنايا المكان، كل هذه الأبيات ذاهبة ناحية الأفق لتعود لنا من الأعلى وعندما نظرت إلى الثور وهو يسير بشكل حثيث ويتبع البيدار وصلني إحساس أن العلاقة التي فرضت عليهم أن يكونا معاً هي علاقة أزلية حيث إن هناك تجربة تعيدها الأيام مراراً.. وبالرغم أن الوقت شارف على وقت العصر، كانت سعف النخيل قد أخذت تتلاعب بقليل من الهواء في الخارج وتنقل أصوات مزارعين وهم يقومون على تشذيب جذوع النخل لإزالة الليف عنها ويطلق على هذا (التخليب) بينما استمر البيدار يتحرك هو وثوره في أعماق (الخب) وصوت (المنيور) ينتقل بشكل فذ في المكان وصفيره يعلو، عندها سمعنا صوت المساعد للبيدار سالم، الشاب (حميد) الذي يتمتع بالنشاط والهمة بالرغم من أنه شخص هزيل يقف على مقدمة في منتصف (اليازرة) وفي العادة يشير على (سالم الشميلي) البيدار إن كان هناك خطأ أو ملاحظة في المكان و قريباً من مقدمة (اليازرة) يقف (حميد) في العادة

بجوار الدلو في الأعلى، وعندما وصل (سالم الشميلي) إلى عمق (الخب) وصعد الدلو إلى أعلى من فوق (الغيلة) وهي البركة التي يتم فيها إنزال الماء وتفيض ويتسرب الماء عبر القنوات الزراعية، كان الدلو مشقوقاً للأسف والماء يصب منه بقوة وعندها توقف (البيدار سالم) عن السير في (الخب) وتوقف الثور معه وأخذ (سالم الشميلي) ينظر ناحية الشاب (حميد) وهو يشير إلى الدلو.. عندها توقف البيدار سالم قائلاً: اسحبه ناحية المغيلة، عندها امتدت يد (حميد) بكل قوة وجذبت الدلو ناحيته، كنت أحس أنه يكاد يطير مع الدلو، كان كل هذا على امتداد البصر بحيث تستطيع تلك الساعة أن تبصر سالم الشميلي وهو في أعماق الخب ينظر ناحية مساعده (حميد) وقد غمرته مياه الدلو قائلاً: أمسك الدلو جيداً.. رد حميد: سوف أفعل وأنت أوقف الثور من المسير والثور امتثل لكل شيء بعد أن أحس أن هناك نوعاً ما من التوقف في الخب، وبعدها صرخ سالم من داخل الخب قائلاً: ها أنا أوقفت الثور، فقط عليك أن تمسك الدلو تحسباً بأن يتسرب الماء ثانية منه.. «لا عليك ها أنا ثبت الدلو..» هذا ما قاله حميد وقد اعتصر الدلو وسارع وقال: إن الدلو مشقوق بلا شك.. وتحرك حميد من فوق البئر باتجاه الزراعة في الداخل قائلاً: سأحضر أبو جاسم، إنه فوق النخل هناك لكي يقوم بترقيع الدلو المشقوق.. بعدها صرخ سالم متداركاً حميد: تأكد هل معه اليوم أدوات الخياطة الخاصة بالجلد.. وعندما تحرك الشاب حميد ليقطع الطريق المؤدي إلى المزرعة، غاصت قدماه في الشجر الصغير المفروش وطار إزاره خلفه و مر على نساء متحلقات على أرضية

زراعية، وشاهد أم أحمد وهي تقوم بسف الخوص ببرقعها النيلي ومن حولها مجموعة من النسوة، واصل (حميد) سيره حتى وصل إلى جوار نخلة طويلة وقد تسلقها بو جاسم إلى الأعلى، كان أبو جاسم وهو رجل في منتصف العمر ذو سحنة سمراء غارساً قدميه على كرب النخل واضعاً الحابول على خاصرته وكأنه متعلق في الفضاء.. كان أبو جاسم يمسك (بالداس) وهو سكين معكوف أشبه بالمنشار وقد أخذ (بتخليب) النخيل أي أنه كان يقوم بتشذيب النخل وإزاحة الليف من أطراف الجذع بحيث يقوم ببري جذع النخلة من الليف بمجرد تشذيب جذع النخلة، حيث يهوى الليف إلى الأرض ويكون في الأسفل مجموعة من الرجال يراقبون عملية (التخليب) أسفل النخلة كما يتواجد هناك مجموعة من المزارعين مشغولين في صناعة الدعون والأقفاص من سيقان السعف وقد توزعوا في المكان وأخذو يشاهدون أبو جاسم وهو يقوم بتخليب النخلة.. عندها قال أحدهم: كن حذراً أن يصيبك العاقور (وهو نوع من الحشرات الذي يستوطن جذوع النخل ويصيبها) ورد أبو جاسم وهو لا يزال متسلقاً النخلة: لا تقلق أنا أراعي كل ذلك.. ظل أبو جاسم يقوم بتخليب النخلة وهو يزيل ليف النخلة ويسقطه مرتدياً قميصاً أبيضاً وإزاراً مقلماً وقد أخذ يحركهما الهواء، عندها اقترب حميد ونادى على بو جاسم.. ظل بو جاسم يعمل في جذع النخلة بالداس ويزيل ليف النخلة، واضطر حميد أن ينتظره أسفل النخلة بعدها نظر أبو جاسم فأخبره حميد بأن الدلو انشق و الماء يسقط من جوانبه.. رد بو جاسم: سأخيطه إن شاء الله عندما انتهى من التخليب.. بعدها هبط من أعلى النخلة وقد غرس أقدامه بعناية على أطراف الكرب متكئاً على (الحابول) وهو الحبل الذي يتم استعماله في الصعود للنخلة، وعندما هبط (بو جاسم) من على النخلة ولامس الأرض تحرك ناحية كيسه الصغير الذي يضع به في العادة خيوطاً قوية وبه (الدفرة) وهي نوع من الميسم أشبه بالإبرة القوية، وتناول الكيس وتبعه الفتى حميد في أقصى المزرعة وظلا يمشيان واستخرج بو جاسم مدواخه من جيبه وقال: استطيع أن أدخن بعد أن نزلت من النخلة.. قال له حميد: كنت دخنت وأنت معتلي النخلة رد قائلاً: النخلة لها قيمتها ولا يجوز أن تدخن وأنت صاعد النخلة، النخلة رزق لها احترامها ولا يجوز ذلك.. تحركا سوياً وأشعل بو جاسم مدواخه وفاحت رائحة التنباك في المكان، وتحركت خيوط الدخان من خلفه وهو يحمل كيسه الذي به أدوات خياطة الدلو هي مجموعة من الخيوط السميكة المخصصة لخياطة الجلود وكذلك (الدفرة) يستطيع بها أن ينغزها في الجلد السميك وسارا سوياً قاطعين طريق المزارع ولمحوا النسوة جالسات وألقى

أبو جاسم التحية عليهن مواصلاً سيره، ردت أم أحمد من خلف برقعها النيلي ونادت عليهم: تفضلوا قربوا.. رد بو جاسم: دام فضلك نحن ذاهبون هناك اليازرة.. ردت أم أحمد ومن حولها أطباق الطعام: تفضلوا لا يمنع فنجان من القهوة وبعدها واصلوا طريقكم عندها توجه بو جاسم وتناول الدلة التي أمامها وصب لنفسه فنجاناً من القهوة وهو اقف، وهمّ بالتحرك عندها نادته أم أحمد من خلف برقعها النيلي: زين، لا يمنع أن تتناول قليلاً من البلاليط وهي حارة أحضرتها للتو ابنتي شيخة من المنزل ثم نادت على ابنتها شيخة وهي تلبس الثوب المخور المسبوك بالتلي الصغير وقد أحيك بشكل عادي ثم قالت لابنتها شيخة وهي تحمل ملة صغيرة مليئة بحبات اللقيمات وقدمتها إلى بو جاسم وحميد: أعطي عمك.. ظهرت حبات اللقيمات تبرق أخاذه في طبقة الملة، عندها تناول بو جاسم حبة وكذلك حميد ثم هما بالمسير قائلين اعذرينا نحن مستعجلون، سالم الشميلي لديه مشكلة في الدلو.. تحرك بو جاسم بصحبة حميد وكانت زراعة النخيل تحف المكان ورائحة التنبيت تملأ المكان والكرب.. كانا وهما يسيران تنغرس أرجلهما في العشب الممتد وعندما وصلا إلى حيث اليازرة وجدا سالم الشميلي واقفاً رابطاً الثور بجوار التراكيب سانداً الدلو على جانب المغيلة وكان يوجد قليل من الماء في المغيلة وكان الماء يسقط من الدلو، عندها تناول بو جاسم الكيس الذي كان يحمله واستخرج منه الخيوط وتفحص الدلو بحيث استقامت خشبتي (العراقيّ) وهما خشبتان توجدان في جوانب الدلو وتوجد به كذلك حصا بحيث تعد كثقل بداخله حتى يهبط في البئر إلى الأسفل، ظل بو جاسم يتفحص الدلو جيداً لمعرفة الثقب الذي يتسرب منه الماء حتى استدل عليه بعدها قام برتقه بالخيط الثخين وأدخل الدفرة وهكذا استمر وصادف هذا وصول (أبو يوسف) إلى المكان.. هو في السبعين من العمر ويملك خبرة كبيرة في فن اليازرة.. ظل يراقب عملية رتق الدلو، خاصة أن بو جاسم شعر بقسوة جلد الدلو واشتكى من تلك القسوة من خلال معاناته في سحب أطرافه، وأن كثيراً من قوة الخيط لا تنساب بسهولة في جلد الدلو، ظلت كف بو جاسم تعتصر الدفرة المقطور بها خيط الخياطة وهو يحاول أن يدفع الخيوط بشدة مع تسارع أنفاسه والعرق يتصبب من جبهته وانتفخت أصابعه.. عندها قال أبو يوسف: هذا الجلد صعب المراس فرد عليه بو جاسم وهو يضغط بشدة على جلد الدلو، من ماذا صنعوا هذا الدلو، من جلد التمساح! ضحك أبو يوسف: إنه مصنوع من جلد الثور ثم وضع عليه الصل زيت السمك لمدة عشرة أيام وبعدها دهن بالقراط، ولهذا تحس أنه قاسٍ كأنه حديد، ودائماً دلو اليازرة يمتاز بالقساوة ليحتمل السير في أعماق البئر.. وعندما انتهى بو جاسم من رتق الدلو أعطى الإذن لسالم الشميلي أن يحرك الثور في الخب، واندفع سالم ناحية الخب وسار بالثور إلى عمق الخب، وارتفع بعدها الدلو إلى قمة التراكيب وهبط إلى أعماق البئر الطويلة، في تأكيد أن اليازرة هي محل انتماء مع الواقع.. وهكذا ارتفع حبل اليازرة إلى أعلى وأخذ حميد ينظر ناحية الأفق البعيد والثور انخرط في جوف الخب وسمعنا عندها صوت سالم الشميلي يودعه بصوته الشجي وهو ينشد أهازيجه:

ياليـــت عنـــدي نخل تسجـــــي بغرافـــــة

والقيـــظ ليمن عـــــدم واحمرت اطرافـــــه

تاكـــل خـــــلال ورطـــب والغـــدج انصافـــه

وتوالت خطوات بو جاسم وهو يعبر عائداً إلى المزرعة ناحية النخيل بينما بقية القوم جلوس يشتغلون في صناعة الدعون والمساير، ومجموعة من أدوات الزراعة متناثرة كالعادة في المكان.. وعندها تردد صوت المنيور ليملأ الأفق حيث تجاذب الغروب مع تخالط السعف وبدأ الغروب ينخرط هو الآخر رويداً رويداً في المكان، وينحسر ذلك النور على النسوة الجالسات في ثنايا الأشياء، لتبدأ العصافير المغادرة نحو الأعشاش وتستقر على الأغصان بينما سعف النخيل ينظر ناحية الأفق ويتمايل وكأنه يعيد ترتيب ما حصدوه اليوم ■

حبة البركة والبردقوش

حبة البركة

عايدة عبدالله البلوشي

تختلف استخدامات الأعشاب في حياتنا، فهي نباتات تستخدم أوراقها وأزهارها وجذورها وبذورها لأغراض مختلفة، يستخدمها بعضهم في الخبزويتم إضافتها على أطباق السلطات وبعض الأطباق الجانبية لأنها تضفي رائحة عشبية مقبولة وإضافة صحية ولذيذة، علاوة على فوائدها وقيمتها الغذائية. وتشير بعض الأدلة إلى أن بعض الأعشاب يمكن أن تؤثر على مستويات الهرمونات في الجسم، بالإضافة إلى الوظائف الأخرى ذات الصلة بجهاز الغدد الصماء.

فهي تستخدم كوسيلة للعلاج وقد تكون بعض العلاجات العشبية آمنه بالنسبة للبعض وخطيرة على بعضهم الآخر، فمثلاً، الحوامل والمرضعات أو مستخدمي العلاج الهرموني والأشخاص ذوي الاضطرابات في الغدد الصماء أو المصابين بالسرطان هم أكثر الفئات المعرضة للآثار الجانبية لهذه الأعشاب إن وجدت. إن توازن الجسم يأتي من توافق الهرمونات مع الغدد الصماء وعلى الجميع الانتباه عند تناولها. وتهتم النساء بتناول الأعشاب لموازنة الهرمونات خلال أوقات حرجة في حياتهن مثل وقت البلوغ والحمل وانقطاع الطمث، أما بعضهم الآخر فيتناولها بغرض الصحة. لكن يجب استشارة الطبيب قبل البدء في تناول أي نوع من الأعشاب، لأن الحذر والاستشارة مهمان بشكل عام للجميع وبشكل خاص للأفراد الذين يعانون من أمراض مزمنة.

بذور حبة البركة

هي بذور سوداء صغيرة الحجم، تم استخدامها لعدة قرون في طب الأعشاب لعلاج بعض الحالات الصحية مثل الربو والتهاب الشعب الهوائية والالتهابات، واستخدمت أيضاً لفترة طويلة كمادة حافظة للتوابل والمواد الغذائية. وهي غنية بمضادات الأكسدة ولها خصائص طبية لاحتوائها على مركب نباتي يسمى (الثيموكينون) وهو من المغذيات النباتية وأجريت دراسات قليلة بشرية أظهرت أن حبة البركة قد تقدم فوائد معززة للمناعة ومضادة للأكسدة، وتشير الأبحاث المبكرة التي أجريت على الحيوانات بشكل رئيس إلى أن (الثيموكينون) قد يعمل مثل هرمون الأستروجين في الجسم وربما يخفف الأعراض أثناء انقطاع الطمث، وهذه المادة أيضاً تعمل على تثبيط تكاثر الخلايا السرطانية وفي بعض الحالات يقتل الخلايا السرطانية. ولقد درس الباحثون تأثيرات بذور حبة البركة الوقائية والعلاجية على النساء في سن الإنجاب اللواتي لديهن متلازمة المبيض المتعدد التكيسات، وهو نوع من اضطراب مرتبط بمستويات الهرمون غير الطبيعي، لذا يعمل عمل هرمون الأستروجين في الجسم.

البردقوش

تعد عشبة البردقوش من الأعشاب العطرية وهي غنية بمعدن المغنيسيوم المهم لعمل الجسم بشكل عام، ويحتوي على نسبة عالية من معدن البوتاسيوم، ويعتبر مصدراً جيداً لحمض الفوليك وفيتامين أ. تحتوي ملعقة صغيرة من البردقوش المجفف على (1.63سعرة حرارية)، (0.076 جرام) بروتين، (0.042 جرام) دهون، (0.363 جرام) كربوهيدرات، (0.242 جرام) ألياف، (0.025 جرام) سكر. ويمكن شراء عشبة البردقوش مجففه في رف التوابل في معظم محلات السوبر ماركت، ويمكن أن نجده على هيئة أوراق طازجة أو خلاصة الزيت أو أكياس الشاي، كما يستخدم كطب تقليدي لمختلف الأمراض، وهو يتميز باحتوائه على مركبات نباتية نشطة بيولوجياً مثل (الفلافونويد، والأحماض الفينولية).

ويبدو أن البردقوش يؤثر على الكورتيزول والإستراديول والأنسولين، حيث وجدت دراسة بشرية صغيرة أن الأشخاص المصابين بمتلازمة تكيس المبايض يشربون شاي البردقوش مرتين يومياً لمدة شهر، وقد يكون مفيداً للصحة الهرمونية وخاصة بالنسبة للنساء، حيث أظهرت إحدى الدراسات أن

تختلف استخدامات الأعشاب في حياتنا، فهي نباتات تستخدم أوراقها وأزهارها وجذورها وبذورها لأغراض مختلفة، يستخدمها بعضهم في الخبز ويتم إضافتها على أطباق السلطات وبعض الأطباق الجانبية لأنها تضفي رائحة عشبية مقبولة وإضافة صحية ولذيذة، علاوة على فوائدها وقيمتها الغذائية. وتشير بعض الأدلة إلى أن بعض الأعشاب يمكن أن تؤثر على مستويات الهرمونات في الجسم، بالإضافة إلى الوظائف الأخرى ذات الصلة بجهاز الغدد الصماء

النساء المصابات بمتلازمة المبيض المتعدد التكيسات اللاتي يتناولن البردقوش مرتين يومياً لمدة شهر واحد قادرات على تحسين حساسية الأنسولين وتقليل مستويات الأندروجين الكظرية لديهن كما رُبط شاي البردقوش بانخفاض كبير في مستويات هرمون الأنسولين أثناء الصيام، مما قد يشير إلى تحسن إدارة نسبة السكر في الدم. ورغم استخدامات هذه العشبة لسنوات عديدة، إلا أن العلماء يتعلمون الآن أكثر الطرق أماناً وفعالية لاستخدامها، حيث ثبت أن المركبات المشتقة من البردقوش لها خصائص مضادة للالتهابات ومضادة للميكروبات ومضادة للأكسدة ■

* إدارة التغذية المجتمعية-مستشفى توام-أبوظبي

حبة المرقدوش

تجربة المخرج الإماراتي حبيب غلوم

د. هاني حجاج

يقول غلوم: «المسرح بالنسبة لي عمل جاد يتطلب حماساً وصبراً لا يفنى، ويكفي أنني كنت من أوائل الناس الذين اشتغلوا في الدورات المسرحية ردحاً من الزمن طويلاً وأسهموا في دعم الشباب وتدريبهم حتى اشتد عودهم وصاروا اليوم نجوماً في الإمارات يشار إليهم بالبنان». حبيب غلوم ممثل ومخرج ومؤلف إماراتي حاصل على درجة الدكتوراه في الأدب المسرحي من جامعة مانشستر في بريطانيا حتى صار المخرج الأول في وزارة الإعلام والثقافة في الإمارات وعضواً مؤسساً لمسرح رأس الخيمة الوطني.

بدأ غلوم مشواره في الثمانينيات مخالفاً رأي عائلته حسب تقاليد هذا الوقت، فعمل بالتمثيل والإخراج في بعض المسرحيات والمسلسلات التلفزيونية مثل (حكاية لم تروها شهرزاد) و(الخوف) و(حكاية حنظلة) و(مجاريح) و(خيانة وطن) و(الشهد المر) و(المهرجون)، كما قام بإنتاج العديد من المسلسلات لزوجته الممثلة البحرينية (هيفاء حسين) وتقلد منصب مستشار ثقافي في وزارة الإعلام، ويعمل على تأسيس أكاديمية للفنون في الإمارات لاحتضان ورعاية المواهب الفنية الشابة وأخيراً شارك في مهرجان المسرح الصحراوي بالشارقة في دورته الثمانية عشرة. في لقاء أجرته معه الأستاذة أسمهان الفالح يعترف غلوم بأن المسرح هو قصة عشقه القديم، قصة عمرها يزيد على الأربعين عاماً، إذ قام بأداء دور (هاملت) في أواخر السبعينيات حتى التحق بمعهد الفنون المسرحية ونال الاعتراف الأكاديمي بموهبته عام 1987 في قسم التمثيل والإخراج بتقدير عام امتياز عن دور الحلاج في مسرحية (مأساة الحلاج) لصلاح عبد الصبور، وكانت من إخراج أحمد عبد الحليم، ثم حصل على درجة الماجستير من مصر عام 1995، وهو الإماراتي الأول الذي يحصل على درجة الدكتوراه من جامعة مانشستر في بريطانيا عام 1999 وكان عنوان رسالته (تأثير المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على المسرح الخليجي). ناقش في أطروحته نظرية جركوفسكي عن تجهيز المسرح إذ يرى الأخير أنه يمكن للعمل أن يتم بدون مكياج أو أزياء أو إضاءة أو ديكور أو مؤثرات إذا استطعنا التركيز على العلاقة الحية بين الممثل والمتفرج ولو برفض آليات المسرح؛ فعرض العملية الروحية للفنان على خشبة المسرح لا يشترط فيه أن يكون محترفاً ويمكن الاستعاضة عن ذلك بدعم الورش الفنية واهتمامها بتطوير طرق الأداء المختلفة.

وكان حبيب غلوم أول من قدم مسرحية مونودراما في الإمارات وأول من أخرج العروض المسرحية من تقاليدها الإيطالية إلى فضاء الشارع إذ قدّم عطيل شكسبير تحت عنوان (المنديل) في مهرجان المسرح التجريبي الأول في القاهرة عام 1988، وفي الدورة الثانية للمهرجان ذاته مسرحية (في قصر الغوري). «المعرفة تثبت خطى الإنسان في شتى المجالات العملية»، يقول غلوم «لأنه سينجز المطلوب منه بدراية وحسب منهج أكاديمي ورؤية ثاقبة، وقد أفدت من دراستي المعمّقة للمسرح الشيء الكثير سواء كممثل أو كمخرج أو كمدرب في الدورات والورش المسرحية، إذ حصنتني المعرفة من خلط الأوراق مع بعضها بعضاً فلم أجمع بين المدارس والمذاهب المسرحية في العرض ذاته، وكنت حريصاً على إيصال الفكرة بشكل عميق للطاقم الفني العامل معي لإيماني الراسخ أن على الفنان أن يفهم كي يبدع ويوصل هذا الإدراك والوعي للمشاهد بمنتهى البساطة والسلاسة. وغلوم من المسرحيين الإماراتيين القلائل الذين يهتمون باللغة العربية تنظيراً وتجريباً؛ بالرغم من وجود جانب فكاهي كبير في بعضها، فعلى حد قول الكاتب إبراهيم رمزي في مجلة (الصباح) بتاريخ 25 أغسطس 1929 إن الفصحى قمينة بأن تهدم التأليف الكوميدي من أساسه، فلا سبيل إلى كتابة المهازل إلا باللغة العامية، بل إن بعض أنواع الدراما العربية لا يمكن تمثيله بغير اللغة الدراجة، وبانتشار التعليم يمكن للعامية الشعبية والسوقية أن تتحول إلى نوع من العامية الراقية. فالدراجة لا نقصد بها السوقية إنما نقصد لغة الكلام الدراج بين مختلف الطبقات الممثلة في الرواية، فإن من هذه الطبقات طبقة المتعلمين وأشباههم لهؤلاء لغة خاصة تأتت إليهم من المطالعة ومن التأثر بالأساليب الأدبية في التعبير، فهي تستعمل لغة كثيرة الألفاظ المستمدة من الكتابة. ولا سيما ما كان منها وليد الفكر الأوروبي الذي يتناوله المتعلم منذ يدخل المدرسة بطرقه وكتبه وأدبه وفنه وسياسته ومدينته كلها، واستعمال لغة هذا الفريق المتزايد العدد والذي ستنقلب إليه الأمة بعد تقرير العلم على وجه التعميم والإجبار سيؤدي حتماً إلى رفع مستوى اللغة المسرحية من العامية السوقية إلى نوع أقرب إلى ما كان ينصح به قاسم أمين إذ كان ينصح بإسقاط الإعراب من نحو لغة خصصناها للتعليم وتقربنا من الأوروبية وتوفيراً للوقت، إن هذه الفصحى الجيدة تصلح لتمثيل المسرحيات التاريخية، أما عند محاولة تطوير أداء الممثل لمواضيع معاصرة فالأمر مختلف نوعاً. «لكل عمل فني متعته الخاصة أمام الكاميرا»، «يقول غلوم ففيما يخص المسلسلات الدرامية المسألة تتطلب تواجداً لحظيا سيما وأننا نعمل من دون بروفات، ما يطرح صعوبات عدة على الفنان تجاوزها من خلال الحضور الذهني والاستعداد النفسي، فلا

حبيب غلوم

مسلسل «الشهد المر»

بدأ غلوم مشواره في الثمانينيات مخالفاً رأي عائلته حسب تقاليد هذا الوقت، فعمل بالتمثيل والإخراج في بعض المسرحيات والمسلسلات التلفزيونية مثل (حكاية لم تروها شهرزاد) و(الخوف) و(حكاية حنظلة) و(مجاريح) و(خيانة وطن) و(الشهد المر) و(المهرجون)، كما قام بإنتاج العديد من المسلسلات لزوجته الممثلة البحرينية (هيفاء حسين) وتقلد منصب مستشار ثقافي في وزارة الإعلام، ويعمل على تأسيس أكاديمية للفنون في الإمارات لاحتضان ورعاية المواهب الفنية الشابة وأخيراً شارك في مهرجان المسرح الصحراوي بالشارقة في دورته الثمانية عشرة

مسلسل «خيانة وطن»

مسلسل «شيء من الماضي»

خيارثان لدينا والحال أننا في عصر متسارع يشهد تنافساً محموماً بين المنتجين الذين يشترطون الدقة والجودة والسرعة في الانجاز وبأقل التكاليف الممكنة مما يشكل عامل ضغط كبير أيضاً على المخرج، أما عن المسرح فيتيح للممثلين تجويد أدائهم والتناغم فيما بينهم وسرعة التكيف مع المكان بحكم التدريبات اليومية المكثفة فلا يجد المخرج حينها عنتاً في تفجير الطاقة الإبداعية الخلاقة لديهم والوصول إلى ذروة العطاء». إذا دققنا في أعماله التليفزيونية المكبرة فسنجد أنها متمايزة البناء ومتنوعة في الأداء والأسلوب بين التركيب الدرامي الجامع للوجوه الرمزية والبناء البسيط للأنماط التعبيرية المعبرة عن الملامح الأنثروبولوجية المتناثرة في كافة أرجاء الحياة، سيما الأنثوي منها الذي اتسم بدقة التعبير وبساطة التكوين. يمثل (خيانة وطن) نقطة ارتكاز في مسيرته الدرامية، فهو المنتج والممثل ويناقش المسلسل العديد من الثوابت الاجتماعية من وجهة نظر الشباب. «تكمن قيمة المسلسل في كونه يمس ثوابتنا القومية والوطنية ويحث الشباب على الالتزام بها لئلا تتداعى أركان المجتمع وينهار بنيانه». وقد لاحظنا تفاعلاً كبيراً من مختلف الشرائح العمرية مع رسالة العمل حتى إن الصحف المحلية أشادت به مشيرة إلى ما تحمله الدراما من شحنة دلالية عميقة ذات مغزى ومن مقاصد بعيدة المرمى غيّرت ملامح الدراما الإماراتية. وفي مسلسل (هارون الرشيد) سلّط الضوء على الدسائس والخيانات داخل القصر قبل أن تؤول السلطة للخليفة الرشيد الذي لم يتفق عليه المؤرخين، نجح المسلسل وحقق نسبة مشاهدة عالية وصرّح غلوم في أحد اللقاءات التليفزيونية وقتها (إن الدراما الخليجية يغلب عليها النواح والصراخ وتقديم أنماط سلوكية غير سوية، وأن معظم الفنانين الخليجيين ينصرفون عن معالجة مشاكل المجتمع لينشغلوا بتفاهاته طمعاً في الكسب المادي.) وهو هنا يعبر بكلامه عن رأي شريحة لا يُستهان بها من المشاهدين الذين ضاقوا ذرعاً بظاهرة التكرار في مواضيع الأعمال الدرامية الخليجية خصوصاً في الموسم الرمضاني. «ولكن نحن نأخذها كقصة حقيقية ونبني عليها أحداثاً وبالتالي تصبح هذه القصة ظاهرة اجتماعية موجودة في الخليج بكثافة، وهي لعمري مغالطة كبرى ضحيتها المشاهد الأجنبي على وجه الخصوص، ومثال ذلك إثارة بعض الأعمال الدرامية لمشكلة دخول أنثى لصالون رجالي لقص شعرها. هذا الأمر قد يكون حدث لمرة واحدة في فترة زمنية بعينها لكن لا يخول للآخر طرقها كقضية تستوجب النقد. ومن جهتي أبرئ الممثلين عن هذه الصور السلبية التي تم ترويجها عن الدراما الخليجية وأحمل المسؤولية للمنتجين لتقديمهم لقضايا في غير محلها». لهذه الأسباب يرفض غلوم أن يكون هناك دليل استقرائي على الفرض القائل بأن الحقيقة لا تخفى من الوجود حين لا تنظر إليها كما يرفض أيضا القول بأن هذا الفرضية على الأقل درجة كبيرة من الاحتمال على أساس أن مقدمته غير صحيحة لأنه لا يمكن التحقق من صحتها عن طريق الملاحظة، فضلاً عن أن الحقائق غير الملاحظة اجتماعياً لا تخضع بحكم تعريفها للملاحظة. إن محاولة نبذ هذه الأفكار بوصفها غير ذات معنى، خاصة أنه من الواضح تماماً أن الملاحظة البشرية ليست هي التي تؤدي إلى خلق ظروف بعينها، فالحديث عن الأشياء غير الملاحظة لن يكون له معنى إلا إذا تم الربط بين هذه الأشياء غير

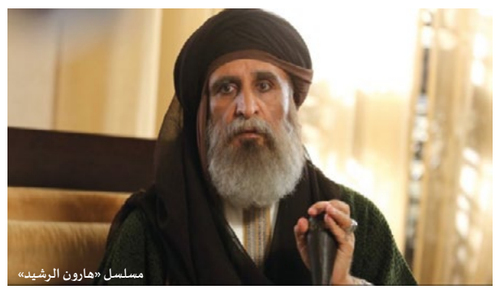
مسلسل «هارون الرشيد»

الملاحظة وبين الأشياء الملاحظة. سوف نؤمن بعقم المحاولات التي تُبذل لإنقاذ مذهب كان في العيان الخاص. إننا نواجه اليوم أنقاض المذاهب الاجتماعية وعلاقتها بالدراما التقليدية وإذا ما حاولنا إنقاذ الأجزاء الصحيحة - على الأقل - من كل مذهب، فسوف يتبين لنا في الحال أنه حتى هذه الأجزاء أقل نفعاً من مجمل المذهب، وبالتالي علينا أن نتغاضى عن هذا التراكم من الأنقاض من دون التحرج من الجيل الأصغر. يرى غلوم أن المسرح الخليجي يعاني من غياب المؤلف المتخصص كما إن الدراما الخليجية تعاني من قلة كتاب السيناريو لذلك نرى قلة يأخذون على عاتقهم مسؤولية تقديم أكثر من عمل في السنة ما يؤدي إلى غياب الدقة في الطرح والعودة إلى النظريات الدرامية الاجتماعية العتيقة التي لا تناسب روح العصر واجترار الأفكار المستهلكة، فتطالعنا بعض الأعمال الدرامية والمسرحية باهتة الحضور مُغرقة في الإسفاف، ومن الحلول التي يقترح أنها قد تسهم في تجاوز هذه الهنات؛ الحصول على نصوص مكتملة عميقة في مضامينها ومقاصدها والتأني في كتابة الأعمال الدرامية والتركيز على أهم المحطات في عرض القضية، ومعالجتها بشكل عقلاني وحضاري بدل الاستعجال والدخول في متاهات الحلول الإخراجية لحل بعض الهفوات والنقائص في بعض النصوص.

أشرف حبيب غلوم على إدارة مهرجان الإمارات لمسرح الطفل فاكتشف العيوب الجذرية الكامنة في فقر النصوص وطريقة التقديم التي يلزمها هي الأخرى تغيير جذري في عقلية المشاهد ونظرته إلى الفن المُقدم للطفل من جهة وتغيير تعامل الدولة مع الميزانية المخصصة لمسرح الأطفال في وزارة الثقافة ففي سائر الإمارات والوطن العربي عموماً يعاني مسرح الطفل من فراغ الإبداع والفنيات الكافية، «لذلك يبقى التحدي الأكبر الاهتمام بالمسرح في المقام الأول كي نتمكن من تقديم عروض مسرحية بشكل يجذب الأطفال ويأسر الألباب (من موسيقى وأزياء وخدع بصرية وغيرها) لكن أنى نحقق هذا المبتغى أمام ضعف الميزانية المخصصة لدعم المسرح، فالدعم السنوي ويقدر بنحو 150 ألف درهم لا يكفي لإنتاج مسرحية واحدة ذات جودة عالية، فلكي تقدم عملاً بالمواصفات المطلوبة يلزمنا ضعف هذا المبلغ على الأقل!». الثقافة بشكل عام والمسرح والأدب والقراءة، هذه جهود وطنية موجودة، لكنها محتاجة إلى الاهتمام المجتمعي، ومن المهم جداً أن نفكر كيف نذهب باتجاه تنمية ثقافية وفنية. هذا ما أكد عليه د. حبيب غلوم في جلسة افتراضية نظمتها «مؤسسة التنمية الأسرية»، ضمن فعاليات أنشطة مكتبة زايد الإنسانية، بعنوان: «دور الفن في دعم ثقافة الأسرة»، وأدارتها عائشة الشرياني من مكتبة زايد الإنسانية. أشارد. حبيب غلوم إلى أهمية المسرح في ثقافة أي بلد، وإن كان تراجع بشكل ملحوظ، ونكاد نفتقد المسرح بسبب تقدم الوسائل التكنولوجية، ودائماً الجديد يأخذ من القديم، مؤكداً على النشاط الثقافي والمسرحي المتواصل في إمارة الشارقة للدعم الذي يقدم له. وتابع د. غلوم قائلاً: نحن الآن نتحرك باتجاه المسرح، وأنا كعضو في أكاديمية الشارقة للفنون الأدائية، ومن خلال تكوين الطلاب والدورات التي سنقدمها لمحبي المسرح من الشباب، إلى جانب الدراسة الأكاديمية، سننطلق من الأكاديمية بالعلم والمعرفة والمنهجية. وأضاف أن المسرح بشكل عام، غاب بسبب كورونا، إلا أننا نسعى إلى إقامة مهرجانات وورش عمل حتى يستمر هذا الفعل الثقافي الذي يلزمه مشاركة جميع أصحاب الهمم ■

مسلسل «هارون الرشيد»

هل تؤثر البرامج التراثية التلفزيونية في ثقافة الشباب الإماراتي؟

د. وائل إبراهيم الدسوقي

الأصالة مطلب حضاري باعتبارها الإطار المرجعي والروحي والأخلاقي والمعرفي للعالم، لكنها لا تعني تقليد الماضي، بل هي تعبير عن الحاجة إلى التعريف بالذات وتحديد العلاقة مع الآخر الحضاري، فهي مقاومة ذاتية للهيمنة، وعامل توازن يمنع المجتمع من التحول إلى ورقة في مهب الريح، فالأصالة نمط ثابت للتفاعل المستمر مع الواقع والعصر، لأن التقدم والرقي لا يأتيان من فراغ، وإنما يعتمدان على قيم وتاريخ، وينطلقان بهذه القيم والنماذج من أجل التقدم أو التطور، فالأصالة ليست رصيداً تاريخياً فحسب، وإنما هي الإرادة والقدرة الذاتية على الإبداع. ومن هذا المنطلق، تأتي دراسة مهمة للباحثتين الدكتورة «فوزية آل علي» والدكتورة «رحيمة الطيب عيساني» بعنوان «عادات وأنماط تعرض الشباب الإماراتي للبرامج التراثية في القنوات التلفزيونية الإماراتية» التي أصدرها مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث عام 2015، لتستكشف مدى أهمية المحتوى الإعلامي، في التدليل على الأصالة وموروثاتها الاجتماعية والثقافية لدى الشباب الإماراتي، واتجاهاتهم نحو البرامج التلفزيونية المهتمة بمسائل التراث الإماراتي والعادات والتقاليد العربية والإسلامية. والمقصود بالبرامج التلفزيونية التراثية التي رصدتها الدراسة، كل البرامج التي تقدم في مادتها الأساسية موضوعات حول تراث المجتمع المادي وغير المادي. والمعروف أن كثيراً من القنوات التلفزيونية الإماراتية تقدم برامج تهتم بالتراث الإماراتي بشكل عام على شكل فقرات قصيرة أو طويلة حسب الحاجة والمناسبة، كما تتخصص أخرى في كل برامجها في التراث الإماراتي بكل أشكاله وأنواعه، وأهمها: شاعر المليون، سباقات الهجن، مجالس الشعراء، البيت، نبض الحروف، مسابقات تراثية، شعراء الإمارات، أطفالنا والتراث، الجولة، شذرات شعر، الشارة، الصوغة، البرزة، النيشان، الهيارت، الميدان، السنيار، الشواب، الفسحة، الملتقى، من القصر، أماسي.

وقد اعتمدت الدراسة في تحليل بياناتها على مقاربتين نظريتين، هما: نظرية «الاستخدامات والإشباعات» التي تقوم على أن للجمهور إرادة يستطيع من خلالها تحديد أي الوسائل يستخدم، وأي محتوى يختاره، ويركز على الدوافع الخاصة بالفرد المستخدم. ونظرية «الغرس الثقافي»: ويشير فرضها الأساسي إلى أن العينات كثيفة المشاهدة تميل إلى تبني المعتقدات التي تعرض من خلال التلفزيون عن العالم الواقعي أكثر من العينات المنخفضة المشاهدة. وتعتمد النظرية في دراستها على ربط العلاقة بين متغيرين أساسيين، هما: حجم التعرض والمشاهدة كمتغير مستقل، والغرس كمتغير تابع.. كما اعتمدت في معالجة وتحليل البيانات المستقاة عن طريق الاستبانة، أي القراءة العلمية للأرقام والنسب المئوية ودلالاتها العلمية أو الواقعية. وقدمت الدراسة استجابات أفراد العينة المختارة لفهم معنى التراث، فمنهم من حدد معنى التراث بالقديم من العادات والتقاليد الاجتماعية، وذكر بعضهم أن التراث هو الثقافة الشعبية القديمة من القصص والأقوال والحكم الشعبية، وآخرون حددوه بالشعر والأغاني والأهازيج القديمة، وأيضاً المباني التقليدية والقصور التاريخية الألعاب الشعبية، وأيضاً القديم من المنتجات والسلع والأدوات. كما عرضت الدراسة لفوائد التعرف على التراث الإماراتي لدى أفراد العينة، الذين رأوا أن أهم فوائد التعرف على التراث الإماراتي هي التعرف على الكيفية التي كان يعيش آباؤهم وأجدادهم عليها، وذكر بعضهم أن الفائدة تتلخص في التعرف على العادات والتقاليد الإماراتية، وكذا أعرب بعضهم على استفادته من البرامج التراثية في أنها تعمل على بناء شخصيتهم وهويتهم الإماراتية، كما إنها تعرفهم على الثقافة الشعبية الإماراتية، والالتزام بالسلوك الاجتماعي المرغوب في مجتمعهم. ورأى آخرون أن تلك البرامج تشجعهم على المحافظة على الإرث الشعبي، وتشجع الشباب على ممارسة الألعاب الشعبية القديمة. أما عن اتجاهات أفراد العينة نحو برامج التراث وقيم المواطنة، فقد عبروا عنها بعدة عبارات إيجابية، هي: أن البرامج تناقش القضايا المحلية الإماراتية بفاعلية ووضوح، كما إنها تهتم بحماية الموروثات الثقافية والتاريخية للمجتمع الإماراتي، وتوثق العلاقة بين ماضي الأجيال وحاضرهم، وتربط الشباب بثقافتهم، وأن البرامج التراثية يتم تقديمها بأسلوب إماراتي متميز، وهي تزيد من معارف

ومعلومات الجمهور المحلي حول موروثاتهم الشعبية، كما تسهم البرامج التراثية في زيادة النشاط السياحي. وبالنسبة لاتجاهات أفراد العينة نحو برامج التراث والقيم الدينية والأخلاقية، فقد اتجهوا إلى أن البرامج التراثية تقوي الشعور الديني، وترسخ القيم والمبادئ الدينية، والتمسك بالفضائل وأخلاقيات بر الوالدين، والكرم والوفاء بالوعد، والتواضع والحلم والعفو، وتسهم في نشر قيم الاعتراف بالفضل، والتمسك بالعادات والتقاليد، وتحمل المسؤولية ومحاسبة النفس، وتقوي الشعور بالانتماء والهوية الوطنية، وترسخ قيم نصرة الحق والمظلوم، والحرية والعمل والمساواة، والسلام والأمن، وتعزز احترام العلم والعلماء، وإتقان العمل، واحترام الوقت.

ولم تكن كل آراء أفراد العينة التي استخدمت في الدراسة إيجابية، بل أن بعضهم كان له آراء سلبية نحو برامج التراث والقيم المهنية، فقد رأوا أن بعضها أساء للعادات والقيم الوطنية الإماراتية أكثر مما خدمتها، وأنها لم تستطع أن تنقل بفاعلية طبيعة الحياة الثقافية الإماراتية القديمة، فطريقة عرض بعض البرامج التراثية في القنوات المحلية ليست أصيلة، بل هي نسخ مقلدة عن البرامج في القنوات العربية والأجنبية، وأن بعض البرامج تفتقد للرواية، ومعظمها بعيدة عن اهتمام المشاهد، وتفتقر إلى الإلمام بالتفاصيل المتعلقة بالبيئة الإماراتية، وتقدم معلومات خاطئة عن التراث الإماراتي، ومعظمها تبث في فترات غير مناسبة مطلقاً ■

* باحث في التراث والتاريخ الثقافي من مصر

الخريطة «حقيبة العرب الدبلوماسية»

د. حسن عبد الوهاب حسين

يعد استخدام الخريطة في حفظ الرسائل من أكثر الاستخدامات لها لحفظ سرية الرسالة المرسلة حيث صار يعبر عن الكتاب أو الرسالة بالخريطة ووردت أول إشارة لذلك في حديث أم سلمة رضي الله عنها بانه قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنح الليل خريطة بها ثمانمائة درهم ومعها صحيفة (المعجم الكبير للطبراني/ 23/299). ولم تزودنا المصادر التي اطلعت عليها بأمثلة بعد ذلك عن استخدام الخريطة سواء في العصر النبوي أو الخلافة الراشدة التي كانت ترسل الرسائل أو الكتب من دون حفظها في الخريطة. أما في العصر الأموي فقد كان يتم نقل الرسالة أو الكتاب وختمها منذ عصر معاوية بن أبي سفيان (القلقشندي/ صبح/ 6/357).

شهد العصر العباسي تنظيماً دقيقاً للخرائط حيث صار هناك ديوان يعرف باسم ديوان الخرائط وعرف صاحبه (بالخرائطي) (الصابي/ تحفة الأمراء/ 177 - 178).

كما كان هناك من يحملون هذه الخرائط حيث كان يتم تسجيلهم وما يحصلون عليه ويتم إثبات المواقيت التي تصل فيها وإليهم الخرائط وذلك في نظام دقيق ذكره قدامة أبن جعفر في كتابه(الخراج 1/52). ومن الطريف إن هناك خرائط مستعجلة يتم إرسالها على الفور من دون انتظار إرسال بقية الخرائط وذلك عندما يعنونها السلطان بـ«ليعجل بها إلى فلان» (أبو جعفر النحاس /عمدة الكتاب /1/230).

وتّعلم الخريطة بعدد من الحلق ما بين خمسة إلى إحدى وعشرين حلقة لسرعه إرسالها.

أنواع الخرائط

يذكر الصابي أن من الخرائط ما هو من الديباج الأسود ويشد رأسها بشرابة أخرى في شريحة مختومة للحفاظ على سريتها (الصابي/ رسوم/127) ويعرف هذا الرباط بالوكاء (الشوكاني/نيل الأوطار/1/243).

أما خريطة الموسم التي ترسل إلى مكة في وقت موسم الحج فأول خريطة كانت صفراء وذلك في عام 247هـ (الطبري/ 9 /344).

خريطة بندراية وربما تعني أيضاً المستعجلة حيث يقول الطبري ولم ينظر به اجتماع الكتب الخرائطية معجلاً به .كما أمر أن يأتيه الرد بنفس السرعة (تاريخ / 8/644).

خريطة الركوب وتكون بصحبة الخليفة أثناء تحركاته (التويفاشى/ سرور النفس).

الخريطة السلطانية والتي يتم إرسالها من السلطان إلى أحد البلاد كما حدث زمن صلاح الدين الأيوبي حيث أرسلت إلى عيذاب (البنداري/ سنا/ 77/78)

طريقة الكتابة والحفظ

تشير المصادر إلى ما قام به محمد بن عبد الملك الزيات من الكتابة إلى صاحب خراسان عندما أمره الرشيد بذلك. فأخرج خريطة بعد أن انتهى من الكتابة وعرضها على الرشيد وأعجب به وقال اختمه فأخرج طيناً ووضع الخاتم عليه وختمة وفي رواية أخرى عن عّنون الخريطة وتحليقها بإحدى عشرة حلقة دليلاً على أهميتها وسرعة إرسالها (القيرواني/ جمع الجواهر/ 110، ابن الأبار/ إعتاب الكتاب/ 136، الصابي/ تحفة الأمراء/ 195) ويذكر العماد الأصفهاني (خريدة القصر /2/274) إن ما يكتب على الخريطة:

يا حاملي لا رأيــت الدهـــــر إقــلالا

وزادك اللـــه توفيقـــا وإقبـــــالا

أعطاك ربـــك أموالا تنـــــال بهـــا

بين الورى مـــن جمـيل الذكر أمالا

الرزق يأتيـــك والأعمـــار ذاهبـــة

أنفق ولا تخشى من ذي العرش إقلالا

يعد استخدام الخريطة في حفظ الرسائل من أكثر الاستخدامات لها لحفظ سرية الرسالة المرسلة حيث صار يعبر عن الكتاب أو الرسالة بالخريطة ووردت أول إشارة لذلك في حديث أم سلمة رضي الله عنها بانه قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنح الليل خريطة بها ثمانمائة درهم ومعها صحيفة (المعجم الكبير للطبراني/ 23/299).

خريطة اكتشفت بالفيوم، مصر، وبها دنانير من العصر العباسي

خريطة الموسم

يقصد بها نقل أخبار الحج وخاصة بعد ما حدث عام 247هـ، عندما شكا محمد بن عبد الله بن طاهر من الخلاف في يوم النحر. فامر المتوكل بانفاذ «خريطة صفراء» تحدد موعد وقفة عرفة بعد رؤية هلال ذي الحجة وان تعود أيضاً بحمل أخبار الحج (ابن الأثير/ الكامل/ 6/ 134) ويبدو أن الأمر لم يستمر على ذلك فقد حدث اختلاف في يوم عرفة بين بغداد ومكة في عام 312هـ، وربما يرجع ذلك على ما حدث من اعتداء على ركب الحج في هذا العام (الطبري/ تاريخ/ 11/ 247).

وعمل الخليفة على حماية الخريطة التي تحمل أخبار الموسم فامر بالقبض على العلوي الذي يعرف بالحرون لاعتراض الخريطة وأخذها وذلك في عام 268هـ (الطبري/ تاريخ/ 5/ 559). أما بعد عودة الحج وتوقف مهاجمة القرامطة فقد كان هناك رجل يعرف بالخلنجي يحمل الخريطة ويسبق الحجاج قبل عودتهم وهو ما أشار اليه الصولي في حوادث أعوام 326هـ، 328هـ،332هـ. وتضمنت الخريطة أخبار موسم الحج وسلامة الحجاج قبل عودة الركب نفسه إلى بغداد.

الخريطة والأخبار السياسية

حملت الخريطة الكثير من الأخبار السياسية وخاصة أخبار الخارجين عن الخلافة كما حدث في عام 195هـ، وخروج طاهر بن الحسين وقطعه خطبة المأمون في عام 265هـ، ووصول الخريطة بذلك ،ثم تبعها خريطة أخرى عن وفاته (ابن طيفور/ بغداد/67).

وفي تمرد بابك الخرمي أشارت المصادر إلى كيفية نقل الخريطة عن طريق الديادبة على رؤوس الجبال واطلاقهم صيحات رجال البريد لمعرفة وصول الخريطة التي كانت تصل في أربعة أيام. (ابن مسكويه/ تجارب الأمم/ 4/218). كما حملت خريطة خبر مرض هارون الرشيد، ثم وفاته في المحرم 223هـ (النسوي/ المعرفة/ 1/209).

الخريطة والحقيبة العسكرية

لم يقتصر دور الخريطة على النواحي السابقة بل امتد لحمل الأوامر العسكرية. ومثال على ذلك تلك الخريطة التي كان يحمل فيها أمير المقدمين الذي يرسله الحافظ بالله الفاطمي إلى عسقلان وتشمل على أوراق العرض إلى والي عسقلان للنفقة على العساكر المرسلة .(المقريزي/اتعاظ الحنفا/3/190). وفي موكب الخليفة الفاطمي كان هناك صبيان يحمل كل واحد منهم سيفاً في خريطة من ديباج أحمر بشراشيب عرفت بسيف الدم. (أبو المحاسن/النجوم الزاهرة/4/89).

وهكذا شكلت الخريطة أهمية خاصة في تاريخ العرب بما حوته من أخبار سياسية وعسكرية ودينية حرص الخلفاء على أرسالها عبر نظام دقيق أنفردت به الحضارة الإسلامية لتكون جزءاً من تراثنا ■

* أستاذ بقسم التاريخ –جامعة الإسكندرية، مصر

ملامح من الثقافة الشعبية في السينما المصرية

وائل سعيد

الوعي الجمعي، أحد المُشتركات الحياتية المُشكلة للمُجتمعات، وغالباً ما يكون مُستهجناً من قبل النُخبة، كونه الأب الشرعي لثقافة القطيع. رغم ذلك، يتمتع هذا الوعي بالشيوع بين كافة أفراد المجتمع، ويتخذ من التراث مكوناً رئيساً، حيث يشترك الموافق والمُعارض علي السواء بالدراية - الكاملة والمنقوصة - بعناصره المختلفة من تقاليد ومأثورات وحكايات شعبية وأسطورية أيضاً، والتي تمثل في مجملها ركيزة أساسية لإعادة بناء التصور التوثيقي للفترات الزمنية السابقة من قبل المُعاصرين. ويعد التراث الشعبي بقصصه البسيطة من أكثر الموتيفات الفنية شيوعا لرسم صور غنية بالحياة، يقول د.سعيد المصري: «تُعلمنا دراسات علم الاجتماع وعلم الفولكلور والانثروبولوجيا الثقافية والدراسات الثقافية على مدى القرن الماضي أن البشر يواجهون الحياة بما لديهم من موروثات ثقافية، وبهذه الموروثات ومعها يُغيرون حياتهم ويتغيرون - إعادة إنتاج التراث الشعبي - هيئة الكتاب».

صلاح أبو سيف.. واقعية السيرة الشعبية

تتعقب الواقعية في الفن أثار الواقع من حولها، وهو ما استطاعت السينما عبر تاريخها تحقيقه بجدارة من خلال الصورة. فحين نتأمل تجربة أحد أبرز الأسماء في مدرسة الواقعية، يظهر التراث كسمة أساسية في عالمه الواقعي، من حيث مضمون القصة أو «الشكل الفيلمي» كما دعاه آيزنشتاين.

بدأ الموضوع مبكرا مع أبو سيف، حيث يستعيد في تجربته الرابعة في الإخراج «مغامرات عنتر وعبلة 1948» ، قصة الحب الشهيرة للثنائي العربي. ويتلبس عباءة الراوي القديم الذي كان يدور على المقاهي والأسواق يحكي الحكايات في «الزوجة الثانية 1967»، داعيا المتفرجين إلى مشاهدة حكاية من «صندوق الدنيا» حول العمدة والفلاح الغلبان، بالإشارة الصريحة إلى أسماء الممثلين في التتر، كشهود عيان على القصة. في مشهد الأراجوز يخلق تناص بين الحبيبة في صراعها مع استبداد شيخ البلد الذي يستكثرها على الأراجوز ويريدها لنفسه؛ المشكلة نفسها التي تكابدها «فاطمة - سعاد حسني» مع العمدة «عتمان - صلاح منصور»، ما يجعلها تستلهم من أمثولة الأسكتش «ده ما تخلقش اللي قدر يغلب مرة..» وسيلة للتحايل على السلطة، تفضي بالفعل إلى هزيمة العمدة الذي يلفظ أنفاسه محسوراً معلناً عن انتصار الفلاح الغلبان من خلال ذكاء زوجته.

سبق أن استفاد أبو سيف في فيلم «الفتوة 1957»، من شخصية الراوي في المقهي، فبينما يتحسر «هريدي - فريد شوقي» على ما أصابه جراء المواجهة العبثية مع «أبو زيد - زكي رستم»، يشد غناء الراوي انتباه «حُسنه - تحية كاريوكا»، فتستلهم بدورها من «الزناتي خليفة» وسيلة لخداع الخصم اللدود، على الرغم من أن نجاح خطتها هذه المرة، لا يحقق النجاة لهريدي الذي ينساق هو الآخر بعد أن تربع المشهد إلى الممارسات الاحتكارية نفسها لسلفه، «أبو زيد». ومن هنا يطرح المخرج مفارقة بين بطولة الزناتي المبنية على إرث الفروسية، وبطولة هريدي الاستهلاكية الذي دخل السوق حافيا كانموذج لطبقة برجوازية جديدة.

للفلكلور طُرق متشعبة

للمخرج عاطف سالم فيلمان، يُعدا من أشهر أمثلة التراث الشعبي في تاريخ السينما العربية؛ «أم العروسة 1963 - الحفيد 1975»، قدم فيهما صورة واقعية للأسرة المصرية المتوسطة وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية من خلال تجهيز العروس ووقائع السبوع للحفيد الأول. وبالرغم من أن المخرج تناول موضوع التراث في أفلام أخرى مثل «المماليك، خان الخليلي أو السيرك»؛ فإن فيلمه «صراع في النيل 1959» يمثل محطة مختلفة وشديدة

الأهمية في مشواره الفني الغزير، حيث يجتمع فيه أكثر من عنصر تراثي، بداية من مشهد التقديم لشخصية البطل «مجاهد - رشدي أباظة» أثناء اشتراكه في التحطيب أمام مجموعة من الأجانب على خلفية معبد الكرنك، مما يدعو السائحات لالتقاط الصور معه بمصاحبة تماثيل أجداده الفراعنة. ويُدمج الفيلم بعض المفاهيم المُجتمعية في مشهد توديع أهل القرية مجتمعين للرحلة المقدسة المنوط بها شراء «الصندل» الجديد كي يحل مكان مركبهم القديم اليدوي، عقب اكتتابهم العام للتأكيد على فكرة الارتباط القبائلي في صورة عصرية؛ حيث تسلم الأجيال القديمة الراية للجيل الحالي وتُقر بالتكنولوجيا الحديثة. يمزج المخرج بين مجموعة من الرموز التراثية منها «عروس النيل»؛ أشهر الأسماء التي تطلق على المراكب النيلية، وأغنية الفيلم وتكرارها «يا مهون - لمحمد قنديل كلمات مرسي جميل عزيز ولحن محمد الموجي»، الذي يستحضر حالة الصد والرد للموج بجملته اللحنية، مع صوت قنديل الشجي العذب كمياه النهر الخالد. كذلك لم تخلُ الموسيقى التصويرية لفؤاد الظاهري من استحضار التراث، بلعبها على تيمات تراثية كـ «سلم علي..» وتنويعاتها وإدماجها مع مقطوعات لموسيقى فرعونية.

أما سيناريو علي الزرقاني، فقد وظف الأسطورة في الرحلة بجنية البحر المتمثلة في «نرجس - هند رستم» التي تحاول إغواء مجاهد ومن معه وتلقى حتفها في النهاية. واستفاد من تراث الزلعة أو البلاص الفخارية في التصاعد الدرامي للأحداث بتخبئة الكنز (المال) في إحداها.

شخصيات وأماكن.. حكايات شعبية

قدمت سندريلا الشاشة سعاد حسني العديد من الأدوار الخالدة، لا تتعلق بالتراث في معظمها، إلا أن بداية ظهورها كان من خلال قصة الحب الشهيرة لـ «حسن ونعيمة - إخراج هنري بركات 1959». وفي سنة 1978 قدمت من خلال «شفيقة ومتولي - إخراج علي بدرخان»، قصة الحب الأخوي في حدث تاريخي وهو حفر قناة السويس منتصف القرن التاسع عشر. ورغم أن عناصر الفيلم مجتمعة كانت قادرة علي تجسيد الزمن من خلال الاكسسوار والديكور وأماكن التصوير والأداء الرهيف لكافة فريق العمل؛ فإن أشعار صلاح جاهين تحتل دور البطولة بامتياز في هذه الخلطة الفنية الغنية، والتي عكست الصراع النفسي بين شفيقة ومتولي ومن حولهم، ورسمت صورة للحياة الاقتصادية والسياسية من خلال صوت جاهين نفسه المُصاحب للأحداث، بدءا من «متولي سحبوه متكتف بالحبال يا رجال».. وختاما بـ

«يبكي عليها وعليه وعلى بنات الناس.. اللي تبيع عرضها في القحط وزمانه». لم يقدم المخرج توفيق صالح سوى عدد هزيل جداً من الأفلام، غير أنها تعد من أميز وأهم أفلام السينما العربية، منها «درب المهابيل 1955»، مشاركا في كتابة السيناريو مع نجيب محفوظ، عن رحلة ورقة اليانصيب الرابحة المفقودة من صبي العجلاتي «طه - شكري سرحان» في حارة شعبية، وهي بمثابة مهر لعروس الحارة الجميلة «خديجة - برلنتي عبد الحميد». وبرغم أن الفيلم اقتصر على التصوير الداخلي «الاستديو»؛ فقد تمكن الديكور البسيط لمفردات الشارع والأسطح - مكان لقاء الحبيبين - من محاكاة الواقع الشعبي للحارة المصرية بمصاحبة الأداء العفوي لشخصيات الفيلم.

الفرح .. قانون المجتمع الجديد

تقوم حبكة فيلم «الفرح - إخراج سامح عبد العزيز 2006» على استخدام طقوس الأفراح كمسرح أحداث لقصص حميمية. ويوظف الفرح بصورته الشعبية - الحارة - في إصدار معاصر لا يمت بصلة للأفراح القديمة من حيث طقوسه وهدفه المعلن؛ فالفرح هنا مجرد حيلة شكلية لجني «النقوط» وتجميع ثمن الميكروباص للأسطى «زينهم - خالد الصاوي»، بمعاونة الريس «حبشي - محمود الجندي» متعهد إقامة هذا النوع من الأفراح أو ما يسمونه «بالجمعية»؛ لفك كرب أحد المشاركين فيها، على أن يقوم برد المبلغ لاحقاً على أقساط متساوية عبر دعوات متتالية. أجاد سيناريو أحمد عبد الله في التقاط تفاصيل الاستعداد للفرح وخلق شخصيات مؤثرة إنسانياً تجتمع كلها في حدث واحد مع اختلاف مقاصدها، الأمر الذي استغله المخرج بمهارة في تسكين الأدوار وتحريك الشخصيات، لتكون النتيجة حالة من التناغم بين جميع العناصر على رأسهم التمثيل ■

اشْتِهَاء المَال فِي الفيلم الإماراتي «دَرَاهِم»

عبد الهادي شعلان

للمال شهوة في النفس، رُبَّما يجعل المال الزوجة تترك زوجها الطيب الَّذِي يسعى لراحتها دائماً ويبذل ما في وسعه لإسعادها، المال قد يجعل الأم تترك ابنها الصغير الَّذِي يكون في أشد الاحتياج لوجودها بجانبه؛ فتهجر البيت من أجل جواهر تضعها في معصمها أو حول عنقها، قد يجعل المال الإنسان ينحرف عن الطريق القويم ويقوم بأعمال ترفضها الأخلاق، المال يَسْحَر بعض النفوس ويشدّها إليه فلا ترى غيره، ويبقى السؤال الأزلي، هل المال وحده يحقّق السعادة للإنسان بعيداً عن الأسرة والدِّفء الإنساني؟ هذا ما يطرحه فِيلْم «دراهم» إخْرَاج: جرير المردود، كتابة: أمير الأشمل، بطولة مريم حسين، عَبْد الله بن حيدر، آلاء شاكر، هدى الغانم.

شهوة إنسانيَّة

قبل أن نبدأ الدخول لعالم فِيلْم دراهم سنجد جُمْلَة مكتوبة للمُشَاهِد بأن «أحداث هذا الفِيلْم مستوحاة من خيال الكاتب لا تشمل أي مجتمع أو أي بيئة» وحين تشاهد الفِيلْم ستجد بالفعل أننا لو قمنا بنقل أحداث الفِيلْم وشخصياته لأي مكان آخر فلن يتغيَّر شيء في المضمون، سيبقى الفِيلْم يقول في النهاية كلمته الَّتِي يسعي إليها، فهو يضرب على اشتهاء المال داخل نفوس بعض البشر، وهو شيء إنساني عام، يمكن أن يحدث مع أي إنسان في الدنيا. المدَّة الزمنية الَّتِي تم سرد أحداث الفِيلْم فيها مدَّة زمنية كبيرة، كانت في حاجة لقطع زمني على فترات حَتَّى يستوعب المشاهد مرور الزمن عبر نقلات مَشَاهِد الفِيلْم، استخدم صُنَّاع الفِيلْم القطع عن طريق منظر البحر الكبير؛ وكأنهم يريدون أن يقولوا للمُشَاهِد إن الحياة تمر كموج البحر، وأن هذا المرور لن ينتهي، إلى جانب إشارة كتابية للمدَّة الزمنية الَّتِي مرت بها الأحداث؛ حَتَّى يتم استيعاب التغيُّر الزمني والدرامي للفِيلْم، وإن كانت هذه الدلالة من القطع عن طريق البحر كافية كفاصل ناعم للأحداث.

بين الحنان والمال

أحسن صُنَّاع الفِيلْم في اختيار الممثِّلة مريم حسين في دور شمس، بملامحها الَّتِي تشعرك بأن لها شغفاً واضحاً بالحياة، تطلب المزيد من المجوهرات والدَّرَاهِم بشكل يوحي بعطش داخلها، كأنها لا تشبع من المال، تعبيرات وجهها توحي بعدم الرضا عن الحياة الَّتِي تعيشها مع زوجها، وأنها تريد أن تعيش في مستوى أعلى ممَّا تعيش فيه، فهي ترى نفسها ملكة، حَتَّى إنها قالت ذلك صراحة في نهاية الفِيلْم. أيضاً كان اختيار الممثِّل عبدالله بن حيدر الَّذِي قام بدور زوج شمس اختياراً حسناً؛ فملامحه متناسبة تماماً مع الدور الَّذِي قام به والَّذِي كان يتطلَّب الطيبة الراضية الساعية للحياة الهادئة، تصرفاته بها الكثير من الحبّ والمودَّة لزوجته شمس والَّذِي يجعلك تتعاطف مع شخصيته وترفض كمُشَاهِد أن تتركه شمس هو وابنهما، هذه الشخصيَّة كانت تعطينا نفوراً من اتجاه شمس نحو الشغف بمزيد من الدَّرَاهِم مع أفعالها العنيفة القاسية، فالطيبة ظهرت في الفِيلْم مقابل العنف، والحياة الهادئة مقابل الشغف الحاد للمال، كان ذلك واضحاً في الزوج مقابل الزوجة. كما كان وضع الابن وحيد في محل أزمة نفسيَّة في مدرسته منذ بداية الفِيلْم ما يجعله في حاجة ماسة لوجود والدته شمس معه، وهذا ما لم تفعله شمس؛ بحثاً عن الدَّرَاهِم والمجوهرات، كان إهمالها لابنها وتركه يجعلنا ننفر من هذا الشغف الغريب بالدَّرَاهِم.

البحث عن الدَّرَاهِم

المُشَاهِد ينحاز منذ البداية لجانب الأب والابن، وبالتالي فنحن نتابع مصير شمس العنيف بحثاً عن الدَّرَاهِم، ونريد أن نعرف هل ستسبِّب لها الدَّرَاهِم والمجوهرات أي سعادة، فيظهر للمُشَاهَد أن شمس تعيش حياة مريحة مع زوج جيِّد وطفل وحيد، كلها أسباب تؤدي للسعادة، لكن شغف شمس بالمال هو المحور الَّذِي تدور حوله شخصيتها، وهذا ما سنتتبَّعه في الفِيلْم، حَتَّى إنها حين تم انفصالها عن زوجها الطيب قالت: «باركوا لي» ثم تركت ابنها ولم تعد تفكر في رؤيته، كانت تطلعاتها المادية أقوى من مشاعر الزوجة والأم. منذ البداية وشمس تطل على الشَّاشَة وبها شراهة للمال، فنجد أنها حين اختلفت مع زوجها والد ابنها وأخبرها أنهم سيذهبون للسوق، وأن طلباتها مجابة رأينا أول ابتسامة لها على الشَّاشَة، ورأينا مدى اشتهائها للمال، حين انفصلت عن زوجها الأول كانت أول مرَّة نسمع أغنية أجنبية في الفِيلْم وشاهدنا الرجل الآخر الَّذِي كانت شمس تريد الزواج منه، كان على عكس زوجها ووالد ابنها، هل أراد صُنَّاع الفِيلْم أن يوضع صراع بين ما هو شرقي وما هو غربي، من ناحية التقاليد في الحياة؟ حَتَّى إن أخا شمس كان يرفض سلوكياتها ويقول إننا لسنا في أوروبا، شمس تريد حياتها وحدها، حريَّة مُطْلَقة تصنع بها ما تريد، أن تحصل على كل الأموال الَّتِي تريدها فقط من حسنات جمالها. تزوجت بأول رجل كان يجلس في محل فخم؛ لأنها ظنت أنه يمتلك أموالاً طائلة، حَتَّى إن المُشَاهِد كاد يتنفَّس بعمق حين بدا من زوجها الآخر بعض التضييق عليها أثناء ورود مكالمة تلفونية لها، فطلب منها أن تفتح السماعة الخارجية

أحسن صُنَّاع الفِيلْم في اختيار الممثِّلة مريم حسين في دور شمس، بملامحها الَّتِي تشعرك بأن لها شغف واضح بالحياة، تطلب المزيد من المجوهرات والدَّرَاهِم بشكل يوحي بعطش داخلها، كأنها لا تشبع من المال، تعبيرات وجهها توحي بعدم الرضا عن الحياة الَّتِي تعيشها مع زوجها، وأنها تريد أن تعيش في مستوى أعلى ممَّا تعيش فيه، فهي ترى نفسها ملكة، حَتَّى إنها قالت ذلك صراحة في نهاية الفِيلْم

شمس تنظر لصديقتها بحسرة وهي تدخل محل المجوهرات

شمس تنظر بإعجاب للرجل الغني

الزوج يمارس عمله بجد

زواج شمس م الغني كبير السن

شمس في عصبية مع زوجها أبو ولدها في الطريق

شمس مع زوجها كبير السن تنظر في انبهار للمجوهرات

ليسمع المكالمة، هذا المشهد سبَّب لشمس كسرة نفسيَّة أراحت المُشَاهد وجعلته يتعاطف أكثر مع الزوج المهجور؛ لأنه كان في غاية التسامح معها، وتعرف شمس أن هذا الزوج مجرم، مطلوب من مجرمين آخرين، ورأيناها تسير في الطريق منكسرة، بعد أن تعرَّضت للإيذاء النفسي من المجرمين الَّذِين يطاردون زوجها، ثم انفصلت عنه. وتستمر رغبة شمس في الانغماس في الخطأ حين أراد صُنَّاع الفِيلْم أن تلتقي بامرأة صدفة على الطريق دلَّتها على الوسيلة السهلة للحصول على الأموال والدَّرَاهِم، وذلك عن طريق اللقاءات مع الرجال، هذه المرأة كان مظهرها الخارجي وملابسها يوحي بأنها فتاة لَيْل محترفة، وحين انجرفت شمس في طريق هذه المرأة تذكَّرنا زوجها الأول، وإن ما يحدث لها من جراء هذه المعاناة الَّتِي كان يعانيها الزوج وولده، ظهرت معاناة الزوج الأول والابن في تقاطع صامت مع تطور حياة شمس الشخصيَّة، حَتَّى إنها حين أرادت أن تَتَفَاخَر بأموالها لإحدى صديقاتها قالت الصديقة إنها تُحِبُ الأولاد، كانت هذه كسرة داخلية لشمس مما يجعل المُشَاهِد يعود بذاكرته لابنها المهجور. تزوجت شمس في النهاية من رجل عجوز أكبر سناً من والدها؛ من أجل أمواله الطائلة، كأنها بدت أمامنا قد باعت نفسها بهذا الزواج من أجل المال، أجادت مريم حسين في تجسيد حالة الشغف للمال بعيداً عن السعادة الصافية للنفس، فلم نشعر أن المال قد حقَّق لها سعادة النفس.

بعيداً عن السعادة

تأتي الأزمة الَّتِي ستكشف كل ما يدور داخل شمس من حب الدَّرَاهِم حين تدهس غلاماً في الطريق بسيارتها فيموت، اشترت سكوت أهله عن طريق تعويض مالي كبير أخذته من زوجها العجوز، وهنا تأتي النهاية الَّتِي توحَّشت فيها شمس وصارت ترى أن كل شيء يمكن أن يُشْتَرى بالدَّرَاهِم حَتَّى دماء الناس.

لا يتركنا صُنَّاع الفِيلْم من دون أن يشعرنا بأن المال ليس سبباً للسعادة ففي لقطة ناعمة نجد شمس تنام على سريرها الحريري، أمسكت الجواهر الثمينة، ووضعتها جانبها، كانت وحدتها وسط اللون الأزرق تقول إنها تعسة، وأنها مهما امتلكت من أموال فإنها الآن تنام وحيدة، حَتَّى جاءت النهاية غير المتوقعة، ودخل رجل ملَّثم إلى بيت شمس وخنقها بالوسادة، وانتهى الفِيلْم ووصلت الرسالة بأن الدَّرَاهِم ليست كل أسباب السعادة، وتنفس المُشَاهِد ارتياحاً ■

شمس في بيتها ترفض مستوي المعيشة الذي تعيش فيه

العتاب

محمد خلف
كاتب من مصر

تأملت في أحوال الأعداء والمتخاصمين ومن دب بينهم الخُلف والشقاق فحال بينهم وبين تذكر الفضل بينهم، وأنساهم محاسن أنفسهم، فوجدت أن أغلب هذه العداوات والخصومات نشأت وتمددت مع أنه كان في الإمكان أن تتوقف ثم تتلاشى وتزول لو أن أحد المتخاصمين بادر بمعاتبة الآخر، ومراجعته وتنبيهه إلى خطئه، بدل أن يرد عليه الخطأ بالخطأ أو يمسك جوارحه عن الرد ويطلق لنفسه العنان في حمل مشاعر الحقد والغضب والضغينة تجاهه.

وكلمة العتاب تعني أن تنبه الشخص إلى خطئه من دون قسوة أو تجاوز حملاً له على تدارك هذا الخطأ والاعتذار عنه. العتاب هو نوع من أخذ الحق بحكمة ومرونة، وكم من موقف بسيط تحول إلى نار حامية لأن أسلوب الغشم تقدم على أسلوب العشم، لأن القسوة والخشونة وضعت في محل الحكمة والمرونة، لأن الموقف لم يتم معالجته بالعتاب الهادئ.. (وفي المعجم الوسيط: «عتب عليه: خاطبه مخاطبة الإدلال طالبا حسن مراجعته ومذكرا إياه بما كرهه منه»).

(وقال المفسرون في تفسير قوله تعالى: (فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون) سورة الجاثية الآية 35، «فاليوم لا يستطيع أحد إخراج هؤلاء من النار، ولا هم يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالاعتذار». تفسير المنتخب) حكى الكاتب عمر طاهر في أحد كتبه أنه أثناء مشاهدته لفيلم «أغنية على الممر» اتصل به الفنان الكبير محمود ياسين ليعاتبه بخصوص مقال كتبه ينتقد فيه أفلام حرب 6 أكتوبر، وبدل تلخيص القصة سأترك الكاتب يحكيها بنفسه، يقول: «لم يمر ببالي أن أجد بطل الفيلم يتصل بي تليفونياً .. علمت بعد أن قال لي أنا فلان أنه بصدد مناقشتي في مقال كتبته قبل يومين عن أفلام أكتوبر.

قلت ربما انزعج من ملاحظة ساخرة على ما قدمته السينما المصرية من أفلام عن الحرب، بالذات عندما قلت إن ياسين شارك في سبعة أفلام عن الحرب بذقن لامعة وسوالف كاملة ولم تصبه طلقة واحدة.

ولكن الفنان الكبير كان كبيراً حتى في أسلوب نقاشه، وفي طريقة عرضه لوجهة نظره. حكى لي الفنان الكبير كم كان تصوير هذه الأفلام مرهقاً وضخماً في الوقت نفسه مما تطلب منه البقاء على الجبهة أكثر من عام تحت إدارة مخرجين كبار، بينهم مخرجون إيطاليون متخصصون في تنفيذ المعارك. حكى لي عن الجنود الحقيقيين الذين كانوا يتعلمون منهم كيف دارت الحرب ... كانت قصصه ممتعة ومشرفة بشكل جعلني أراجع نفسي فيما كتبته، وأسأله إن كان صادف في المقال ما قد يفسد فخره بهذا الإنجاز فرفض بكل أدب أن يعلق على ما ضايقه وإن كان باديا أنه يرى أن هذه الأفلام ربما من الظلم أن يتم النظر إليها بعين ساخرة ..».

من المؤكد أن الفنان محمود ياسين استاء من النقد الذي يراه موجها إليه من كاتب في سن أبنائه لم يكن قد ولد بعد حين بدأ محمود ياسين تصوير هذه الأفلام (عمر طاهر من مواليد عام 1975)، وكان بإمكانه أن يرد له الصاع صاعين، ولكنه لجأ إلى الحكمة فهدته إلى العتاب فانقلب الموقف لصالحه وتحولت الكلمات السلبية عنه التي نشرت في مقال كُتب في جريدة تقرأ ثم يُستغنى عنها إلى مقال إيجابي تضمنه كتاب يحتفظ به الناس في مكتباتهم يقرأونه مرات ويعيرونه لغيرهم ويورثونه لمن بعدهم.

هكذا قلب العتاب اللطيف الجميل الموقف مائة وثمانين درجة وتحولت الكراهية والضعينة إلى محبة ومودة وخرج الفنان منتصرا أيما انتصار فكتب بخط يديه ما يحب أن يعرفه الناس عنه وعن أفلامه وجعل الكاتب يندم على ما كتبه ويتراجع عنه ثم يسجل فضله ويشكره ويثني عليه.

إنني أنصح نفسي والآخرين بأن نبدأ بالعتاب الهين اللطيف قبل أن نشهر سيف الخصومة والعداء، فإن الإبقاء على أواصر الود والمحبة وتجنب الخصومة والكراهية لهدف عظيم يستحق أن نبذل من أجله وسعنا ونستفرغ له همتنا ■

خطوات نحو الفرح

د. فاطمة حمد المزروعي
كاتبة وباحثة من الإمارات

السعادة الحقيقية والدائمة هي المرتبطة برحلة المرء لتحقيق أحلامه' فهناك غاية يسعى إليها ، وأول خطوة هي معرفة الذات، فمن المهم أن يعرف من هو؟ماذا يريد؟ما نقاط قوته؟ما نقاط ضعفه؟كيف يحسنها؟ أين سيكون بعد سنوات؟ هذه المعرفة تساعده في وقت الأزمات؛ ليكون الإنسان نفسه كما يحبّ ويخطط لذاته، لا كما يريده الآخرون، قد يكتشف المرء مصدر قوته بعد معاناة مثل محمد القحطاني، وهو طالب خليجي، صفعه المعلم في الصف الثاني الابتدائي بسبب التأتأة، فأرشده صديقه لتقديم الإذاعة المدرسية، ضحكوا عليه أكثر من مرّة، ثم قدّم الكوميديا في السعودية وفي أمريكا، وفي كل تجربة جديدة تأتيه التأتأة لكن مع هذا فاز بلقب أفضل خطيب في العالم 2015، بعد أن تعرف على ذاته، وأدرك مصادر قوته، فعمل جاهدًا؛ ليثبت للعالم ولنفسه أنه قادر على تجاوز نقاط ضعفه، وتحقيق هدفه.

ولابد أن يتمتع المرء بقوة احتياطية في داخله، أساسها الثقة بالنفس والتفاؤل، ومن ثم العمل الجاد، ونمط الحياة الصحي، والاستمتاع بالحياة. وأن تكون له علاقات طيبة في المحيط الذي يعمل فيه، فهم يساعدونه إن واجه مصاعب أو ضغوطات، حيث يمكنهم تخفيف العبء عنه مادياً أو نفسياً، أو الأمرين معًا.

هي علاقة لابد أن يسودها: الاحترام، التقدير، حسن الانصات ومناقشة الأفكار مع البعد عن الانتقاد المباشر والفج، باستبداله بطرق ذكية، مع توخي العدالة في العمل مبتعداً عن التحيزات الضيقة، بالحرص على التحلي بالتسامح، الذي ينعكس إيجابياً على الشخص، حيث يتمتع المتسامح بمزاج إيجابي وثقة بالنفس؛ مما يجعل علاقاته أفضل مع الآخرين، كما أن له فوائد صحية مثل خفض ضغط الدم والتوتر. وهناك من يستنزف طاقة المرء وإيجابيته فلابد من الابتعاد عنهم، من هؤلاء السلبيون والمتطفلون والنرجسيون، كثيرو الشكوى، أو تحييد تأثيرهم من خلال تقليل فرص اللقاء بهم، أو حتى تقليل مساحة الحوار معهم.

وهناك أمور معينة في سبيل السعادة الدائمة، منها النوم؛ لإراحة الجسد والعقل؛ للتخلص من الضغوطات وتجديد النشاط، كما إن بعض أعضاء الجسم تعمل ليلاً.

إضافة إلى أن قلة النوم تتسبب في أوجاع كثيرة منها الآم الرقبة، والكتفين، الشد العضلي، تقلل المناعة، مما يزيد من احتمال الإصابة بالأزمات القلبية، وقد يلجأ بعض الأشخاص النهام كميات أكبر من الطعام خلال اليوم. كما يعدّ النوم عنصرًا غير مباشر من عناصر التميز والنجاح، كما جاء في دراسة د.آندرز أريكسون في عام 1993 عن النوم، فوجد «أن المتميزين ينامون أكثر من غيرهم بمقدار ثماني ساعات و36 دقيقة، بينما يحصل الشخص العادي على قسط من النوم يتراوح بين ست وسبع ساعات» ليضيف عنصر النوم للمتميزين إلى جانب الموهبة والتدريب. الطريق إلى السعادة.

يعدّ الطعام إحدى متع الحياة، لابد أن يراعي الإنسان عند تناوله الكمية والنوعية، كما إن كمية الخضار والفواكه في اليوم تحدد مستوى السعادة والمزاج، حيث أجمعت الدراسات على أن معظم المعمرين يتصفون بعادات سلوكية، منها الإكثار من تناول الخضراوات والفواكه، النوم ما بين 7 - 9 ساعات يوميا، الحركة وممارسة الرياضة، والإيجابية والتفاؤل. ومن الأنشطة المهمة للجسد والعقل ممارسة الرياضات المختلفة فهي مفيدة للعقل وللجسم، تفرغ الطاقات السلبية، تثير البهجة والخفة، وأما الهوايات فهي وسيلة طيبة لقضاء الوقت ولإراحة العقل وللإحساس بالجمال، وهي متعددة السباحة، المشي، الرياضات المختلفة، الفنية، وغيرها الكثير.

وقد يسبب المرض ضيقاً لدى بعض الشخصيات، لكنه قد يكشف أيضًا عن جوانب العظمة عند بعضهم. مثال: ذوو الهمم، الذين كشفت إعاقتهم عن مواهب مدفونة، من المهم تقبل المرض في حال استحال علاجه والتكيف معه. إن الأمر في النهاية ليست مسألة صحة أم مرض،وإنما كيف يتفاعل معه المرء، هي خطوات صغيرة يومية، لكنها مهمة؛ لإضفاء الإيجابية والمرح على رحلة الحياة ■

إعلان طباعة كتب

وَضَع نادي تراث الإمارات ومركز زايد للدراسات والبحوث خطُة لرفد المشهد الثّقافيّ الإماراتيّ بإصدارات متنوّعة كلَّ عامٍ فيما يخص تراث وتاريخ الإمارات فقط. تغني المكتبة التراثية الإماراتية، وتفتح منافذ معرفيّة جديدة أمام الباحث الإماراتي والعربيّ، وذلك بدعوة المؤلّفين والباحثين والكُتّاب والأدباء الإماراتيين والعرب إلى طباعة كتبهم وتسهيل نشرها وتوزيعها في المركز والمشاركة بها في المعارض والفعاليّات الثّقافيّة، ويمكن للراغبين في ذلك إرسال مؤلّفاتهم؛ لنشرها بعد أن يُقرّها فريقُ تحكيم من المختصّين. يُقدِّم المركز لمؤلّف الكتاب مكافأة ماليّة تتراوح بين (1500 - 2500 دولار أمريكي). يَشْمل هذا المبلغُ التعويضَ عن حُقوق نَشْر الكتاب، وطباعته، وترجمته، لمُدة خَمْسِ سَنَواتٍ من تاريخ إبرام العَقْدِ بين المركز والمؤلّف. كما يُقدِّم المركز عشرين نسخة للمؤلّف بعد طباعة الكتاب.

شروط النّشر

- أن يكون موضوع الكتاب متصفاً بالجِدّة، والموضوعيّة، وشمول المعالجة، والفائدة المعرفيّة، وألا يُخلَّ بالقيم العربيّة الأصيلة.
- ألا يكون الكتاب رسالة من رسائل الماجستير أو الدكتوراه أو جزءاً من هذه الرّسائل.
- ألا يكون الكتاب منشوراً سابقاً.
- ألا يكون الكتاب مُقدَّماً للنشر في جهة أخرى.
- أن تكون لغة الكتاب هي اللّغة العربيّة الفصيحة.
- ألا يكون الكتاب مترجماً.
- أن يلتزم الكتاب بالمنهجيّة العلميّة في التّأليف، وخصوصاً الأمانة العلميّة، والإحاطة بالموضوع، والاعتماد على المصادر الأصيلة، وتدوين الهوامش في أمكنتها من كلّ صفحة.
- أن تُدوَّن المصادر والمراجع في نهاية كل كتاب مرتبة ترتيباً ألفبائيّاً بحسب لقب المؤلّف، أو أسرته، أو قبيلته، وأن تُقسم بحسب أنواعها: المصادر، المراجع، الدّراسات، وبحسب لغتها العربيّة أو الأجنبيّة.
- أن يكون الكتاب مُنضَّداً بالحاسوب بصيغة الوورد، ومُصحّحاً، ومرفقاً بنسخة ورقيّة على وجه واحد.
- يُرفَق الكتاب بخلاصة وافية في حدود مائتي كلمة باللغة العربية.
- يُرفق الكاتب مع الكتاب نبذة مختصرة عن حياته العلمية، تتضمَّن اسمه الثلاثي، وبلده، وعنوانه البريديّ والإلكترونيّ، وعمله، وصورة شخصية ملونة حديثة له.
- ألا يقل الكتاب عن (مائة وخمسين صفحة)، وألا يزيد عن (250 - 350 صفحة)، على قياس A 4 وبونط 16 Times New Roman أو Simplified Arabic
- تَتولَّى هيئةُ تحكيمٍ مختصةٌ مراجعةَ الكتاب وتَقييمِه وإصدارِ قرارٍ نهائيٍّ في أمر طباعته خلال شهرين من تاريخ إرساله.
- يلتزم الكاتبُ، في حال الموافقة على طباعة الكتاب شريطة تنفيذ بعض التّعديلات، بإجراءَ التعديلات المقترحة من هيئة التحكيم.
- لا تُرَدُّ الكتب المُعتذَر عن نشرها إلى أصحابها.
- يُستبعَد أيُّ كتاب مخالف للشروط المذكورة.
- تُرسَل الكتب على نسختين وورد وبي دي اف على الإيميل الخاص بالكتب وهو: kotubimarat21@gmail.com

نادي تراث الإمارات
معرض الشيخ زايد

آلة الساكسفون من مقتنيات «موسيقى شرطة أبوظبي»،
وهي أول موسيقى عسكرية تأسست في الإمارة عام 1963، قدمت خلال
مسيرتها التي تجاوزت الخمسين عاما نجاحات كبيرة سواء على
المستوى المحلي أو العالمي.